

العُرْفَانُ  
الإِسْلَامِيُّ

سَمَّاهُ رَبُّهُ رَبُّهُ  
لِشَيْخِهِ حَسْبُهَا لِقْدَمُ يَدِهِ

تَرْجَمَهُ

كَسَمَكَ السَّيِّدُ

دَارُ أَحْيَاءِ التَّوَاتُ الْمَرْبُوحِ





**العرفان الإسلامي**



# العرفان الإسلامي

تأليف

سماحة آية الله الشيخ حسين انصاريان

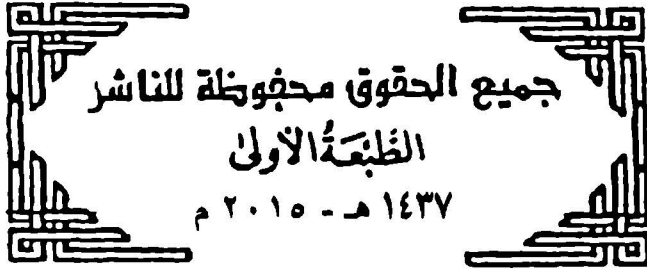
ترجمة

وليد محسن

الجزء التاسع

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان



**DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI**  
Publishing & Distributing

**دار إحياء التراث العربي**  
للطباعة والنشر والتوزيع

### العنوان الجديد

دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - طريق المطار - خلف أوتيل الغولدن بلازا ص ٠ ب: ١١/٧٩٥٧  
الرمز البريدي: ١١/٠٧٢٢٥٠ - هاتف: ٠٠٩٦١١٤٥٥٥٥٩ / ٠٠٩٦١١٤٥٢٤٦٩ / فاكس: ٠٠٩٦١١٨٥٠٧١٧  
Beyrouth - Lebanon - Airport Road - Behind Golden Plaza - P.O.: 11/7957 - Postal  
Code: -11/072250 **Tel: 009611455559 - 009611452469** -- Fax : 009611/850717  
Email: darturath2012@hotmail.com [www.dartourath.com](http://www.dartourath.com)

الباب

(٣٦)

في ذم الغرور





قال الصادق عليه السلام:

الْمَعْرُورُ فِي الدُّنْيَا مَسْكِينٌ وَفِي الآخِرَةِ مَغْبُوتٌ، لِأَنَّهُ بَاعَ الأَفْضَلَ  
بِالأَدْنَى.

وَلَا تَعْجَبْ مِنْ نَفْسِكَ فَرَبِّمَا اغْتَرَرْتَ بِمَالِكَ وَصِحَّةِ جِسْمِكَ أَنْ لَعَلَّكَ تَبْقَى.  
وَرَبِّمَا اغْتَرَرْتَ بِطُولِ عُمُرِكَ وَأَوْلَادِكَ وَأَصْحَابِكَ لَعَلَّكَ تَنْجُو بِهِمْ.  
وَرَبِّمَا اغْتَرَرْتَ بِحَالِكَ وَمُنْتِكَ وَأَصَابَتِكَ مَأْمُولِكَ وَهَوَاكَ وَظَنَّتْ أَنَّكَ  
صَادِقٌ وَمُصِيبٌ.

وَرَبِّمَا اغْتَرَرْتَ بِمَا تَرَى الخَلْقَ مِنَ النَّدَمِ عَلَى تَقْصِيرِكَ فِي العِبَادَةِ وَلَعَلَّ  
اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ مِنْ قَلْبِكَ بِخِلَافِ ذَلِكَ.  
وَرَبِّمَا أَقَمْتَ نَفْسَكَ عَلَى العِبَادَةِ مُتَكَلِّفًا وَاللَّهُ يُرِيدُ الأَخْلَاصَ. وَرَبِّمَا  
افْتَخَرْتَ بِعِلْمِكَ وَنَسَبِكَ وَأَنْتَ غَافِلٌ عَنِ مُضْمَرَاتِ مَا فِي غَيْبِ اللّهِ. وَرَبِّمَا  
تَدْعُو اللَّهَ وَأَنْتَ تَدْعُو سِوَاهُ.

وَرَبِّمَا حَسِبْتَ أَنَّكَ نَاصِحٌ لِلخَلْقِ وَأَنْتَ تُرِيدُهُمْ لِنَفْسِكَ أَنْ يَمِيلُوا إِلَيْكَ.  
وَرَبِّمَا ذَمَمْتَ نَفْسَكَ وَأَنْتَ تَمْدَحُهَا عَلَى الحَقِيقَةِ.  
وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَخْرُجَ مِنْ ظُلُمَاتِ الغُرُورِ وَالتَّمَنَّى إِلَّا بِصِدْقِ الأنَابَةِ إِلَى  
اللّهِ تَعَالَى وَالأَخْبَاتِ لَهُ وَمَعْرِفَةِ عِيُوبِ أَحْوَالِكَ مِنْ حَيْثُ لَا يُوَافِقُ العَقْلَ  
وَالعِلْمَ، وَلَا يَحْتَمِلُهُ الدِّينُ وَالشَّرِيعَةُ وَسُنَنُ القُدُوةِ وَأَئِمَّةِ الهُدَى وَإِنْ كُنْتَ  
رَاضِيًا بِمَا أَنْتَ فِيهِ فَمَا أَحَدٌ أَشْقَى بِعِلْمِهِ مِنْكَ وَأَضْيَعَ عُمُرًا وَأَوْرَثَ حَسْرَةً  
يَوْمَ القِيَامَةِ.

«الْمَغْرُورُ فِي الدُّنْيَا مَسْكِينٌ وَفِي الآخِرَةِ مَغْبُوتٌ ; لِأَنَّهُ بَاعَ الْأَفْضَلَ بِالْأَدْنَى»

### صفة الغرور:

الغرور، من الصفات المدمومة جداً ومن رذائل الأخلاق وسيئات النفس. والغرور حالة نفسانية تظهر في وجود الانسان نتيجة لرؤيته الخاطئة بالنسبة لمظاهر الحياة والامور الدنيوية والمادية، وتنتج أحياناً عن غفلة الانسان عن الحقائق الالهية التي تظهر اثر كثرة مشاغله المادية وزيادة المال والذهب والحلي، وعلى كل حال تنقطع به علاقة الانسان بالحق ويقل اهتمامه باعمار آخرته، مما يؤدي الى شقائه في الدنيا وخراب دار السعادة في الآخرة. وفي كتب اللغة، عرفوا كلمة المغرور كالتالي:

المغرور، هو المخدوع، والذي أطمعه بالباطل، والمحتال عليه. وحسب الآيات والروايات وآراء المحققين في علوم اللغة، المغرور هو المخدوع بالدنيا ومظاهرها والمفتر بظاهر الحياة والبنون والمقام والرئاسة والعلم والشهرة والبطن والشهوة، وتعلق بهذه الأمور أيما تعلق حتى خدع بها وكأن الحياة مقتصرة على هذه الأشياء، وأنها ستجري دائماً على هذا المنوال، وأن ما حصل عليه من ملذات الدنيا وزبرجها سيبقى له دائماً، رغم أنه سرعان ما سيدرك هذه الحقيقة أنه فقد كل ما كان بيده وفقد كل ما ناله من مظاهر الدنيا

وزبرجها ومالها وماحصل عليه من أولاد ومقام ورياسة وبطن وشهوة وعلم وشهرة، ولم يبق له سوى بدن مريض وجسد عليل وقليل من لحم وعظام متاكلة وقلب وروح ميتة وصحيفة سوداء وعمل باطل، ولم تبق له سوى دقائق معدودات تفصله عن الموت، وهو لا يملكه من أمره شيئاً ولم يستعد للاجابة على أسئلة القضاة في محاكم البرزخ والقيامة، ولن يقبل منه أي عذر عما بدر عنه من غفلة وغرور وسوء فعل!!

أما يوم يقضته وصحوته فهو اليوم الذي خفت فيه غروره، وملاّت قبضة الموت كل كيانه وروحه، ورفعت الحجب بينه وبين البرزخ، وانتقلت جميع أمواله الى أولاده العاقين سيئ الأخلاق، ولا يمكن لأحد مساعدته حتى أقرب الناس اليه، فيدرك أن لافائدة من هذه اليقظة المتأخرة رغم حالة التوبة والندم التي تسلمت اليه.

فدققوا جيداً بكلام القرآن المجيد ووصفه لهذه الحالة:

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾<sup>١</sup>.

نعم، عندما نغمض عين القلب عن رؤية الحقيقة، ولانسعى للقاء حضرت الحق، وننسى أن صاحب العالم ومالك كل ظاهر وخفي هو الوجود المقدس لله الذي جاءت صفاته في القرآن المجيد بهذه العناوين:

حي، قيوم، مالك، خالق، باري، مصور، قدير، محيط، سميع، عليم، بصير،

خبير، كريم، حكيم، عزيز، غفور، رحيم، لطيف..

ظننا أن بيدنا كل شيء ونملك كل شيء، فخدعتنا الدنيا بمظاهرها واغتررتنا بما عندنا رغم أنه آيل للزوال لا محال، وأصابنا الطمع في الحصول على كل شيء فضحينا في سبيله بأهم الأشياء ألا وهي الدين والقلب والروح والنفس والعقل والفترة!!

ولأننا غرقنا في بحر الغرور والخداع، أوصدت أمامنا أبواب الرحمة وأغلقت شبابيك العناية، فدنا موت عقلنا وروحنا، ولم يبق من هويتنا وحيثتنا سوى بدن غلبته الشهوة والبطن، وفي نهاية هذا الطريق ندرك أن كل ما كان قد انتهى وآل الى الزوال ولم يبق في داخلنا سوى الحسرة الشديدة التي تملأ كيانا وفي الخارج لم يبق سوى العذاب الأليم، فكان ذلك ثمرة مازرعناه طيلة عمرنا في الحياة الدنيا، حينها يملأ الألم والحسرة قلبنا فتندلل بشدة وتأوه بخضوع وخشوع ورعب وخوف ووحشة من لقاء محضر الحق، ونطلب أن يعيدونا الى الدنيا لعلنا نعمل صالحا فنعوض ما فاتنا من خسارة فادحة، لكن هيهات لأن الاجابة ستكون: هيهات، ان هذا وقت الاستعداد لورود البرزخ والاجابة عما ارتكبته من ذنوب وأخطاء وغرور وغفلة.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾<sup>١</sup>

ان هذه الصفة المذمومة الغرور، هي علة ظلم الظالمين، وسطوة الطغاة،

واجحاف المتجاوزين، وجرائم المجرمين، وذنوب المذنبين، وخطأ المخطئين، ومعصية العاصين، كما أنها في ذات الوقت علة حكمة الحكماء وعرفان العرفاء، وعبادة المشتاقين، وعشق عاشقي الحق، وعبودية المشتاقين للمعرفة، وفضيلة الواعين، وكمال العُمي، وتواضع المتواضعين، وخشية الخاشعين، والتوجه نحو الحق وعدم الاغترار بزينة الدنيا وزبرجها وعدم الانخداع بمظاهر الحياة المادية. مؤيد الدين الجندي أحد عرفاء القرن السابع، في نصيحته لنفسه وتحذيرها من الاخطار المحدقة بها، يقول:

(مؤيد قلبك ملوث بملذات هذا العالم الذي لا اله له سوى الله، ان قلبك يمكن أن تظهر فيه تجليات الحق ان طهرته من هوى النفس ورغباتها، واترك الدنيا وما فيه واجعل منها معراً تمر عبره الى العالم الآخر، فالرضا بهذه الحال المؤلمة تبعدك عن الحق ولا وسيلة لانقاذك مما انت فيه، فان طهرت القلب يمكن أن تصبح نوراً للحق تعالى لكنك لازلت تتخبط في ظلمة هذه الدنيا، ولا تجعل الروح في خدمة الجسد فانها أعظم من أن تلوثها بشهواته، فمهما ازداد حزنك ستبقى مسروراً لأن لك انيس يساعدك على تحمل هذا الحزن).

### تحصين النفس من آفة الغرور:

عليك بتهديب النفس وتأديبها بأداب الحق حتى تصونها من آفة الغرور. ومقدمة تأديب النفس، المعرفة، معرفة الحلال والحرام، والواجب والمستحب، والخير والشر، والدنيا والعقبى، والحسنات والسيئات. ولا تيسر هذه المعرفة إلا بتحصيل العلوم الدينية، أو التلمذ في محضر عالم جامع للشرائط.

وإذا ما تحققت المعرفة بحقائق الدين الالهي، فيجب تطبيقها وتنفيذها في واقع الحياة، ويراعى في مسألة التطبيق الخلوص والاخلاص، حتى يحصن الانسان نفسه من خطر الغرور وسائر الرذائل الاخرى.

فانك لو تركت النفس وحالها ولم تمنع في مراقبتها، لأصبحت هدفا لهجوم الأخطار والخسائر الأضرار.

ولو لم تسارع بتهذيب النفس وتربيتها وتزيينها بحقائق الامور، لأصبحت في مرمى هجمات أنواع الشرور ورذائل الاخلاق.

حصنوا النفس بجدار العقائد الحققة وأسوار العمل الصالح والخالص والاخلاق الالهية الفاضلة، حتى تأمنوا من جميع شرور الدنيا والآخرة.

ويقول ضياء الدين أبو النجيب حول هذا الموضوع:

ابدل جهدك في رعاية النفس ومعرفة أخلاقها، فانها تقودك الى الذنوب، ولا تغفل عن النفس حتى لو بلغت أرفع درجات المعرفة، فقد استعاذ منها بالله تعالى حتى الرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام.

ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام:

ويقول الوراق رحمته الله:

النفس ترائي في بعض الأحوال وتناق في أغلب الأحوال وتجلب الشرك في بعض الأحوال.

ويقول الواسطي رحمته الله:

النفس صنم فالنظر اليها شرك وعدم النظر اليها عبادة.

وقالوا:

مثل النفس في عمل الحسنات وتجنب السيئات كمثل الشرارة لونها جميل

لكنها محرقة.

فاذا ماتغلب على النفس أسرع للتوبة، واذا ما خضع لها سار وراء رغباتها وأعرض عن الله، ولهذا قال تعالى:

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٌ﴾<sup>١</sup>

وقالوا:

مثل النفس كصفاء ماء راكد، فاذا ما حركته ظهر كل ما في قعره من وسخ ووحل نتن.

واعلم ان الله تعالى يطلب من النفس ما يطلبه من عباده، فكما يطلب الله تعالى من عباده ثنائه وشكره يطلب ذلك من النفس أيضاً، وكما يطلب الله تعالى من عباده ألا يخالفوا أمره ونهيه يطلب ذلك من النفس أيضاً. وكما يطلب من العباد أن يتصفوا بالكرم والسخاء، يطلب ذلك من النفس أيضاً.

وقالوا:

النفس لطيفة أودعت في قالب الجسد، والنفس محل الأخلاق الحسنة، كما العين محل الرؤية والأذن محل السمع والأنف محل الشم.

وقالوا:

الروح معدن الخير والنفس معدن الشر تحبس العقل والروح، والتمني يحبس النفس، وتوفيق الله يعين الروح، وخذلان الله يعين النفس، ومتى ما إنضم القلب

الى أحدهما تغلب على الآخر.

وليعلم المرید أن الأفعال ثلاثة أنواع:

فعل واضح الحق فيجب الاقدام عليه، وفعل واضح الضلال فيجب الابتعاد عنه وتركه، وفعل في مشيئة الله أي لا تعلم خيره من شره، فيجب تركه حتى يتبين خيراً أم شراً سواء بالعلم أو بالعقل.

ويجب على المرید تبديل الأخلاق المذمومة مثل الكبر والحقد والحرص والأمل والحسد والتنازع والغيبة والفتنة بين الأخوة وسوء الظن والمزاح وأمثالها، واستبدالها بالأخلاق الحسنة الفاضلة.<sup>١</sup>

نعم، عندما يشرق القلب بنور المعرفة وتحترق الروح بحرارة العشق نتيجة للشراة الالهية، وتطهر النفس من الرذائل وتصبح محلاً للحسنات، ويتضح أن الانسان محكوم بحكومة الله ومغلوب يد الربوبية الالهية، ويعلم الانسان أن مظاهر الحياة المادية انما هي أمانة بيده لأيام معدودات، وان هذا الجسد عنصر يسير نحو الفناء والزوال، وسيقبر عاجلاً أم آجلاً في لحده وينفصل عن كل ما يملك، وتتقطع أوصاله وتتحلل جميع أعضائه من لحم وعظم بين أسنان الأفاعي والحشرات، ولن يبق أمامه مجال للغرور والطمع بمساعدة غير الحق والخداع بما عنده من العناصر المادية.

فمثل هؤلاء لم تكن لديهم رؤية صحيحة بالنسبة للحياة ووسائلها، أي لم يستمدوا العون من المعارف الالهية في النظر الى العالم وهذه الحياة الفانية، فأهدروا تماماً فرصة الاستفادة الصحيحة من حياتهم، فالتلوث بالذنب والمعصية



ليست من اللذة في شيء، وإنما هي تعبير عن الضياع التام وسلب الانسانية والتجاوز على حق الآخرين.

وبعد ان قضوا طيلة فترة حياتهم على هذا النحو والمنوال، وما أن اقتربوا من ساعة الموت حتى تسلل الندم الى نفوسهم وتوجهوا الى محضر الحق بحمل ثقيل من الحسرة والغم والحزن والشقاء والضياع، وسلموا ارواحهم الى مالك جهنم بعد طول عناء في فراش المرض والألم والعذاب!!

فقد اغتروا وانخدعوا بأيام معدودات من الشباب والنشاط وسلامة البدن، وبما عندهم من زينة وذهب ومال قليل، وبيعض الحاشية من الجهال والأشقياء، وبعد ان أضاعوا جل عمرهم الثمين في الباطل ولغو الأعمال والأقوال، تركوا هذه الدنيا وحيدين بقلب ملؤه الحسرة والألم وصحيفة سوداء جلبت لهم غضب الله وسخطه!

### الغرور في القرآن:

اعتبر القرآن المجيد أن الغرور ناشئ عن انخداع المغرورين بمظاهر الدنيا المادية وأمنياتهم الخاطئة ووساوس شياطين الأنس والجن، وإذا ما استمر المغرورون على غرورهم حتى ساعة موتهم، فانهم لن يحصدوا من ذلك سوى على العذاب الأليم.

فهم قد أستهزؤا بالحقائق الالهية ونبوة الأنبياء وامامة الأئمة عليهم السلام وقواعد حضرة الحق، وأصبح وجودهم شوكة في المسير الالهي وسداً منيعاً بوجه أولياء الله والمؤمنين، مما يفرض عليهم مواجهة هؤلاء المنحرفين والانتصار عليهم حتى يتمكنوا من تجاوزهم وعبور المسير الالهي، وعليهم تحمل الصعاب

والمشاق الكبيرة في سبيل الوصول الى مقام القرب واللقاء بالحق تعالى.  
فهؤلاء الجاهلين البعيدين عن العقل والحكمة، هم أصحاب الخرافات  
والفسفة الذين ملأوا جميع مراحل التاريخ بوضائهم وتسلطوا على العقول  
والأرواح بسلاح الجهل، يريدون بذلك قطف الأرواح الطيبة واستئصال فروع  
شجرة طوبى من أصولها، كما فعل قبلهم جنكيز خان وتيمور لنك.  
وهم يزاحمون جميع شؤون أهل الحق ولا معبد لهم سوى حاجة البطن  
والشهوة، ولا هم لهم سوى الجري وراء اللذة والمتعة.  
وهم الذين يفاخؤهم الله المقتدر فيلتقط حناجرهم بكف قدرته، وينترع منهم  
أرواحهم وسرعان ما يرميهم في عذاب جهنم دون أن يمهلهم لحظة واحدة.  
وهم أصحاب الفتنة وسبب جميع الحروب والنزاعات، ولسان أهل الغيبة  
والتهمة وأهل المعصية في المجتمعات البشرية، ولسان مثيري الشائعات  
والمناققين والمتكبرين والمغرورين! وهم المستهزون بالحقائق ولا يرون خطأ  
عملهم في ظل هذا الغرور، لكن سرعان ما ينتهي هذا الاستهزاء بالحزن والبكاء  
الأبدى والحسرة والغم الدائم.

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ  
يَسْتَهْزِئُونَ \* وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ  
هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ \* ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمْ  
أَنْخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُؤًا وَغَرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا  
يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾!

ويقول تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾!

فانظروا الى هذا الشقاء وكيف يسقط بعض بني آدم في فخاخ الوسواس وأعمال السوء والغرور، وكيف يسقطون في حفرة المظاهر المادية ويتجاهلون سعادتهم وسعادة الآخرين، كل ذلك من أجل لذة آنية لأيام معدودة وفترة ضئيلة جداً.

وانظروا الى هذا الحظ العاثر، وكيف استغل بني آدم أبشع استغلال هذه النعم الالهية المادية والمعنوية، وكيف استثمرها في الأطماع الشيطانية والأهواء النفسية، ويريد بهذا الاسلوب الحيلولة دون انتشار الحقائق والوقائع الالهية المسلمة!

فيا لسواد قلوبهم وظلمة أرواحهم، كيف يريد هؤلاء العملاء لأهواء النفس وأعوان الشيطان أن يطفؤا نور الشمس المشرقة بأفواههم!

وهنيئاً لمن استعمل عقله في الوصول الى الحقائق والوقائع الالهية، واستعمل قلبه في كسب المعرفة والنور، واستعمل أعضائه وجوارحه بمساعدة العلم والمعرفة في العبادة واطهار العبودية، وجعل من ظرفه الوجودي مصدراً للبركة والكرامة والصدق والفضيلة لنفسه وللآخرين، فأسرعوا في هذا المسير للوصول الى موضع القرب واللقاء ومحضر الحق. فقد سار هؤلاء بكل وجوده في طريق

المعشوق الحقيقي ولم يتلوثوا بأوساخ الذنوب ولم يضيعوا ثواباً وأجرأً حسناً، ولم يغتروا بالدنيا وزينتها وزبرجها ولا بوساوس الشيطان ومكره؛ بل عاشوا طيلة عمرهم بتواضع وخشوع، واتخذوا من الدنيا ممراً للآخرة والآخرة وسيلة للقاء حضرة الحق.

وهم يناجون محضر الحق بكل وجودهم بكلام يحمل معنى هذه الآيات الجميلة للفيض الكاشاني:

(يا من ملأ وجودك كل كون ومكان يا من عظمتك فاقت كل شيء، يعجز اللسان عن ثنائك ومدحك ويعجز كل ذي لب عن شكرك، يا منزها من الأشباه والنظائر يا مقدسا عن كل نعت ووصف، يا معينا لكل من سار في طريق الحق ويا واهب الحياة لكل ذي حياة، هام العرفاء بعشق جمال وجهك الكريم وشاروا في عظمة جلالك، فالطف بنا وارحمنا وغير حالنا الى أفضل حال حتى نصل الى مقام أفضل، واعفوا عما بدر منا سوء وذنوب فهي لاتساوي قطرة من سحب رحمتك ومغفرتك).

وقال تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْوَاً وَغَرْتَهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَلَ كُلُّ عَدَلٍ لَأَيُّوْخَذَ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾<sup>١</sup>.

## المعارف الالهية ومسألة الغرور:

ان مسألة غرور الكفار واعجابهم بكثرة المال والمنال والأولاد والخدم والحشم والعشيرة والأقارب، قد تكرر التأكيد عليها في القرآن المجيد والروايات المنقولة عن أهل البيت عليهم السلام، بأنها صفة تولد الكبر الذي يولد الكثير من الذنوب والمعاصي.

فمن جهة، وضعوا تكبر الكفار في قبال خلق الله الى درجة أنهم اعتبروا أنفسهم أفضل من الجميع، واستصغروا عبادة الحق في جميع الشؤون، واعتبروا أنفسهم قد خلقوا لخدمة أنفسهم فقط، مما جعلهم يتجاوزون على حقوق عباد الحق بما أمكنهم حتى وصلوا في طغيانهم الى مرحلة فرعون وشداد ونمرود ومعاوية ويزيد وجنكيز وتيمور وهيتلر.

ومن جهة أخرى، وضعوا تكبر الكفار في قبال الحق، الى درجة أنهم نسوا الله في جميع الأحوال، ولم يعترفوا بالذنوب واستصغروا أعظم الجنايات وأبشعها، حتى انهم والى آخر يوم في حياتهم لا يفكرون أبدا في تلافى كل هذه الأخطاء والذنوب!.

أما غرور أهل العبادة فصوروه بهذا الشكل، أنهم يعظمون جميع عبادتهم مهما صغرت ورغم انها تعود لتوفيق حضرة رب العزة، وكأنهم يمنون على رب العالمين بأداها وينسون أنه صاحب الحياة والقدرة وامكان العمل وجميع وسائل العبادة التي بواسطتها تمكنوا من العبادة، وانهم لا يملكون لأنفسهم أدنى شئ من كل ذلك!.

ان هؤلاء الفقراء المغرورين الجهال سريعي النسيان، لا يدركون أن الغرور

حجاب ومانع يحول بينهم وبين الآفات الشيطانية لأعمالهم العبادية، وكل من يتجاهل هذه الآفات يضيع كل جهده وسعيه هباءً منثوراً.

أما أهل المعرفة واليقظة، فرغم أنهم استثمروا جميع أوقاتهم في الطاعة وخالص العبادة، ولم يقعوا في حبال الشيطان ووساوسه في جميع أعمالهم، لكنهم في الوقت ذاته لم يغفلوا عن مراقبة عملهم وقضوا طيلة أوقاتهم في جو من الحياء والخجل من مولاهم، وكلما اختلوا مع ربهم في محراب عبادتهم ورغم عظمة هذه العبادة بسبب معرفتهم وخلوصهم، كانوا ينجأون ربهم دائماً بعيون ملؤها الدمع وقلوب ملؤها الخوف والخشية، ويقولون:

«مَا عَبْدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ وَمَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ»<sup>١</sup>

(عادة ما ينشغل العاشقون في البحث عن المعشوق، لكنهم يعجزون عن الغناء...)

\* \* \*

(فيا طائر السحر تعلم العشق من الفراشات اذا اكتوت بنار العشق ولم تحلق بعيداً..)  
فهؤلاء العظام وهذه الوجوه الخالصة الطاهرة وهؤلاء الرجال الذين أمتلأ كل كيانهم بالكرامة والشرف والأصالة والمعرفة والعقل والوجدان والعشق والمحبة، قد راقبوا لمرة واحدة أنفسهم وكل ما يتعلق بها، ورأوا كل ما فيها صادر عن ربهم، ولم يقبلوا أبداً النظر لأي شيء ولو لحظة واحدة بصورة مستقلة عن قدرة الحق، فهم لم يروا سوى الله، ولم يسمعوا الا من الله، ولم يتحدثوا الا عن الله، ولم يفعلوا شيئاً الا الله، ولم يبقوا في هذه الدنيا الا لأجل الله، ولم يرحلوا عن هذه الدنيا الا لقاء الله.

ولا تعادل الدنيا وزينتها وزبرجها عندهم سوى حياة وهمية وبلا قيمة، ولا يروا الزوجة والابن والخدم والحشم والأنصار الا جزءا من نعم الله، ويعتبرون كل وجودهم وجميع عبادتهم لاتساوي شيئا في قبال العظمة اللامتناهية للحق تعالى.

المغرور بعبادته يتصور أن له مقاماً وشاناً عظيماً وكرامة متميزة عند رب العزة، لهذا يدفعه هذا التوهم الخاطئ الى القيام بأفعال خاطئة من قبيل تعريف النفس وتمجيدها وتطهيرها من الآثام والذنوب فيؤدي ذلك الى اعتداده برأيه وعمله وعقله، فتبعده هذه الحالة الشيطانية عن التشاور مع أهل الحق والمعرفة، وتعرضه للوقوع في الاستبداد بالرأي والاستكفاف عن السؤال من رفاق الطريق الأعلم منه، وتقربه من السقوط في وادي الضياع والضلالة!!.

وبسبب صفة الغرور المذمومة، يستبد هؤلاء برأيهم ولا يقبلون سواء حتى لو كان خاطئاً، وينظرون اليه وكأنه اهم اكتشاف علمي وعقلي، فيفرحون ويستبشرون به، ويتجاهلون آراء الآخرين حتى لو كانت حقا.

ويصر هؤلاء ذوو الحظ العاثر على آرائهم، ويرفضوا الاستماع لنصيحة ناصح ووعظ واعظ لأنقاذ أنفسهم من هلكة الغرور والاصرار على الخطأ، والأسوء من ذلك ينظرون الى الآخرين على أنهم جاهلون أو قليلوا العلم ويرفضون التخلي عن نظرتهم القاصرة بعين الحقارة للآخرين، ويصرون على أخطائهم وذنوبهم، ويكبلون أنفسهم بأسر الغرور والعجب والاستبداد بالرأي!!.

وإذا ما تمكنوا من النظر الى أنفسهم بعين الضعف والاستصغار والتلوث بالذنوب والآثام، وتخلوا عن الاعتماد على آرائهم، وسعوا وراء نور الايمان

واستمدوا العون من علماء الدين وواظبوا على الدرس والبحث وطلب العلم، واستمروا على سؤال أهل البصيرة، فقد وصلوا الى الحق وأنقذوا أنفسهم من آفة العجب والغرور والتظاهر.

وإذا ما نظر الانسان بعين المعرفة الى نفسه ودينه وزوجه وولده وماله وخدمه وحشمه وأنصاره ومؤيديه، لما وقع أبداً في آفة الغرور ولما تلوث بصفة العجب والتظاهر. وعلى كل حال، اذا ما أردتم أن تكونوا أهلاً لعبادة الحق وضمن أهل المعرفة السالكين في هذا الطريق، عليكم الابتعاد عن الغرور بالجمال والحسب والنسب والمال والبنين والزوجة والعشيرة والقدرة والعلم والقوة والصحة والأنصار والمؤيدين وكل ما يتعلق بهذه الدنيا، لأن جميع هذه المظاهر والملذات لا تبق مع الانسان أكثر من حافة القبر، ثم سرعان ما تنفصل عنك وتبق وحيداً مع أعمالك والصراف وميزانك والحساب وكتابك والجنة والنار، فاذا كنت قد تعاملت مع الله في كل ما عندك كنت من أهل الجنة، والألن تحصل سوى العذاب الدائم والحسرة والغم والحزن الأبدي!.

### غرور العاصين:

ومن موارد الغرور والعجب، غرور العاصين من أهل الايمان، وهو أسوء أنواع الغرور؛ بل هو علة الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي. فهم ملوثون بأنواع الذنوب والمعصية والسبب في ذلك يعود الى اشتباههم في النظر الى كرم الله ولطفه، ونتيجة لذلك يقعون في المعصية ويتلوثون بالخطأ والذنوب، ويفقدون حجاب العفة والعصمة وروح الاصاله والكرامة، ويقولون: الله كريم، لا يأس من عفوه، وكرمه عميم ولطفه قديم، فاين معصيتنا من بحر



رحمته ولطفه وكرمه، ونحن موحدون ومؤمنون فنجوا أن يضمننا الله بسبب هذا الايمان الى أهل النجاة!!

فهم في الواقع قد اغتروا بكرم الحق تعالى، والله لا يسمح لأحد التلوث بهذا الغرور؛ لأنه يؤدي الى ارتكاب جميع أنواع الذنوب والمعاصي.  
والقرآن المجيد، يقول حول هذا الموضوع:

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ \* أَوْ  
أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ \* أَفَأَمِنُوا  
مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>١</sup>.

فليس منطقياً ولا من المعقول أن يغفل الناس عن الحق ويرتكبون أنواع المعاصي والذنوب ويبتعدون عن العبادة، ويكتفون بأنهم يؤمنون بالله ويعتقدون به؛ لأن هذا المنطق لا يتفق مع القواعد والقوانين الألهية ولا ينسجم معها، فعلى مثل هؤلاء الأفراد أن يدركوا أن هذا الأفكار شيطانية وأنهم وقعوا محل استهزاء ابليس وأعوانه، لماذا؟ لأن العديد من آيات القرآن والروايات الاسلامية، قد صرحت بعدم جدوى الايمان بدون العمل، والايمان لا يكون حقيقياً ما لم يتزين بحقيقة العمل والاجتهاد، والمؤمن هو الذي يدعن تماماً لأمر الحق ويتجنب الوقوع في نواهي حضرة رب العزة.

### الأمّل الصحيح:

القرآن المجيد انما يعتبر الأمّل بكرم الله تعالى صحيحاً، اذا كان صادراً من

الذين يزبنون ايمانهم بحلية العمل والجهاد والسعي في طريق الحق.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>١</sup>.

وكذلك جاء في رواية منقولة عن رسول الله ﷺ:

«الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْأَحْمَقُ مَنْ  
اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ»<sup>٢</sup>.

### الأمل الشيطاني:

وهو الأمل الذي ابتكره ابليس لخداع بعض الأفراد الجهلة ليقعهم في أنواع  
الذنوب والمعاصي أملاً بمغفرة الله ورحمته، ثم لا يدعهم يعالجون أنفسهم  
لانتقاذها من آفة التلوث بالذنوب.

قيل لأحد الأئمة المعصومين:

إن قوما من مواليك يلمون بالمعاصي، ويقولون نرجو، فقال: كذبوا ليسوا لنا  
بموال، اولئك قوم ترجحت بهم الاماني، من رجا شيئاً عمل له ومن خاف من  
شئ هرب منه.<sup>٣</sup>

فالاتتماد على الرجاء بدون العمل هو وسيلة الجاهل والأحمق.

وما أن يصل المغرورون الى البرزخ وتنكشف من أمام أعينهم جميع الحجب  
والغشاوة حتى يستغيثون: الهي! رأينا وسمعنا، أعدنا الى الدنيا لعلنا نعمل صالحاً،

١- البقرة ٢: ٢١٨.

٢- مجموعة ورام: ج ١، ص ٢١٥.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٦٨، الحديث ٦.

فلقد أدركنا الآن أن ثواب الآخرة والأجر انما يتحقق في ظل العمل الصالح،  
وأدركنا:

﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾<sup>١</sup>.

ويجب أن نعلم أن نقطة الرجاء الصحيح انما ترتبط بما بعد العمل، أو ترتبط  
بوقت التوبة وترك جميع الذنوب والآثام. نعم، ان من يؤدي جميع الواجبات  
ويتجنب الذنوب، أو من يعود الى رشده والى جادة الحق بفضل الشريعة الالهية  
ويتوب الى الله توبة نصوحا ويترك الى غير رجعة جميع الذنوب والآثام، له الحق  
في الأمل والرجاء برحمة الله تعالى، وقد صرحت الآيات والروايات بصحة رجاء  
مثل هؤلاء.

وعلى مدى التاريخ ظهر أفراد من الناس كانوا يواظبون على العبادة ولا  
يتخلفون عن تنفيذ أي أمر من أوامر حضرة الحق، وقلوبهم ممتلئة بخوف الله  
وخشيته، وهم مشغولون على الدوام بطاعة الحق وعبادته، وتمسكوا بالتقوى  
والخوف من العذاب، وتحرروا من أسر الشهوات والأهواء الخاطئة، ولطالما  
أجهشوا بالبكاء في خلوات الليل، وبعد كل هذا الجهد والسعي والطهارة  
والخلوص لله كانوا يأملون ويرجون رحمة الحق وعفوه، فكان حري بتأ أن نتخذ  
من هؤلاء العظام وفي مقدمتهم الأنبياء والأئمة وأولياء الحق أسوة حسنة نقتدي  
ونحتذي بهم، فهم يختلفون عن اولئك الذين آمنوا بالعذاب وأطمأنوا بشكل  
عجيب بنجاتهم من العذاب وانشغلوا باللهو والعبث في الحياة وهم لا يخشون  
على انفسهم من عذاب الله، ورغم كل هذا التلوث بالذنوب والآثام، لكنك

تجدهم كالأسماك غرقى في بحر هذه الدنيا ومعرضون تماماً عن حضرة الحق، ثم يقولون: نحن نرجو الله وكرمه، وهم يتصورون أن ما يعلمونه عن كرم الله ورحمته، لم يعلمه حتى الأنبياء حتى يخبروا الناس به!!

فآه آه! أين هؤلاء من عباد الله الصالحين الذين قضوا تمام عمرهم بالطهارة والصدق والفضيلة، فكانوا حقاً مصداقاً لهذه الرواية المهمة جداً التي تناقلتها جوامع الحديث المختلفة:

«الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ»!

فلنلجأ الى الله في كل ما هو بعيد عن الله، وتجنب الكسل والتهاون في العمل، ونفصل طريقنا عن طريق الشياطين ومن يحملون صفات الشيطان والمغرورين والمتكبرين، ونطلب من حضرة الحق ان يوفقنا للتزين بالإيمان الحقيقي والعمل الصالح؛ لأن طي الطريق صعب، والسلوك الخالص مشكل، والطريق طويل، والموت مقبل علينا، وميزان الحساب قائم، وديوان الحساب الالهي مفتوح، والنار أمامنا، والجنة تنتظر أهل الإيمان والعمل الصالح.

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَنَفْسٍ لَا يَشْبَعُ، وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ»!

### السلوك الحقيقي:

هلموا بنا نسير خلف أهل اليقظة والمعرفة، فمسؤوليتنا عظيمة والوقت قصير،

١- الخصال: ٤٣٣/٢، الحديث ١٧؛ علل الشرايع: ١١٥/١، باب ٩٦، الحديث ٩١؛ بحار الأنوار:

٣٩٥/٦٦، الباب ٣٨، الحديث ٧٨.

٢- الفوائد: ٣٨٥/١؛ بحار الأنوار: ١٨/٨٣، الباب ٣٨، الحديث ١٥.

كي لا تتخلف عن الركب؛ لأن المتخلفون عن الركب هم أضل من جميع الحيوانات وأحقر منها!

ولنكن من سالكي طريق الحق، ولتتمسك بتلابيب رجل هذا الطريق ونسأل الله الرحمن الرحيم أن يوفقنا خير توفيق، اذ من المحال على الله أن يرد استجداء السالك أو يبعده عن محضره أو يطرد مريداً مخلصاً عن أسوار حرمه.

وابدأوا سلوك طريق الحق بأداء الواجبات العبادية والأخلاقية والروحية والنفسية وترك جميع المحرمات الداخلية والخارجية، حينها سترون كيف سيشملكم الله بتوفيقه في هذا الطريق، وسرعان ما يوصلكم الى منزل المقصود الذي يشمل بلطفه وعنايته من تركوا كل شئ وتوجهوا اليه.

### تجلي عناية الحق في سلوك السالك:

لما كان السالك عارف بنقائصه وعيوبه، فانه سيستمد العون والنصيحة من خضر الطريق وهو النبي أو الامام أو العالم الرباني، حتى يتمكن من رفع هذه العيوب والنقائص، وستجلى له رحمة الحق بزيادة عشقه للعبادة وتجنبه الذنوب وشدة شوقه الى العمل، وهذا التجلي سينير باطن الانسان وظاهره، وسيدفعه للحركة نحو مقام القرب واللقاء ونقطة الوصال السامية.

صاحب كتاب نفحة الروح يقول حول هذا الموضوع:

إعلم وَّفَقَّكَ اللَّهُ تَوْفِيقَ أَهْلِ عِنَايَتِهِ وَأَوْفَقَكَ عَلَى سِرِّ هِدَايَتِهِ، أَنْ سُلُوكَ الطَّرِيقِ وَالْوَصُولَ وَالْحَصُولَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالتَّوْفِيقِ وَالْعِنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَعَلَامَةُ الْعِنَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ أَنْ يَمَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَفْسِ السَّالِكِ بِحَالَةٍ مِنَ الْإِنْتِبَاهِ تَرَاغِقُهُ طِيلَةَ الطَّرِيقِ، وَالْإِنْتِبَاهِ حَالَةٌ تَرُدُّ إِلَى النَّفْسِ مِنْ آخِرِ مَرَاتِبٍ وَدَرَجَاتِ النَّفْسِ اللَّوَامَةِ، حَتَّى

تستيقظ من نوم غفلة النفس الأمانة واللومة، وتسيطر على مجاري الأمور وبلائها وتحصل للنفس حالة من الانتباه والاطلاع لتجنب اتباع الهوى، وتدرك علو المنزلة ورفعة الشرف الذي ستحضى به النفس من اتباع الروح والعقل والشرع، وهذه الحالة أي الانتباه هي المقام الأول من المقامات التي يتوقف فيها أهل الطريق.

وإذا لم يتعرض للغفلة مرة أخرى، فهي حالة اليقظة التي تحصل للنفس مع القلب وتمنعها من العودة للغفلة مرة أخرى، وإذا ما تحققت هذه اليقظة وأطلع على بلاءات النفس ومساوئها، وعزم على ترك اتباع الهوى واتجه نحو اتباع الحق وطلبه، سيلقي الله تعالى في قلبه نوراً من الرغبة والرغبة أو المحبة كما ذكرنا سابقاً، مما يؤدي الى انابته، التي تعني: رجوع العبد عن الذنوب والمعاصي الى الباطن والتوجه بقلبه الى الحق تعالى، وعودة القلب عن كل ما سوى الله تعالى، ورجوع القلب الى الحق من غير الحق، وعلامة صحة انابته هي التوبة.

والتوبة تعني رجوع العبد حسب الظاهر عن الذنوب وترك المعاصي والنواهي والمنكرات في حاضر الحالات، والندم على التقصير في ما فرط وفات، وعلامة صحة التوبة والندم هو الحزن والغم على ضياع الانفاس والاقوات، وتقوية فرائض الطاعات عند الاستطاعة في حالة ارتكاب المخالفات.

والحزن حالة اذا ما تغلبت على السالك وسيطرة عليه، جعلته يتمسك بغير الحق وينشغل بغير الفاني، فينتهي به الامر الى الاشفاق.

والخوف هو حالة تغلب على السالك نتيجة للفتور التام، لأن الحزن على فوت وقت الماضي، والخوف من فوت وقت المستقبل، فيؤدي هذا الخوف الى حالة الاستيحاش من الأغيار وما سوى الله.

والاستيحاش هو والوحشة والملل من الأغيار وما سوى الله والانشغال بغير الحق، وهو يؤدي الى ظهور العديد من الأحوال، كالزهد الذي يعني عدم الرغبة فيما سوى الله، والفرار الذي يعني الهروب من غير الحق، والذهاب الذي يعني استمرار الفرار، والانزعاج الذي يؤدي الى الفرار والذهاب وأمثالها من الأحوال؛ وعند حصول الوحشة يجب الفرار من الخلق الى الحق، وطلب الخلوة، والخلوة توجب الفكر في سبب حصول الوصول وموجباته، والفكر ينتج الذكر، والذكر يوجب دوام المراقبة، وعند تحقق دوام الحضور والمراقبة تحصل في النفس حقيقة الحياء من الحق عند المخالفة والمعصية، وما أن يتغلب الحياء الحقيقي على النفس تتحقق حقيقة الأدب مع الله، والأدب يوجب رعاية الحدود الشرعية ومخالفة الأوامر المرعية تنتهي بالعديد من المعاصي الأصلية والفرعية.

ومراعاة الحدود تؤدي الى حصول القرب، وغاية القرب تؤدي الى الوصال، والوصال يؤدي الى الانس، والانس ناشئ عن الاذلال، والاذلال يؤدي الى السؤال، وسؤال الدرويش من الجواد القادر يوجب الاجابة والقبول<sup>١</sup>. قال تعالى:

﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾<sup>٢</sup>.

الفيض الكاشاني هذا السالك في طريق الحق، يقول:

(نحن لاشئ بدون وجود الحق تعالى ونمثل مظهراً من مظاهره فلسنا سوى صورة أما المعنى فهو انت جل جلالك، أنت الداعي وأنت المجيب لسؤالنا فان أصاب القلب الغم والحزن فانت المفرج للكربات، وكل من ينوي السير نحو

١- نفحة الروح، ص ١٣٧.

٢- غافر ٤٠: ٦٠.

رياض السعادة فمقصدنا وسيرنا هو لوصالك والقرب منك، وينهمك الناس في حساب النفع والضرر في الأسواق أما نحن فانت ربحنا وضررنا وانت سوقنا ومقصدنا، وكل يعرض الكمال للمشتريين أما نحن فلا نعرض سوى النقص لكن أنت المشتري والمكمل للنقص، وكل يجلس في دكان هذه الحياة للكسب والعمل أما نحن فانت كسبنا وعملنا وشغلنا الشاغل، وأغلب الناس يسعون الى الحانة للارتواء من الشراب لكننا لاشراب ولا ساقى لنا سوى محبتك وعشقتك).

### الغفلة علة أمراض الروح:

عندما يسير الانسان في وادي المعرفة، ويجعل من الأنبياء والأئمة والعلماء الواجدين للشرائط معلميه في حياته، ويبدل هذه المعرفة الى العمل، تمسك يد التوفيق بيده وتنتشله من فخاخ الهوى والشهوة، وتسلم نفسه للحق وتحررها من فخاخ كل أنواع الغرور، حينها يبتعد عن معاملة الآخرة بالدنيا التي تعد أسوأ أنواع المعاملة وأخسرها، فلا يكون كما قال الامام الصادق عليه السلام في بداية الرواية التي نقلناها في باب الغرور، أي لا يبيع الأفضل بالأدنى.

واستمرارا للرواية، يقول الامام الصادق عليه السلام:

«وَلَا تَعْجَبْ مِنْ نَفْسِكَ فَرَبُّمَا اغْتَرَّرْتَ بِمَالِكَ وَصَحَّةِ جِسْمِكَ  
أَنْ لَعَلَّكَ تَبْقَى»، فتغفل عن الموت والانتقال من عالم الى  
عالم آخر، وهذه الغفلة هي السبب في كل انواع أمراض  
الروح وعلة العديد من الذنوب والمعاصي.

«وَرَبُّمَا اغْتَرَّرْتَ بِطَوْلِ عُمْرِكَ وَأَوْلَادِكَ وَأَصْحَابِكَ لَعَلَّكَ تَنْجُو



بِهِمْ»، لكن الامر ليس كذلك فما أكثر من القبي في جهنم رغم كثرة الاولاد الأصحاب!.

«وَرَبِّمَا اغْتَرَرْتَ بِحَالِكَ وَمُنْتِكَ وَأَصَابَتِكَ مَأْمُولِكَ وَهَوَاكَ وَظَنَّتْ أَنَّكَ صَادِقٌ وَمُصِيبٌ»، اذ ليس كل حال ومال وامنية

تطابق الحقيقة، ما لم تنسجم مع الحقائق والوقائع الالهية.

«وَرَبِّمَا اغْتَرَرْتَ بِمَا تَرَى الْخَلْقَ مِنَ النَّدَمِ عَلَى تَقْصِيرِكَ فِي الْعِبَادَةِ وَلَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ مِنْ قَلْبِكَ بِخِلَافِ ذَلِكَ»، وهذا أشد أنواع الغرور وأخطره!!.

«وَرَبِّمَا أَقَمْتَ نَفْسَكَ عَلَى الْعِبَادَةِ مُتَكَلِّفًا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْأَخْلَاصَ»، فأصابك الغرور بهذه العبادة الاجبارية وتظن أنك فعلت شيئاً عظيماً في محضر الحق، لكن حقاً ماذا سينفع هذا الغرور بحالك، وهل ستجني شيئاً آخر غير الخسارة في الدنيا والآخرة!؟

«وَرَبِّمَا افْتَخَرْتَ بِعِلْمِكَ وَنَسَبِكَ وَأَنْتَ غَافِلٌ عَنْ مُضْمَرَاتِ مَا فِي غَيْبِ اللَّهِ»، فالله يعلم بمكنونات قلبك، لكنك تظن أنك أهل للمدح والثواب والله يعلم بحقيقتك ومدى سوءها وتلوثها!!.

«وَرَبِّمَا تَدْعُو اللَّهَ وَأَنْتَ تَدْعُو سِوَاهُ»، فيصيبك الغرور بهذا الدعاء الكاذب فتظن أنك من أهل الدعاء مع أنك من أهل الرباء!!.

فيمثل هذا القلب الملوث والغارق في الظلام والخداع والحيلة وفي محضر

الحق تعالى، لا يمكن للإنسان أن يصل إلى مكان، بل سيقرب لنفسه الهلاك والفضيحة.

والنتيجة أن هذه الصفات السيئة ستبقى كالأضرار المزمنة التي لا يمكن إصلاحها إلا بالاستئصال، إذ لا يمكن انقاذ النفس من هذه الأمراض الروحية إلا بواسطة رادع قوي، وقد سمعت من أحد المؤمنين، أنه قال:

لقد ارتكبت في أوائل عمري عملاً مخالفاً للشرع، ثم تبت إلى الله من هذا العمل، وبعد عدة ليالي رأيت في المنام أن أحداً قد عرض أمامي صحيفة عملي وكان مكتوب فيها ذلك العمل، فقلت في نفسي: سبحان الله لقد تبت من ذلك العمل، لماذا لا يزال مكتوباً هنا؟ فأجابني ذلك الشخص: إنما تتمكن من محو هذه الكتابة إذا تمكنت من محو أثرها في نفسك، والألا لا يمكن محوها، وهذا كناية عن البكاء والاستغائة كما ذكر.

«وَرَبِّمَا حَسِبْتَ أَنَّكَ نَاصِحٌ لِلْخَلْقِ وَأَنْتَ تَرِيدُهُمْ لِنَفْسِكَ أَنْ يَمِيلُوا إِلَيْكَ»، فلم يكن قصدك من ذلك سوى جذب قلوبهم اليك وليس بسبب الخوف والخشية من الله!!.

**غفلة العالم:**

قال المحققون:

إذا كان الواعظ محروماً من اتباع أقوال وأفعال الأنبياء، وكان يبتغي من وعظه طلب الشهرة وإظهار فضله، لم يكن لكلامه تأثيراً على الحاضرين؛ بل سيتعرض باطن المستمع إلى آفات عظيمة نتيجة لمساوي غفلة هذا الواعظ.

أعزائي! أيها العلماء الحقيقيين والمشايخ المعنويين ما أن تضعوا قدمكم

المبارك على منبر الوعظ، عليكم أن تتجنبوا الغرور والتظاهر، وتعتبروا كل طاعة مستحبة للناس واجبة وسنة عليكم، كما جاء في شأن أهل الكتاب:

﴿آتَاْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾!

وهذه الأمة أيضاً تدخل في هذا المعنى، فبعضهم يظهر نفسه بصورة العلماء وينشغل بالتظاهر والرياء والجري وراء مصلحتهم ومنفعتهم بواسطة الغش والخداع ليجعلوا من أنفسهم محل استهزاء ايليس، والبعض الآخر يكتسي لباس الفقر، ويعمد عن جهل وتقليد الى التظاهر بالعبادة فيتوشح سجادة صلاته على الدوام، لكن عقله وفكره يغفل عن غايتها.

عزيزي! على الكامل أن يعرض أهل النقص والعيوب، وعلى الواعي أن يوقظ النائمين وأهل الغفلة، فالجاهل كالأعمى الذي يفتقد المرشد والدليل وكالمريض الذي يفتقد الحكيم والطبيب!

الهي! احفظنا من المهالك، وأنر باطن قلوبنا وظاهرها بنور رحمتك وعنايتك، فنحن عاجزون عن الحركة وما لم تأخذ بأيدينا سنسقط حتماً في وادي الغفلة والخسران، وسيغلق أمامنا باب الخلاص والنجاة.

(الهي هب لي أجنحة لأخلق بها نحو الحق، وهب لي لقمة من عظيم قدرك ولا تجعلني عاجزاً كشيخ كبير، ولا تجعلني أسعى لغير الحق بلا فائدة كعصفور يبحث عن غذائه، واجعلنا نستمر بسعيينا ونبذل أقصى جهدنا في طريق الوصول الى الحقيقة ومعرفة الحق، ولا ترد ما حملته قلوبنا من آمال ولا توقف سعيينا في الوصول الى الحقيقة، وقربنا من معرفة الله حتى نتمكن من معرفة الحقيقة، كما

قربت عيسى روح الله ليكون رفيقا للحجة المهدي عند ظهوره).

فآه من أولئك المغرورين وقُطَاع طريق الانسانية، وآه من أولئك المتظاهرين بصفات أهل الطريق والسلوك لكن لانسبة لهم بحقائق العلم والعرفان، ولا يبتغون سوى الجري وراء الشهوة والبطن، لكنهم مع ذلك يتظاهرون بلباس أهل العلم، والأدهى منه يتقلدون صفة المعلم ويتصدون لدعوة الناس الى الطريق بواسطة بعض الادعاءات الواهية البعيدة عن الحقيقة، وينصبون مكائدهم في طريق السذج والبسطاء لخداعهم حتى يصلوا بواسطتهم الى المال والمنال، ويحققوا رغبات البطن والشهوة وأوهامهم الشيطانية، فهؤلاء قد اتخذوا دين الله وآيات القرآن والروايات لعباً وهزواً، واستهزؤا تماماً بكل معاني الانسان والانسانية.

فهم جاهلون لكنهم يدعون العلم، أسرى ويدعون الحرية، ملوثون ويدعون الطهارة والنقاء، حزني ويدعون السعادة، محتاجون الى المعلم ويدعون أنهم أستاذة، محتاجون الى الموعدة ويدعون أنهم من أهل الوعظ، أهل الضلالة ويدعون أنهم من أهل الهداية، فقد فرشوا بساط الخداع والمكر والغل والغش وجلسوا يتصيدون الناس وبعد نجاحهم في صيد عباد الحق يزداد في نفوسهم الغرور أكثر فأكثر، فيمتطون صهوات جيادهم مسرعين نحو الضلالة والاضلال.

كلام أمير المؤمنين عليه السلام حول العلماء الغافلين:

أمير المؤمنين علي عليه السلام، شعلة العلم والمعرفة والقمة الشامخة في الايمان،

يقول عن هؤلاء الغافلين:

«وَأَخْرَجَ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ، فَأَقْبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَالِ

وَأَصَالِيلَ مِنْ ضَلَالٍ، وَنَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكًا مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ  
وَقَوْلٍ زُورٍ!.

وفي شرحه لهذه العبارة والعبارات التي تلتها، قال العلامة الجعفري:

لقد سعى سعيه وبذل جهده وسهر الليالي وقضى الأيام، لاثبات أنه من أهل العلم والفضل، ويجب أن يهرول الناس للاستفادة من علمه؛ لأن هذه الجاهل قد جعل هدف حياته في المدح والتمجيد وقول (أحسن) وسماع صوت وقع الأقدام خلفه، وحيرة الناس وتعجبهم من علمه وعظمته!!.

فحفظ بعض الاصطلاحات من ذلك الكتاب وبعض الألفاظ من هذه الرسالة، وتقمص شكل بعض الاساتذة وحركات عيونهم وبعض تصرفاتهم العرفانية، وأصبح لا يرى أنه مالك علوم الأولين والآخرين وكل معرفة الوجود فحسب؛ بل لو لم يكن يخشى كلام الواعين وأهل الفكر والتدبير، لأدعى أنه تلميذ الله في ايجاد الوجود، واذا ماسمح له الظرف والزمان وتركه أهل الفكر والمعرفة، لأدعى تدريجياً أنه الاله المطلق!!.

وأحياناً يكتسب هؤلاء الصيادين مهارات عديدة، فلأجل تحميل مطالبهم ورغباتهم يظهرون أنفسهم بهيئة عجيبة من الوقار والعلم ينخدع بها تماماً السذج والبسطاء، بحيث ما أن يشاهدوا هذه الهيئة حتى يفقدوا السيطرة على أنفسهم ويتخضعوا لهم، وبعد أن أشد الطلب على دكان هذا البائع الجاهل وتقاطر عليه المشترين، يعمد تدريجياً الى إيقاع العديد من السذج في فخاخه ومكائده، عندها يتيقن تماماً من أهميته وعظمته ويقول في نفسه، نعم لو لم أخلق في هذه

الدنيا لما تحققت حكمة اله الوجود!! وحقاً، أسأل الله تعالى أن يلبس جميع المرضى لباس العافية، آمين يارب العالمين.

«قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ، وَعَظَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ، يُؤْمِنُ  
النَّاسَ مِنَ الْعَظَائِمِ، وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ»<sup>١</sup>.

وإذا ما اعترف المنحرف عن طريق الحق بمحدودية علمه وفكره، فحتماً سيفقد الفخ الذي نصبه في طريق الناس رونقه وتأثيره عليهم، فماذا يفعل حينئذ؟ وواضح جداً ما الذي سيفعله، ينبغي أولاً تعطيل عقله وضميره عن العمل، ولايسمح لهاتين الوسيلتين المعرفة والعمل اللتين تستندان الى حكمة هداية الناس التدخل في هذا الموضوع، فيعمد الى تحريف القرآن والسنة وغيرها من المصادر الالهية، وتفسيرها كيفما شاء حسب ماتقتضيه أهواؤه ورغباته، ويعرّف نفسه بأنه العالم بمعارف القرآن، حتى يتمكن بواسطته جذب الجميع نحوه ويشعرهم بحاجتهم اليه!!.

وبالطبع ينطبق كلام امير المؤمنين عليه السلام على بعض الصيادين الذين ينصبون شباكهم وفخاخهم الخاصة لاصطياد السذج والبسطاء.

في حين تزخر مجتمعاتنا بمجاميع كثيرة تتلبس أنواعاً أخرى من الامتيازات والمهارات مورد قبول الناس، وحتى يحققوا مقاصدهم الحيوانية يعرضوها أمام السذج والبسطاء بأشكال وصور مختلفة، مثل: العلم، الفلسفة، الفن، السياسة، القضاء، وحتى يتصفون بصفات أهل العرفان، ويعرضون كل هذه الامتيازات بكميات وكيفيات مختلفة وفي ظروف مختلفة، لخداع البسطاء واضلال الفقراء

١- نهج البلاغة: الخطبة ٥٨٦ بحار الأنوار: ج ٢، ص ٥٦، الباب ١١، الحديث ٣٦.

والمساكين، لكن هؤلاء الحمقى لا يعلمون أن:

﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ  
وَمَنْ فِيهِنَّ﴾<sup>١</sup>.

﴿يُؤْمِنُ النَّاسُ مِنَ الْعَظَائِمِ، وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ﴾<sup>٢</sup>.

فهؤلاء يجذبون الناس اليهم دائماً من على بعد عدة أميال، فالناس عادة ما يرغبون بعيش حياة رغيدة مقرونة بالراحة واللذة، ولا يشتركون أبداً في الحوادث المهمة، وما أن يرتكبوا ذنباً حتى يسعوا الى تفسيره وتبريره بأي وسيلة كانت، ويقللون من أهميته، واذا ماتمكنوا من تفسيره وتبريره يتذكرون حينها ﷻ وعنايته. وبالطبع، تكون روح التفاؤل وخاصة الامل بلطف الله وعنايته من الأمور المطلوبة جداً، وتوجد الكثير من الآيات والروايات التي تحض على هذين الموضوعين ولانحتاج هنا الى ذكرها والتفصيل بتوضيحها، لكن ما هو المهم في هذا الموضوع أن ﷻ ولطفه انما تتعلق باصلاح الأخطاء التي تحصل في شخصية الانسان.

واذا ما ارتكب أحدى الكبائر أو حتى لو ارتكب ذنباً صغيراً، فانما ارتكبه نتيجة لعدم اهتمامه بالله الذي عصاه، مما يؤدي الى تهديم الهيكل العام لشخصية الانسان، وبالتالي لايبق مجال للاصلاح، فهو كالشرك والتجري على مقام الربوبية الشامخ وقتل النفس البريئة وغيرها. وتوجد الكثير من الآيات والروايات التي تبين أن نتائج الذنوب والأعمال السيئة مثل المعاليل التي تظهر كنتيجة حتمية

١- المؤمنون ٢٣: ٧١.

٢- نهج البلاغة: الخطبة ٨٦.

لعلها، كما في الآية التالية:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾<sup>١</sup>!

وبالنظر الى المصادر الاسلامية، يمكن استنباط هذا الأصل الأساسي، أن: رحمة الله وألطفه الخفية والجلية، قد شملت جميع الوجود ومن ضمنها الانسان:

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾<sup>٢</sup>.

ومن جهة أخرى، ضرورة المحافظة الحقيقية عن الموجدية حتى تتمكن من الوصول الى الاستعداد اللازم لقبول تلك الرحمة الواسعة، لذا يجب على المرين والمعلمين في المجتمع توضيح كلا العنصرين للناس، ولا يكتفوا ببيان عنصر واحد بحيث يكون اما مخالفاً لهذه المجموعة من الآيات والروايات التي تفيد عمومية الرحمة واللفظ والعناية الالهية، أو مخالفاً لتلك المجموعة من الآيات والروايات التي تفيد ضرورة تبين نتائج الأعمال، وهذا هو الأصل المعروف باسم «أصل الخوف والرجاء»:

﴿يَقُولُ: أَقْفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ، وَفِيهَا وَقَعَتْ وَيَقُولُ: اَعْتَزِلُ الْبِدْعَ، وَيَبْنَاهَا اضْطَجَعَ﴾<sup>٣</sup>.

إن هؤلاء المنحرفين صيادي الانسان، يدعون انهم يختصون بترية وتهذيب

١ الزلزال ٩٩: ٧-٨

٢ الأعراف ٧: ١٥٦.

٣- نهج البلاغة: الخطبة ٨٦



السالكين والطالبيين للكمال، ويبرؤن ساحتهم من الورود الشجاع في الشبهات حتى يخرجوا أنفسهم من زمرة أولئك الذين قد يتعرضون للوم والعتاب بسبب ورودهم في الشبهات!.

فهم لا يريدون أن يفهموا أن جرأتهم وشجاعتهم في ارتكاب الأعمال السيئة أسوء من الورود في الشبهات، وبالتالي لا يبق لهم مورد للحياء والامتناع عن الورود في الشبهات؛ لذا يسعون من اطلاقهم مثل هذا الادعاء بأنهم لا يرتكبون أبداً حتى الشبهات، أن يصرفوا أذهان الناس عن ملاحظة الذنوب الصريحة التي يرتكبوها.

فهم ينكرون سعيهم لادخال كل ما ليس من الدين في الدين، واخراج كل ماهو من الدين (البدعة)، ويبرؤن ساحتهم من هذه الوقاحة، في حين أن أفكارهم بعيدة تماماً عن معنى الدين الحقيقي، وكل ما يهمهم الدكان الذي يروجون فيه لأنفسهم والفتح الذي ينصبوه في طريق الناس؛ لذا لا يهتمون بما هو داخل في الدين أو خارج عنه من العقائد والأحكام.

وفي هذا الموضوع، يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«فَالصُّورَةُ صَوْرَةٌ إِنْسَانٍ، وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَّوَانٍ، لَا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعُهُ وَلَا بَابَ الْعَمَى فَيَصُدُّ عَنْهُ، وَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ»<sup>١</sup>.

ان التشابه بين الهيئة والصورة كان دائماً يقف حائلاً في طريق الطالبيين للحقيقة، بحيث لم يتمكنوا منذ بداية هذا الاشكال وحتى الآن من الفصل بين الصورة والمعنى وبين الظاهر والباطن، لهذا أخذوا بالصور والمظاهر الجميلة

لمتصنعي السير والسلوك، ولم يحصلوا على أي ثمرة من سعيهم وجهودهم في هذا المجال.

وأحياناً يظهرون لنا حيوانات شبيهة بالإنسان بهيئة أبهى وأفضل حتى من الإنسان الحقيقي، ويظهرون لنا مربية أشد حناناً من الام، واناةً أشد حرارة من أناة الغذاء، وكاثوليكيةً أشد تعصباً من البابا نفسه، وسلماً أشد اسلاماً من علي ابن أبي طالب. وفي هذه الحالة ليكون الله في عون أولئك الطالبين للحقيقة من السذج والبسطاء، الذين لازالوا يعجزون عن التمييز بين الصورة والمعنى.

يقول مولوي:

(لطالما تعرض الناس للضلال والضياع من هذا السبب أو وصل من خلاله أبدال الحق الى المعرفة، فلطالما اختلطت عليهم الصورة فلم يميزوا بين الصورة والمعنى فاعتبروا الأنبياء مثلهم، وقالوا هم ونحن من البشر ولا فرق بيننا كلانا يأكل ويشرب، لكنهم لم يدركوا عظمة الفرق بين العمى والنور، فانظر الى النحل كلاهما يأكل من محل واحد لكن أحدهما للعمل والأخر ينتج العسل، وانظر للغزال كلاهما يأكل من نفس النبات ويشرب من نفس الماء لكن أحدهما يفرز الروث والأخر ينتج المسك والعطر، وتوجد الآلاف من هذه الأمثال التي يتسع الفرق بينها كثيراً رغم مصدرها الواحد، فمن يتخذ هذا الفهم سينتهي به الأمر الى الحمق والجهل ومن يتخذ ذلك الفهم سيشرق بنور الله، وسيجلب هذا الفهم البخل والحسد وذلك الفهم سيجلب نور الله والحقيقة والمعرفة، فهذه أرض طيبة خصبة وتلك أرض مالحة سيئة وهذا ملائكة طاهرة وتلك شيطان رجيم).

ان الأضرار التي لحقت بالقيم الانسانية العليا من أفعال الحيوانات المتمثلة بالإنسان، وسودت صحائف التاريخ، وأضاعت حقوق الناس، وزينت للناس

البسطاء السذج الباطل بمظهر جميل ومخادع، كانت أشد من الأضرار التي ألحقتها الحيوانات الحقيقية بالبشرية.

ولا نجد تعبيراً يصف هؤلاء الصيادين أفضل وأنسب من تعبير «أموات بين الأحياء»، لكن يمكن التعبير عن كلام أمير المؤمنين عليه السلام بقريئة أخرى، فنقول: هم ليسوا أمواتاً نخرة أعظاهم، بل هم أموات مؤذون، فأذاهم وضررهم يصيب الأحياء من شدة تعفن رائحتهم بسبب موت عقولهم وضمائرهم، فتؤذي هذه الرائحة العفنة مشام أولئك الباحثين عن رياض الحقيقة.

فعندما يموت العقل والضمير في داخل الانسان، يفقد القدرة على تشخيص الحق والباطل والهداية والضلالة، التي تمكنه من السير برؤية واضحة في هذه الدنيا، وهنا ينبغي القول: ان ظاهر الحياة أو الحياة الظاهرية غير الحياة الحقيقية؛ لأن عقل الانسان وضميره هما ركن أساسي في الحياة الحقيقية أو الحياة المعقولة، واذا ما ذهبا لن تبقى حينئذ حياة حقيقية أو حياة معقولة.

عليكم الاكثار دائماً من الدعاء، أن لا يكلنا الله العزيز الى انفسنا طرفة عين، وأن لا يرد أيدينا التي تستجدي رحمته ولطفه، لأننا اذا ما وقعنا في هذا البلاء نكون قد جنينا على وجودنا وشخصيتنا الالهية، وأغلقتنا طريق عباد الله، ولم يكن ذلك سوى الثمرة المرة للغرور والعجب والتكبر، ولن نتخلص من شر هذه الصفة الشيطانية إلا بالتوجه والذكر الدائم لله تعالى.

الغرور حجاب يحول بين الانسان والحقائق:

وفي المقطع الآخر من رواية الغرور، يقول الامام الصادق عليه السلام:

«وَرَبِّمَا ذَمَمْتَ نَفْسَكَ وَأَنْتَ تَمْدَحُهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ. وَهَذَا أَيْضاً

من نتائج الغرور».

بلا شك لن تنجو من مساوي الغرور وحيل الشيطان ورغبات النفس الخاطئة،  
 إلا بالانابة الصادقة، والرجوع والعودة الى حضرة الأحدية، والبكاء والتضرع  
 والخشوع الى محضر الحق، والتعرف على عيوب النفس وحيلها وأساليب  
 خداعها التي تمتاز بدقتها وغاية خفائها وعدم موافقتها للعقل والعلم والدين  
 والشريعة والسنن والطريقة.

وان كنت راضياً عن نفسك مع وجود كل هذه الأخطار وعيوب النفس،  
 وأبعدت عن نفسك كل تقصير، فاعلم أنك وقعت أسيراً لخفة العقل ووضاعة  
 الرأي، فمرحى لشقاء نفسك وسونها التي لم تتعرف على طباعها طيلة هذه المدة  
 المديدة والعهد البعيد، ولم تعرف منجياتها ومهلكاتها!

واعلم أنه لا يوجد أحد قد أضاع عمره كما فعلت، ولم يقع في حسرة  
 كحسرتك يوم القيامة.

وحول هذا الموضوع لا نجد عبارة أدق وأسمى من عبارة مولى الموحدين  
 وأمير المؤمنين عليه السلام، حيث يقول:

«بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمَوْعِظَةِ حِجَابٌ مِنَ الْغُرَّةِ»<sup>١</sup>.

العلامة الخوئي في «شرح نهج البلاغة» في توضيح هذه الجملة، يقول:  
 الغرور والغفلة من النتائج الخطيرة للشهوة وحب الدنيا واتباع الهوى والتهاون  
 في الوصول الى الحقائق والوقائع، والخلاصة هي ثمرة رذائل الأخلاق.  
 فلو كان هم الانسان في هذه الدنيا هو اللهاث خلف الغرائز الجسدية  
 والحيوانية، لوقع على قلبه حجاب الحزن ولا تغلقت عين بصيرته، فيصبح عاجزاً

١- نهج البلاغة: الحكمة ٢٨٢؛ غرر الحكم: ٢٦٦، حديث ٥٧٦١.

عن رؤية الحقيقة، حتى لو على صوت الحقيقة الى أعلى درجاته وأمتلاً العالم بدعاة الحقيقة. وضخامة هذا الحجاب تكون أحيانا كبيرة جداً الى درجة أنها قد تمنع القلب من استنشاق هواء الحقيقة فينتهي به الأمر الى الموت ويتحول صاحبه الى موجود بلا شعور، ويعجز عن ادراك الحقيقة، كما يقول القرآن:

﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾<sup>١</sup>.

قصة معبرة عن المنصور الدوانيقي:

ينقل العلامة الخويبي في كتاب «شرح نهج البلاغة» قصة معبرة عن المنصور

الدوانيقي، فيقول:

بينما المنصور يطوف ليلاً بالبيت سمع قائلاً يقول: اللهم إليك أشكو ظهور البغي والفساد، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع. فخرج المنصور فجلس ناحية من المسجد، وأرسل إلى الرجل يدعو، فصلى ركعتين، واستلم الركن، وأقبل على المنصور فسلم عليه بالخلافة، فقال المنصور: ما الذي سمعتك تقوله من ظهور البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع؟ فوالله لقد حشوت مسامعي ما أرمضني، فقال: يا أمير المؤمنين، إن أمنتني على نفسي أنبأتك بالأمر من أصولها، وإلا احتجرت منك، واقتصرت على نفسي فلي فيها شاغل، قال: أنت آمن على نفسك، فقل، فقال: إن الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين إصلاح ما ظهر من البغي والفساد لأنت قال: ويحك! وكيف يدخلني

الطمع والصفراء والبيضاء في قبضتي، والحلو والحامض عندي! قال: وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك! إن الله عز وجل استرعاك المسلمين وأموالهم، فأغفلت أمورهم، واهتممت بجمع أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجبا من الجص والاجر، وأبوابا من الحديد، وحجته معهم السلاح، ثم سجت نفسك فيها منهم، وبعثت عمالك في جباية الأموال وجمعها، فقويتهم بالسلاح والرجال و الكراع، وأمرت بالا يدخل عليك إلا فلان وفلان، نفر سميتهم، ولم تأمر بإيصال المظلوم والملهوف، ولا الجائع والفقير، ولا الضعيف والعمري، ولا أحد ممن له في هذا المال حق فما زال هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك، وآثرتهم على رعيتك، وأمرت ألا يحجبوا عنك، يجبون الأموال ويجمعونها ويحجبونها، وقالوا: هذا رجل قد خان الله، فما لنا لا نخوته، وقد سخرنا! فائتمروا على ألا يصل إليك من أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا، ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم إلا بغضوه عندك وبغوه الغوائل، حتى تسقط منزلته ويصغر قدره. فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابوهم، وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليقووا بها على ظلم رعيتك، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا به ظلم من دونهم فامتلات بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا، وصار هؤلاء القوم شركائك في سلطنتك وأنت غافل، فإن جاء متظلم حيل بينه وبين دخول دارك، وإن أراد رفع قصته إليك عند ظهورك وجدك وقد نهيت عن ذلك، ووقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم، فإن جاء المتظلم إليه أرسلوا إلى صاحب المظالم ألا يرفع إليك قصته، ولا يكشف لك حاله، فيجيبهم خوفا منك، فلا يزال المظلوم يختلف نحوه، ويلوذ به، ويستغيث إليه وهو يدفعه، ويعتل عليه، وإذا أجهد وأحرج،

وظهرت أنت لبعض شأنك صرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره، وأنت تنظر ولا تنكر، فما بقاء الاسلام على هذا! ولقد كنت أيام شببتي أسافر إلى الصين فقدمتها مرة وقد أصيب ملكها بسمعه، فبكى بكاء شديدا، فحداه جلساؤه على الصبر، فقال: أما إني لست أبكى للبلية النازلة، ولكن أبكى للمظلوم بالباب يصرخ فلا أسمع صوته! ثم قال: أما إذ ذهب سمعي فإن بصري لم يذهب، نادوا في الناس ألا يلبس ثوبا أحمر إلا مظلوم، ثم كان يركب الفيل طرفي نهاره ينظر هل يرى مظلوما! فهذا مشرك بالله غلبت رأفته بالمشركين على شح نفسه، وأنت مؤمن بالله من أهل بيت نبيه لا تغلبك رأفتك بالمسلمين على شح نفسك! فإن كنت إنما تجمع المال لولدك فقد أراك الله تعالى عبدا في الطفل يسقط من بطن أمه، ماله على الأرض مال، وما من مال يومئذ إلا ودونه يد شحيحة تحويه، فلا يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه ولست بالذي تعطى، ولكن الله يعطى من يشاء ما يشاء، وإن قلت: إنما أجمع المال لتشييد السلطان، فقد أراك الله عبدا في بنى أمية، ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة، وأعدوا من الرجال والسلاح والكرام حين أراد الله بهم ما أراد، وإن قلت: أجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنا فيها، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بخلاف ما أنت عليه، انظر هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل؟ قال: لا قال: فإن الملك الذي خولك ما خولك لا يعاقب من عصاه بالقتل، بالخلود في العذاب الأليم! وقد رأى ما قد عقدت عليه قلبك، وعملته جوارحك، ونظر إليه بصرك، واجترحت يداك ومشت إليه رجلاك. وانظر هل يغني عنك ما شححت عليه من أمر الدنيا إذا انتزع من يدك ودعاك

إلى الحساب على ما منحك! فبكى المنصور وقال: ليتني لم أخلق! ويحك فكيف أحتال لنفسي؟ قال: إن للناس أعلاما يفرعون إليهم في دينهم، ويرضون بقولهم، فاجعلهم بطانتك يرشدوك، و شاورهم في أمرك يسدوك، قال: قد بعثت إليهم فهربوا مني قال: نعم خافوا أن تحملهم على طريقك، ولكن افتح بابك، وسهل حجابك وانظر المظلوم، واقمع الظالم، وخذ الفئى والصدقات مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل على أهله، وأنا الضامن عنهم أن يأتوك ويسعدوك على صلاح الأمة. وجاء المؤذنون فسلموا عليه، ونادوا بالصلاة، فقام وصلى، وعاد إلى مجلسه، فطلب الرجل فلم يوجد.

أيها القراء الأعزاء! ان هذه الموعظة البليغة والنصيحة العظيمة التي نصح بها هذا الرجل المنصور، لو قرأت على جبل لانهت من مكانه ولم يبق منه إلا ترابا، لكن هذا الحاكم الأحمق عاد الى بغداد واستمر في ظلمه واراقتة دماء الأبرياء، ولوث يده بقتل الامام الصادق عليه السلام، وسرق ملايين الدراهم والدنانير من حقوق الناس المستضعفين، وترك للباقيين من هو أظلم منه. نعم، ان هذه الصفة المذمومة والقيحة الغرور، هي حقاً كما وصفها الامام علي عليه السلام، حجاب بين المغرور والموعظة الالهية!!



الباب

(٣٧)

في صفة المنافق



قال الصادق عليه السلام:

الْمُنَافِقُ قَدْ رَضِيَ بِعُودِهِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ يَأْتِي بِأَعْمَالِهِ الظَّاهِرَةِ شَبِيهَاً  
بِالشَّرِيعَةِ وَهُوَ لَاهٍ لَاحٍ بِأَغِيبِ الْقَلْبِ عَنْ حَقِّهَا مُسْتَهْزِئٌ فِيهِ.  
وَعَلَامَةُ النِّفَاقِ قِلَّةُ الْمَبَالَاةِ بِالْكَذِبِ، وَالْخِيَانَةِ، وَالْوَفَاقَةِ، وَالِدَّعْوَى بِبِلَا  
مَعْنَى، وَسُخْنَةُ الْعَيْنِ، وَالسَّفَهُ، وَقِلَّةُ الْحَيَاءِ، وَاسْتِصْغَارُ الْمَعَاصِي،  
وَاسْتِضَاعُ أَرْبَابِ الدِّينِ، وَاسْتِخْفَافُ الْمَصَائِبِ فِي الدِّينِ، وَالْكَبْرُ، وَحُبُّ  
الْمَدْحِ، وَالْحَسَدِ، وَاسْتِثَارُ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَالشَّرُّ عَلَى الْخَيْرِ، وَالْحَثُّ  
عَلَى النَّيْمَةِ، وَحُبُّ اللَّهْوِ، وَمَعُونَةُ أَهْلِ الْفِسْقِ وَالْبَغْيِ، وَالتَّخَلُّفُ عَنْ  
الْخَيْرَاتِ، وَتَنْقِصُ أَهْلِهَا، وَاسْتِحْسَانُ مَا يَفْعَلُهُ مِنْ سُوءٍ، وَاسْتِثْبَاحُ مَا يَفْعَلُهُ  
غَيْرُهُ مِنْ حَسَنٍ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: «وَمِنَ  
النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ  
انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ»<sup>١</sup>.  
وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ أَيْضاً فِي صِفَتِهِمْ: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ  
وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ \* يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ  
إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ \* فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً»<sup>٢</sup>.  
وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الْمُنَافِقُ إِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا فَعَلَ أَفْسَى، وَإِذَا قَالَ

١- الحج ٢٢: ١١.

٢- البقرة ٢: ٨-١٠.

كَذَبَ، وَإِذَا ائْتَمَنُ حَانَ، وَإِذَا رُزِقَ طَاشَ، وَإِذَا مُنِعَ غَاشَ.  
وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَيضاً: مَنْ خَالَفَ سَرِيرَتَهُ عَلَانِيَتَهُ فَهُوَ مُنَافِقٌ كَائِنًا مَنْ  
كَانَ وَحَيْثُ كَانَ وَفِي أَيِّ زَمَانٍ كَانَ وَفِي أَيِّ رُتْبَةٍ كَانَ.

«الْمُنَافِقُ قَدْ رَضِيَ بِبُعْدِهِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ يَأْتِي بِأَعْمَالِهِ الظَّاهِرَةِ شَبِيهًا  
بِالشَّرِيعَةِ وَهُوَ لَاهٍ لَاحٍ بِأَلْفِ بَاغٍ بِالْقَلْبِ عَنِ حَقِّهَا مُسْتَهْزِءٌ فِيهَا».

## النفاق والمنافق:

يبين الامام الصادق عليه السلام في هذا الباب، الوجه القبيح للمنافق.  
فالمنافق هو ذلك الانسان الخبيث الذي لم يشهد التاريخ له مثل ولم يذكر لنا  
شخصاً أكثر منه شراً وضرراً وتلوثاً وظلماً مثله.  
والمنافق متعدد الوجوه، جاسوس، عميل للاجنبي، خائن، ظالم وشخص بلا  
دين، وموجود منحرف، وحيوان خطر جداً في لباس انسان.  
والمنافق انسان متقلب، مخادع، غشاش، محتال، عديم الكرامة والمنزلة،  
مورد غضب الله تعالى واوليائه.

والنفاق مرحلة خطيرة، ووجه جريء، وصفة منحرفة وحالة مرضية مؤلمة.  
فالمنافق يسعى الى صنع مكانة مهمة له في المجتمع بواسطة الحيلة والخداع  
والتظاهر بمظهر الانسان المتدين الصالح لتنفيذ مآربه الخبيثة وخدمة اسياده  
الظلمة واعانة الشياطين على تحقيق اهدافهم المشؤمة، ولايتوانى أبداً عن الحاق  
أشد الاضرار بالمسلمين وشؤونهم الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والدينية

والدنيوية والأخروية.

وكان هؤلاء المنافقين موجودون حتى في زمان نبي الاسلام ﷺ، وحتى لا يفتضح أمرهم أخفوا وجههم الحقيقي بلباس الدين والتدين. ويسعى المنافقون دائماً الى القضاء على الاسلام والمسلمين، لكن ارادة الحق كانت طيلة مراحل التاريخ سداً قوياً بوجه الكفر والشرك والنفاق ولم تسمح لهم بتحقيق هذا الهدف المشؤم. نعم، هذا هو النفاق والمنفاق.

والآن دققوا في معنى قول الامام الصادق عليه السلام:

ان المنافق قد رضي بعقيدته الخبيثة وعمله القبيح بالابتعاد عن ركن الواسعة؛ لأن هذا الوجه الخبيث قد أظهر أعمال الرياء والخداع بصورة الأعمال الشرعية، حتى لا يطلع أحد على أهدافه الشيطانية.

فالمنافق ممثل مخادع ضال ومتجاوز على حدود الله، قد شوه الحقيقة واستهزء بمساعي وجهود جميع الانبياء والأولياء والصالحين والمرين الحريصين، لكنه غفل عن نهاية هذه الصفة المذمومة وهي غضب الله وسخطه والابتعاد عن رحمته والسقوط في أسفل درجات جهنم.

### المنافق في القرآن:

بين القرآن الكريم في كثير من سوره الأعمال المشؤمة والمؤامرات الخبيثة للمنافقين ضد الاسلام والمسلمين.

وقد أمارت القرآن اللثام عن الوجه الخبيث لهذه المجموعة الخطرة في عدة سور، منها: البقرة، آل عمران، التوبة، الأحزاب، الفتح، الانفال، الحديد، العنكبوت،

والتحريم، وأنزل سورة كاملة بأسم المنافقون خصصها لتوضيح صفاتهم وأهدافهم.

وقد بين القرآن الكريم حالة المنافقين تحت هذه العناوين:

١- ان حالة النفاق عند الناس أمر قلبي ويعود أساس هذا المرض وأصله الى القلب وما شعرون به، فلما لم يكن لديهم قلب سالم مؤمن يحمل المحبة والايان لذا هم من الناحية العملية أسوء من الكفار والحيوانات الوحشية!!<sup>١</sup>

٢- المنافقون يقفون ضد الاسلام والمسلمين ويناصرون الكفار والمشركين ويبدلون ما أمكنهم لمساعدة الكفار في القضاء على القرآن والاسلام.<sup>٢</sup>

٣- ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>٣</sup>.

٤- ينظر المنافقون الى المسلمين بأنهم مغرورن بدينهم ولا يمتلكون أية قدرة و يترصون بهم وتوقعون هزيمتهم، وهم لا يعلمون أن المسلمين قد توكلوا على الله ومن يتوكل على الله لا يتعرض للهزيمة.<sup>٤</sup>

٥- هؤلاء المنافقين البعيدين عن الايمان والمعرفة ينظرون الى وعد الله ورسوله بأنه نوع من الغرور والخداع والكذب، ولا يعتقدون بتعاليم الله وأوامره ولا يؤمنون بآياته.<sup>٥</sup>

١- التوبة ٩: ٧٧.

٢- الحشر ٥٩: ١١.

٣- التوبة ٩: ٦٧.

٤- الأنفال ٨: ٤٩.

٥- الأحزاب ٣٣: ١٢.

٦- المنافقون لا يقرون بوحدانية الحق ورسالة الرسول الأكرم، وهم يكذبون بشهادتهم والله عليم بما في قلوبهم والله يشهد ان المنافقين لكاذبون<sup>١</sup>.

٧- تواجه هذه المجموعة الخبيثة دعوة الله ورسوله وتقف ضدها، وازضافة الى عدم ايمانهم يسعون أيضاً الى ابعاد الناس عن الايمان وازعافه في نفوسهم<sup>٢</sup>.

٨- ويلجأ هؤلاء المنافقين في تعاملهم مع الحق تعالى الى المكر والحيلة لكن الله قادر على ابطال مكرهم، فعندما يحين وقت الصلاة يبدون نوعاً من الكسل والتهاون والرياء، ولا يذكرون الله الا رياءً وتظاهراً، فهم مترددون لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا مع المؤمنين ولا مع الكافرين<sup>٣</sup>.

٩- أمر الله المسلمين والمؤمنين بقيادة النبي وخلفائه بجهاد الكفار والمنافقين بشدة وغلظة حتى يتم القضاء عليهم تماماً<sup>٤</sup>.

١٠- لن تكون عاقبة المنافقين يوم القيامة الا غضب الله وعذابه الشديد ويلقون في جهنم وبئس المصير، ويحرمون من رِزْقِ اللَّهِ ويخلدون في العذاب الشديد<sup>٥</sup>.

ما تقدم نماذج لما جاء في آيات القرآن المجيد حول النفاق والمنافقين. وللابتعاد عن هذه الحالة الخطيرة ليس أمام الانسان سوى اللجوء الى القرآن الكريم والروايات وأولياء الله للاستعانة بهم في تهذيب النفس بالأخلاق الفاضلة، واذا ما تمكن الانسان تطهير قلبه الذي يمثل محور وجوده وتهذيب

١- المنافقون ٦٣: ١.

٢- النساء ٤: ٦٠.

٣- النساء ٤: ١٤٣.

٤- التوبة ٩: ٧٣.

٥- النساء ٤: ١٤٠-١٤٥؛ التوبة ٩: ٦٨؛ الأحزاب ٣٣: ٧٣.



نفسه التي تمثل صحيفة حياته الانسانية، سيكون الانسان في مأمن من ضرر النفاق وسينعم برحمة الله الواسعة في الدنيا والآخرة. وبدون تهذيب النفس وتطهير القلب يستحيل الظفر بعناية الله ورحمته ولطفه

### طريق تنقية الوجود وتجلي الروح:

القرآن المجيد كتاب هداية، وروايات الأئمة المعصومين عليهم السلام شرح وتفسير لهذا الكتاب، والعلماء والعاملين حقاً بالكتاب والسنة هم هداة الناس للحق تعالى، اذ يقولون:

اعلم ان الروح الانسانية من عالم الأمر، وتختص بقربها من محضر العزة بحيث لا يدانيها أي موجود في ذلك.

وعالم الأمر هو عالم لا يقبل المقدار والكمية والقسمة والمساحة، واطلق اسم الأمر على هذا العالم لأنه انما ظهر بأمر (كن) بلا وقفة زمانية وبلا واسطة المادة. ورغم أن عالم المخلوق أيضاً قد ظهر بالاشارة أيضاً، لكنه ظهر بواسطة المواد وتعدد الأيام، حيث قال تعالى:

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾<sup>١</sup>

وفي هذه الاشارة، عندما يقول:

﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾<sup>٢</sup>

تكون ناشئة من خطاب (كن).

لكن المادة وهيولا الحياة قد نشأت من صفة هو الحي، وتقومت بصفة

١- الحديد ٥٧: ٤.

٢- الاسراء ١٧: ٨٥.

القيومية، وأصبحت مادة عالم الأرواح، وأصبح عالم الأرواح منشأ عالم الملكوت، وعالم الملكوت كان مصدر عالم الملك. فعالم الملك متقوم بالملكوت، والملكوت متقوم بالأرواح، والأرواح متقومة بالروح الانسانية، والروح الانسانية متقومة بصفة قيومية الحق:

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>١</sup>.

اذن، الله الذي بيده ملكوت كل شيء ويخضع لقدرته كل شيء، وترجعون اليه جميعكم، هو منزه من كل عيب ونقص.

وكل ما ينشأ في عالم الملك والملكوت انما ينشأ بالواسطة الأ وجود الانسان حيث تنشأ روحه أولاً باشارة (كن) بلا واسطة، ثم ظهر قلبه بعد أن تخمرت طينته بلا واسطة أيضاً، كما قال:

﴿خَمَرَتْ طِينَةَ آدَمَ بِيَدِي أَرْبَعِينَ صَبَاحاً﴾<sup>٢</sup>.

وعند تزواج الروح والقلب، قال تعالى:

﴿وَتَفَخَّتْ فِيهِ﴾<sup>٣</sup>.

اذ تفضل بذلك بلا واسطة، وتكرم بتخصيصها باضافة من: «من روحي»، اذن، كمال مرتبة الروح ظهر في تجليه بصفات الربوبية حتى تصبح أهلاً لخلافته تعالى. وتختلف المذاهب في هذا المعنى:

فأرى بعضهم أن تجلية الروح لا يمكن أن تحصل مالم تحصل تركية النفس،

١- يس ٣٦: ٨٣

٢- مرصاد العباد: ٢٨.

٣- الحجر ١٥: ٢٩.

والبعض الآخر يرى أن الانسان اذا ما صرف عمره في تزكية النفس لن يحصل على اللذة التامة ولن يسعى الى تجلية الروح، لكن اذا ما قوى النفس منذ البداية بقيد الشرع واتجه نحو تجلية الروح، يدخل ضمن هذه القضية:

«مَنْ تَقَرَّبَ إِلَى شَيْبَرٍ أَتَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ ذِرَاعاً»<sup>١</sup>.

فيستقبل الألفاظ الالهية وتتواتر عليه تصرفات جذبات العناية وفيض فضل الالوهية، فيتمكن القلب من تزكية النفس في ساعة واحدة ما لا يحصى به في جهاده طيلة عمره، حيث:

«جَذْبَةٌ مِنْ جَذَبَاتِ الْحَقِّ تَوَازِي عَمَلَ الثَّقَلَيْنِ»<sup>٢</sup>.

لكن الروح في بدايتها تتصف بحالة الطفولية، تحتاج الى التربية حتى تستحق التجلية؛ لأن الروح عندما تكون في عالم الأرواح ولم تتعلق بعد بجسم انساني، تكون كمثّل الطفل في رحم أمه حيث تجد في هذا المكان الغذاء المناسب ولها علو ومعرفة مناسبة تليق بذلك المقام، لكنها تبقى محرومة من أنواع الغذاء المتنوعة والعلوم والمعارف المختلفة التي يمكن أن تحصل عليها بعد الولادة. كذلك الروح تحصل في عالم الأرواح على غذائها من الله تعالى الذي يجعلها تستمر بالحياة بما يتناسب مع قابليتها وهمتها في ذلك المقام، وتطلع على كليات العلوم والمعارف.

لكنها لا تعرف شيئاً عن المعارف وعلوم الجزئيات التي يمكن أن تحصل

١- عوالي اللالكلي: ٥٦/١، الحديث ٨١؛ بحار الأنوار: ١٨٩/٨٤، الباب ١١.

٢- الخواجة أيوب اعتبرها مطابقة لنص الحديث النبوي، وذكرها الغزالي في احياء العلوم ٥٦/٤ دون نسبتها الى قائل معين.

عليها بواسطة أدوات الحواس الانسانية والقوى البشرية والصفات النفسانية، فاذا ما دخلت في قالب الانسان كانت كالطفل الذي خرج من رحم أمه ليوضع في مهده. فاذا لم تكن التربية بالشكل المطلوب سيتعرض للهلاك بسرعة، لذا سرعان ما تحضنه الأم وتضعه في مهده وتربط يديه ورجليه جيداً حتى لا يقوم بحركات طبيعية قد تعرض يده ورجله للكسر او الاعوجاج، وتحفظه من أنواع الغذاء في هذا العالم الذي لازال غريباً عنه؛ لأن معدته لازالت عاجزة عن هضم غذاء هذا العالم، لذلك تسعى لتربيته على غذاء من ذلك العالم تعود عليه في رحم أمه طيلة تسعة أشهر وهو الحليب، ويتلائم أيضاً مع غذاء هذا العالم، وبعد أن يتعود تدريجياً على محيط العالم الجديد تسعى لتربيته على أنواع الغذاء البسيط فيه حتى تحصل معدته على القوة الكافية لهضم الغذاء المعقد بما تكتسبه تدريجياً من الحركة والقوة والأعمال الشديدة الصعبة.

وكما يحصل للطفل، ما أن تتعلق الروح بمهد القالب حتى ينبغي ربط جميع تصرفاتها وسلوكها بتدبير أوامر الشرع ونواهيها حتى لا تتحرك بما يقتضيه طبعها فتؤدي بنفسها الى الهلكة أو تعرض يد أو رجل الصفات الروحية الى الكسر أو الاعوجاج؛ أي تتحول الى الصفات النفسانية المدمومة وتعمل على حرمانها وتصفيتها من حليب ندي الحقيقة والطريقة وهو غذاء ذلك العالم أيضاً الذي بقيت فيه لعدة آلاف من السنين وتربت على هذا النوع من الغذاء حتى يتقوى القلب الذي يعد بمثابة معدة الطفل، ويصبح مستعداً في عالم الشهادة لتناول أنواع الغذاء الخاصة بمسألة الخلافة:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>١</sup>.

بل يمنحه هذا الغذاء القوة على حمل الأمانة. وكما يجب على الطفل تناول الحليب من ثدي أمه أو ثدي مرضعته حتى ينمو بواسطته والأعرض للهلاك، كذلك الحال بالنسبة لطفل الروح يجب أن يتناول حليب الطريقة والحقيقة من ثدي الأم النبوة أو يتربى على يد المرضعة الولاية التي تقوم بمقامها، والأعرض للهلاك.

ما تقدم يرتبط بتعلق الطفل بمهد قلبه، ونهاية جميع هذه الأمور إنما تحصل عند ظهور آثار العقل، والروح من لحظة تصرف الحق بها في بطن الأم ثم تعلقها بالطفل، إلى لحظة نسبتها إلى الطفل عندما يولد، وخروج بعض أعضائه وبعضها الآخر لم يخرج بعد، حتى تنفصل جميع أعضائه من المشيمة ويصل إلى يد القابلة؛ لأن تعلق الروح بالقالب يحصل تدريجياً، فعندما يكون القالب في الرحم يكون تعلق الروح به علامة الحياة التي ينتج عنها الحركة، لكن لم تظهر فيه علامات الحواس بعد بحيث يرى بعينه ويسمع بأذنه، وما أن يخرج من الرحم حتى تتعلق به هذه الحواس جميعاً، لكن تظهر تدريجياً مع القوى البشرية.

كذلك لا تتعلق أي صفة من الصفات الانسانية في أي موضع خاص بها من القالب ما لم يتكامل ذلك الموضع، والروح لا تتعلق بموضع هذه الصفات الانسانية كالبخل والغضب والشهوة وغيرها المرتبطة كل منها بموضع ومكان معين من القالب، ما لم يتكامل ذلك الموضع وتظهر فيه تلك الصفة.

والصفة الأخيرة التي تظهر عند الانسان، ويصبح بعدها مكلفاً ومخاطباً، هي الشهوة، فما أن تظهر الشهوة وتتعلق الروح بهذه الصفة وبذلك الموضع، حتى ينفصل من مشيمة غيب تمام الشهادة، فإن كان من أصحاب السعادة سيصل إلى يد قابلة النبوة فتضعه في مهد الشريعة، وترتبط يديه ورجليه بالأوامر والنواهي،

وترضعه من ثدي الطريقة والحقيقة. وتكمن تربيته في أن كل تعلق تكتسبه الروح بالموجودات نتيجة لتزاوجها مع القلب سيعمل تدريجياً على ابطال هذا الارتباط بالشرعية بواسطة الحواس والقوى البشرية وغيرها من الادوات الانسانية؛ لأن كل منها قد جعل منها واسطة للحجاب والبعد وأصبحت سلسلة تقيد عنقها وجلبت لها الوحشة من الحق تعالى، وحرمتها من مذاق شهود ذلك الجمال والجلال، وكلما تمكنت من ابطال واحدة من هذه التعلقات، ترفع عن نفسها حجاباً وقيداً وحقداً ويحل محلها القرب الالهي، وتستنشق روحه عطر الأنس مع الله مع نسيم صبا السعادة، فتطلق الروح صرخة الاستغاثة وتشدّها بصورة الشعر:

(ستأتي هذه الريح لتزيل الحجب والأغلال وتجدد في النفوس العشق والحب القديم للحق تعالى، وستفوح من هذا النسيم رائحة وعطر الأنس بحضرة الحق ليصل الى مشام أرواحنا وقلوبنا).

وهنا يكون طفل الروح قد تلقى التربية والعناية من والدتين، فهو من جهة قد رضع من ثدي الطريقة حليب التخلص من التعلقات وتطبع على المألوفات، ومن جهة أخرى رضع من ثدي الحقيقة حليب الأوراد الغيبية ولوائح ولوامع الأنوار الالهية، بحيث حررت تجليات هذه الأنوار الروح من قيد التعلقات الجسمية وخلصتها من أسر الصفات البشرية وتصل الى حد النظر الأول، مما يجعلها تستحق مرة أخرى خطاب:

﴿الَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾<sup>١</sup>. وتكون أهلاً للاجابة بنعم.

وما أن تتمكن الروح من الخروج من لباس البشرية والتخلص من آفة تصرف الوهم والخيال، حتى يعرض عليها كل ما في الملك والملكوت فتطلع على ذات الآفاق ومرآة أنفس جملة الآيات البيئات للحق تعالى، وفي هذه الحالة ان تمكنت من الخروج من نافذة الحواس فانها حينئذ لا تنظر لشيء إلا وتشاه فيه آثار آيات الحق، ولهذا قالوا عن هذه الحالة:

«ما نَظَرْتُ فِي شَيْءٍ إِلَّا وَرَأَيْتُ اللَّهَ فِيهِ»<sup>١</sup>.

وهنا يصل العشق الى حالة الصفاء ويخرج من حجاب العين والشين والقاف، فيتعلق العشق بالروح وتعلق الروح بالعشق أيضاً، ويخرج من بين العشق والروح طريقان حتى يتحدا بطريق واحد، رغم أنه يطلب العشق.

وحتى الآن كانت الحياة تتمثل بعشق الروح، حتى يصبح العشق في هذا المقام قائم مقام الروح وينوب عنها في القلب وتصبح الروح فراشة شمع الصمديّة، وتحلق حول سرادقات شمع الأحديّة، وتصبح كالعاشقين تشمل على صرخات النساء، وينشد العاشقون بلغة أهل الحال:

(أنت الحق والشمع وأنا الفراشة التي تحترق بهذا الشمع من شدة العشق والحب، وامتلأ القلب حزناً على فراقك حتى أصبحت أسير حبك مكبلاً بأغلال عشقك كالمجانين).

وفي هذا المقام وحسب هذه القضية:

«مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا»<sup>٢</sup>.

١- ينسب هذا القول الى محمد بن واسع.

٢- عوالي اللالكلي: ٥٦١، الحديث ٨١؛ بحار الأنوار: ١٨٩/٨٤، الباب ١١.

تستقبل الطاف الربوبية، وتسمح بحركة الروح على بساط الانبساط، وتبدأ بالملاطفة والمعاشقة على قول:

﴿يَجِيبُهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾<sup>١</sup>.

وتبدأ بخطاب وحوار العشق، فتصبح مورد هذا الخطاب:

(أيها العاشق ان كنت تطلب الوصال والقرب عليك الاستعداد وأن تصبح أهلاً لذلك، وأن تستثمر كل ما لديك من الوسائل الواضحة لتملأ القلب حباً وعشاقاً كالشمع كلما احترقت كلما ارتويت من كأس الوصال).

وبعد أن تنتمش الروح بالأرطال الثمينة من شراب العتاب:

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾<sup>٢</sup>.

وتلقي بتأثيرها على أجزاء الوجود، تتخلص الروح من سيطرة شراب الوجود لتنتقل الى العدم، وتنتقل من حرية الوجود الى أنقاض الفناء.

وتبقى الروح لفترة في هذا المنزل بصفة أهل الأعراف وهو بين عالم الصفات الالهية وجهنم عالم الصفات الوجودية، وتمحي منها صفات الوجود، وفي هذه الحال تظهر على ظاهرها وباطنها أنواع الكرامات، واذا لم يعد السائر في هذا المقام الى هذه النعم بوجه طليق، فانه سيتخلف عن حضرة المنعم، ويصبح كحال المغرورين الذين تراجعوا عن هذا المقام:

﴿نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾<sup>٣</sup>.

١- المائدة ٥: ٥٤.

٢- المزمل ٧٣: ٥.

٣- الأنفال ٨: ٤٨.



وكل هذا انما هو عتبه أريقت لأجلها دماء مئة ألف صديق على تراب الامتحان والاختبار.

اذن، السائرون الصادقون والعاشقون في مسير الحق قد ثملوا في الخرابات بكأس الكرامات وتذقوا طعم الشهود، وسقطوا في ثمالة العجب والغرور ولم يشعروا أبداً باليقضة والوعي، ويبقوا في حجب الكرامات:

«أَصْحَابُ الْكِرَامَاتِ كُلُّهُمْ مَحْجُوبُونَ»!

وانشغلوا بهذه الكرامات وتوشحوا بالمظاهر والمجاملات وأعرضوا عن الحق وتوجهوا نحو الخلق.

ان كنت تسأل عن الانسان فهو الذي أسمه من الأنس مع الله الذي دواء ألم وألمه دواء، وكل قلب يخلو من حبه تعالى لا يشعر بالألم ولن ينعم بالوصال أبداً، وبعد كل وصال يأتي الفراق فمتى يصبح لائقاً بالعقل والقلب، فان كنت تطلب الوصال فلا تبتعد عن الله تعالى ولا تغيب عن ذكره، وكل من امتلأ قلبه ألماً بحرارة العشق سينال حتماً وصال المحبوب، وان بقي العبد يشعر بوجوده وما حوله فهو كالحجاب الذي يبعده عن الحق ولا يزول إلا اذا امتلأ قلبه بالعشق والحب لحضرة الحق، وطهر قلبه روحه من النقص والعيوب كالعجب ورذائل الأخلاق).

والبعض الآخر يتمتع بنعم الكرامات ويراهها مظهراً من مظاهر المنعم لا مظهراً للنعمة، فيشكر النعمة رجاء في لقاء المنعم، حتى يدخل ضمن مصاديق هذه القضية:

## ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾<sup>١</sup>

فيستحقوا نعمة وجود المنعم، وتصبح وظيفة الروح في هذا المقام ملازمة هذه العتبة وتبذل همتها في الخروج من جملة الأغيار، وتطلق الدنيا بالثلاث وتسعى للآخرة، ولا تعرض عن الدرجات العليا ونعيم الجنان الثمان:

(مادام الملك الحق يظلنا بظله ونعمته سيكون كل ما في الكونين بأمرنا وتحت خدمتنا، ولن يكون طريقنا سوى السلوك الى الحق تعالى لنحصى بالجنة وما فيها من حور عين لأننا زهدنا بالدنيا وسعينا نحو الآخرة).

ولو سألوا ألف مرة، أيها العبد ماذا تريد؟ لقال: لا حاجة عندي؛ لأن الحاجة علامة الوجود وأنا سائر للعدم والفناء، فان بقي لألف سنة على هذه الحال من اليقظة، لما تسلل الملل الى نفسه، ولما أعرض عن هذا المحضر، ولما تراجع قيد أنملة عن هذا المقام.

وجميع الأنبياء والاولياء يصيبهم في هذا المقام العجز والحيرة لأن قدم الانسان لا يمكن أن تصل الى هذا المقام، لأنه مقام الجد والجهد وليس كل ما يلقي من سهام الجد في محفظة العبودية دليل على القبول.

ففي هذا المقام ينبغي أن تكون كالورد يلقي كل الدرور، وكنبات الصنار ترفع الأيدي للدعاء، وكورد السوسن يغلق بعشرة أطراف، وكورد النرجس يمعن النظر في الآفاق، وكورد البنفسج يبدي العجز والخضوع، فهنا مقام دلال المعشوق وكمال حاجة العاشق.

وكل ما ارتبطت به غاية الروح ستفقدته عند بوابة العشق، فتعود كالمفلس

الذي خسر كل شيء ولم يبق أمامه الآن سوى أن يفقد حياته.  
ومتى ما استنشقت الروح نسيم نفحات ألطاف الحق من موهبة العناية، لقات  
بقلب يملأه الشوق كما قال يعقوب:  
«إِنِّي لِأَجْدُ رِيحَ يَوْسُفَ»

فيغلب الشوق وقلق العشق على الروح، فتمل من نفسها وتعرض عن الوجود،  
فتسعى لفناء نفسها، فتصرخ صرخة حسينية، وتقول:  
أَقْتُلُونِي أَقْتُلُونِي يَا نِفَات، إِنَّ فِي قَتْلِي حَيَاتًا فِي حَيَاتٍ<sup>١</sup>.

وفي تلك الفترة التي تُبعَد فيها الروح عن محضر العزة، وتبتلى بعذاب الفراق  
وألم الاشتياق، فيظهر عليها الجنون، وتفقد نعمة العقل والصبر، وفي هذه الحالة  
من الاضطراب تأس الروح من نفسها ومن تعاملها، فتلقي بنفسها وتتأوه أهات  
الالم؛ لأن أهات حرقة العشق في مقام الاضطراب تصل الى حضرة الرحيم،  
فتصدق عليها قضية:

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾<sup>٢</sup>.

فيرفع حجاب العزة عن جمال الصمدية، فيتنعم هذا العاشق العليل بالاف  
الألطف، وما أن يتجلى شمع جمال الصمدية حتى تتخذ الروح صفات الفراشة  
فيظهر لها الزغب والجناح، فتخطفها جذبات أشعة شمع الوجود، فتملأ أشعة نور  
التجلي وجود هذه الفراشة فتحفزها على تجلية صفاتها الشمعية، وما أن يتحول  
خيوط شمع جلال الأحذية الى شعلة وهاجة، حتى يفقد الفراشة روحها؛ لأن نور

١-مولوي

٢-نمل ٢٧: ٦٢.

جمال الصمدية أصبح هو الروح.

﴿أَوْلَيْكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾<sup>١</sup>.

وهنا نصل الى عتبة الفناء والحد الفاصل للبقاء، وبعد ذلك تتبدل تربية الروح

الى تجلية جذبات الالوهية، فيعادل حينها كل نفس من أنفاسها معاملة الثقلين.

«جَذْبَةٌ مِنْ جَذَبَاتِ الْحَقِّ تُوَازِي عَمَلَ الثَّقَلَيْنِ»<sup>٢</sup>.

(بعد أن يصل الانسان الى عالم الفناء في ذات الحق ستتجلى أمامه الكثير من

الحقائق التي تستحق التضحية في سبيلها).

نعم، ما أن تتأثر الروح بتربية الأنبياء والأولياء وتتخلص النفس من الملوثات

والآثام، وتصبح قلب فراشة الشمع لجمال حضرة الحق، لن يبق في الانسان أي

أثر من آثار النفاق؛ بل لن يبق فيه أثر لأي ذنب ظاهري أو باطني، حينها فقط

يصل الانسان الى حقيقة الانسان، ولن يبق له محور في هذه الحياة سوى عشق

المحجوب، وبسبب هذه المحبة وهذا العشق وتوשיحها بالعمل الصالح يصل

الانسان الى أعلى مقام وهو مقام الفناء في الحق في عين البقاء.

وعلى قول العارف الجامع أمير حسين حسيني هروي:

(ان كنت تحمل هذه الحجب التي تبعدك عن الحق فلن تتذوق طعم العشق،

وأول خطوة على طريق العشق الالهي هي نبذ الكفر، وكل من شرب من كأس

العشق قد عبد الحق لأجل الحق، وامتلاً قلبه بحب الحق وطهر نفسه من الأهواء

والعقائد الباطلة وهذا صعب المنال، ولا يتحقق إلا بالنظر الى الحق تعالى وعدم

١- المجادلة ٥٨: ٢٢.

٢- مراحل السالكين: ٧١ - ٧٩.

النظر الى الأغيار سوى الى الحق تعالى والسير في طريق العشق حتى ترتقي  
تدرجياً مراتب الكمال وتصل الى مقام القرب، وكن زاهداً بالدنيا مبتعداً عن  
رذائل الأخلاق من التكبر والعجب حتى ترتوي من كأس العشق وتنعم بوصول  
الحق).

ونفس علامات المنافق التي ذكرها القرآن الكريم، قد تم شرحها وتفسيرها  
في الروايات أيضاً، لهذا لم نجد حاجة لافراد عنوان منفصل لعلامات المنافق في  
الروايات، واذا ما أردتم الاطلاع على روايات هذا الباب عليكم مراجعة كتاب  
بحار الأنوار<sup>١</sup>.

«وَعَلَامَةُ النِّفَاقِ قِلَّةُ الْمُبَالَاةِ بِالْكَذِبِ، وَالْخِيَانَةِ، وَالْوَقَاحَةِ، وَالِدَّعْوَى بِلَا مَعْنَى، وَسُخْنَةُ الْعَيْنِ، وَالسَّفَهَ، وَقِلَّةُ الْحَيَاءِ، وَاسْتِصْفَارُ الْمَعَاصِي، وَاسْتِضَاعُ أَرْبَابِ الدِّينِ، وَاسْتِخْفَافُ الْمَصَائِبِ فِي الدِّينِ، وَالْكَبْرُ، وَحُبُّ الْمَدْحِ، وَالْحَسَدُ، وَاسْتِثَارُ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَالشَّرُّ عَلَى الْخَيْرِ، وَالْحَثُّ عَلَى النَّمِيمَةِ، وَحُبُّ اللّٰهُوِ، وَمَعُونَةُ أَهْلِ الْفِسْقِ وَالْبَغْيِ، وَالتَّخْلُفُ عَنِ الْخَيْرَاتِ، وَتَنْقُصُ أَهْلِهَا، وَاسْتِحْسَانُ مَا يَفْعَلُهُ مِنْ سُوءٍ، وَاسْتِقْبَاحُ مَا يَفْعَلُهُ غَيْرُهُ مِنْ حَسَنٍ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.»

## علامات المنافق:

الامام الناطق بالحق الصادق عليه السلام، يقول:

للمنافق علامات عدة، هي:

- ١- قلة مبالاته بالكذب على الله وعلى الخلق.
- ٢- خيانتته للدين والمال ولحياء وأعراض المسلمين.
- ٣- الوقاحة وعدم الحياء والخجل من ارتكاب أنواع الفسق والفجور؛ لأن الحياء والخجل يتبعان الايمان بالحق والآخرة.

٤- الدعوى بلا معنى أي دون أن يحضى بشئ من العلم والكمال والعشق المعرفة والعمل والسعي، يدعي امتلاكه لجميع هذه الكمالات رغم خلو ظاهره وباطنه من الحسنات.

٥- سخنة العين أي لا يتورع عن التجسس في جميع الأمور لكشف أسرار الناس والتدخل في خصوصياتهم.

٦- الجهل والسفه وعدم التأمل في الامور ولايراعي الأدب في جميع الامور.

٧- قلة الحياء في موار الحياء. والفارق بين قلة الحياء والوقاحة في الشدة والضعف، اذ يطلق على مرتبة سلب الحياء وشدته اصطلاح الوقاحة، في حين يطلق اصطلاح الحياء على مرتبه الضعيفة فيعتبر مقدمة للوقاحة.

٨- استصغاره للذنوب والمعاصي واستسهال ارتكابها رغم كل هذا التأكيد على تركها واجتنابها.

٩- استيضاع أرباب الدين والكرامة والمؤمنين والمسلمين والتقليل من شأنهم وعدم احترامهم كما ينبغي.

١٠- استخفاف المصائب في الدين التي يعد تحملها من أفضل الأعمال وأهمها، ويسعى للابتعاد عنها وعدم مواجهتها.

١١- الكبر وتعظيم نفسه في جميع الأمور.

١٢- حب المدح وتمجيد الناس له في كل مكان.

١٣- الحسد وهو أشد الامراض وأخطرها، ويتمنى لو تسلب نعم الله من عباده.

١٤- استيثار الدنيا على الآخرة والقبیح على الحسن والشر على الخير.

١٥- الحث على النميمة واشعال الفتنة ونشر الفساد بين الناس.

١٦- حب اللهو والعبث واللعب.

١٧- اعانة أهل الفسق والبدعة.

١٨- التخلف عن فعل الخير، بل ينقص من شأن أهل الخير، ولا يرغب أن يحسن أحد للآخر.

١٩- استِحسانُ ما يفعله من سوء، واستقباح ما يفعله غيره من حَسَن. وتوجد غيرها كثير من الاوصاف للمنافقين؛ لذا يمكن الجزم بأن المنافقين أسوء من الكفار!!



«وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ:  
فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ  
خَيْرٌ اطمأنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقلبَ على وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ  
ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾<sup>١</sup>.

وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ أَيْضاً فِي صِفَتِهِمْ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ  
وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ \* يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخْدَعُونَ  
إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ \* فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾<sup>٢</sup>.

وصف المنافقين في القرآن:

---

١- الحج ٢٢: ١١.

٢- البقرة ٢: ٨ - ١٠.

«وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الْمُنَافِقُ إِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا فَعَلَ أَفْسَى، وَإِذَا قَالَ كَذَبَ، وَإِذَا ائْتَمَنُ خَانَ، وَإِذَا رُزِقَ طَاشَ، وَإِذَا مُنِعَ غَاشَ.»  
وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَيْضاً: مَنْ خَالَفَ سَرِيرَتَهُ عَلَانِيَتَهُ فَهُوَ مُنَافِقٌ كَائِنًا مَنْ كَانَ وَحَيْثُ كَانَ وَفِي أَيِّ زَمَانٍ كَانَ وَفِي أَيِّ رُتْبَةٍ كَانَ.»

### وصف المنافقين في كلام رسول الله ﷺ:

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الْمُنَافِقُ إِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا فَعَلَ أَفْسَى، وَإِذَا قَالَ كَذَبَ، وَإِذَا ائْتَمَنُ خَانَ، وَإِذَا رُزِقَ طَاشَ، وَإِذَا مُنِعَ غَاشَ.  
وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَيْضاً: مَنْ خَالَفَ سَرِيرَتَهُ عَلَانِيَتَهُ فَهُوَ مُنَافِقٌ كَائِنًا مَنْ كَانَ وَحَيْثُ كَانَ وَفِي أَيِّ زَمَانٍ كَانَ وَفِي أَيِّ رُتْبَةٍ كَانَ.

كانت هذه بعض علامات المنافق وهم في الحقيقة أمويوا المسلك وعباسيوا الطريقة. نسأل الله أولاً أن يحفظنا من الوقوع في فخ النفاق، وثانياً أن يحفظ الاسلام والمسلمين من شر هذه الحيوانات الخطرة.

الباب

(٣٨)

في بيان العقل والهوى



قال الصادق عليه السلام:

العَاقِلُ مَنْ كَانَ ذِكْرًا عِنْدَ إِجَابَةِ الْحَقِّ، مُنْصِيفًا بِقَوْلِهِ، جَمُوحًا عِنْدَ  
الْبَاطِلِ، خَصِيمًا بِقَوْلِهِ، يَتْرُكُ ذُنْيَاهُ وَلَا يَتْرُكُ دِينَهُ.

وَدَلِيلُ الْعَاقِلِ شَيْئَانِ: صِدْقُ الْقَوْلِ وَصَوَابُ الْفِعْلِ، وَالْعَاقِلُ لَا يُحَدِّثُ  
بِمَا يُنْكِرُهُ الْعُقُولُ، وَلَا يَتَعَرَّضُ لِلتُّهْمَةِ، وَلَا يَدْعُ مُدَارَاةَ مَنْ ابْتَلَى بِهِ.  
وَيَكُونُ الْعِلْمُ دَلِيلَهُ فِي أَعْمَالِهِ، وَالْحِلْمُ رَفِيقَهُ فِي أَحْوَالِهِ، وَالْمَعْرِفَةُ يَفِينُهُ  
فِي مَذَاهِبِهِ، وَالْهَوَى عَدُوُّ الْعَقْلِ وَمُخَالِفٌ لِلْحَقِّ وَقَرِينُ الْبَاطِلِ؛ وَقُوَّةُ  
الْهَوَى مِنَ الشَّهَوَاتِ.

وَأَصْلُ عِلْمَاتِ الْهَوَى مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ وَالْغَفْلَةِ عَنِ الْفَرَائِضِ وَالْأَسْتِهَانَةِ  
بِالسُّنَنِ وَالْخَوْضِ فِي الْمَلَاهِي.

«الْعَاقِلُ مَنْ كَانَ ذَكُولاً عِنْدَ إِجَابَةِ الْحَقِّ، مُنْصِفاً بِقَوْلِهِ، جَمُوحاً عِنْدَ الْبَاطِلِ، خَصِيماً بِقَوْلِهِ، يَتْرُكُ دُنْيَاهُ وَلَا يَتْرُكُ دِينَهُ».

### صفات العاقل:

تحدثنا في المجلد الثاني من هذا الكتاب عن ماهية العقل بنظر القرآن والروايات وعلماء الدين؛ لهذا لن نحتاج في هذا الباب الى توضيح مسألة العقل، وسنكتفي فيه بشرح الصفات التي ذكرها الامام عليه السلام لأهل العقل.

#### ١- يقول الحق ويقبل به:

في القسم الأول من كلامه، يقول الامام عليه السلام:

«الْعَاقِلُ مَنْ كَانَ ذَكُولاً عِنْدَ إِجَابَةِ الْحَقِّ».

فهو يقبل الحق بتواضع وخضوع ويجيبه بسلامة قلب وسهولة ويسر.

فقول الحق، هو القول المنسجم مع الفطرة والعقل والقلب والروح والنفس والعلاقات الاجتماعية الصحيحة بين الانسان وأسرته ومجتمعه، وبشكل عام ينسجم مع سعادة الانسان في الدنيا والآخرة.

ولن يصدر مثل هذا القول الأ عن الله تعالى والأنبياء العظام والأئمة المعصومين عليهم السلام والأولياء الصالحين ومن تربوا على أخلاق المذهب الالهي الذين لا يتعاملون الأ مع

الحقيقة والواقع. ولا يهم في هذه الدنيا سوى صلاح البشرية وخيرها في جميع الامور، وقولهم الحق يدل بوضوح على رغبتهم الصادقة في تحقيق مصلحة الانسان في الدنيا والآخرة، ولا يفكرون أبداً بالحاق الضرر به في كلا الحياتين. وكان من اللازم هنا الاشارة الى بعض أقوال حضرة الحق والأنبياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام والأولياء الصالحين، ثم نبين قيمة قبول الحق ومنزلة القلب الذي يُسلم دائماً ويرضى بقول الحق.

### القول الحق في كلام الحق:

#### الكفر بالطاغوت:

لقد بين الله الرحمن الرحيم في القرآن العظيم طريق الرشد والهداية لجميع البشر. فطريق الرشد هو طريق الله؛ لأن حضرته عاشق الانسان ومن باب العشق والمحبة يريد أن يصل الانسان الى جميع الكمالات ويتخلص من رذائل الأخلاق، ويريد أن يصل الانسان بجميع وجوده الى سعادة الدنيا والآخرة ويأمن من شر الدنيا والآخرة وخزيهما. فطبيعة العقل وتركيبه منظم بحيث اذا ما اهتدى لطريق الرشد فانه يقبل به ويخضع اليه، ويتجنب طريق الضلال وينفر منه، لذا ينبغي على الانسان أن يجعل ارادته ترتبط بارادة العقل حتى يصل الى ما يريده الله وبتبغيه، أي الانسان هو المسؤول عن تعيين طريق الرشد لنفسه من خلال عمله وسعيه الجاد في سبيل الوصول الى سلامة الدنيا والآخرة.

نعم، كل من يتمسك بالعروة الوثقى للحق تعالى وهي القرآن والنبوة والامامة ولا ينفصل عنها للأبد، سيحقق الظفر بجميع الحقائق الالهية في الدنيا ويتخلص من جميع شرورها.

﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>١</sup>.

وفي هذه الآية يبين الله تعالى أن الكفر بالطاغوت يجلب الأمان من التلوث بالكفر، والشرك، والفسق، والفجور والقسم الأعظم من الرذائل الباطنية. وهذا في الواقع يمثل حقيقة روح الايمان؛ لأنه بدون الكفر بالطاغوت لا يتحقق الايمان والعشق بالله تعالى، وهذا الأمر يطرح كأصل أساسي ومحوري.

وكل ما تعرض له البشر من مصائب وويلات طيلة عهوده التاريخية إنما كان يعود لاتصاله بالطاغوت الخارجي والباطني وانفصاله عن حضرة رب العزة؛ لذا ينبغي البحث في هذين الموردين عن علل وأسباب جميع مشاكله وأمراضه الباطنية والفردية والأسرية والاجتماعية والمادية والمعنوية، وكيفية علاجها.

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ﴾<sup>٢</sup>.

وهذا الجزء من الآية يبين في الحقيقة الكلمة الطيبة: «لا إله إلا الله» التي ينبغي أن تظهر في كافة أمور الحياة الباطنية والظاهرية، اذ بدونها لا يمكن الوصول الى السعادة الالهية. وهي الكلمة التي تمثل محور بعثة الأنبياء الالهيين وامامة الائمة عليهم السلام ويكمن فيها خير الدنيا والآخرة، وبالتالي لا نجد في الدنيا قول حق أنفع وأفضل من هذه الكلمة الحق.

نعم، يجب أن تجعلوا الله محور جميع أموركم وأفعالكم؛ لأنه سينقذكم من جميع الشرور ويوصلكم الى جميع أنواع الخير.

١- البقرة: ٢: ٢٥٦.

٢- البقرة: ٢: ٢٥٦.



إتباع الانبياء والأئمة عليهم السلام:

لأجل خير الانسان ومصلحته، يريد الله تعالى من الانسان أن يتمسك بالمربين الواقعيين للبشر وهم الأنبياء والأئمة عليهم السلام لأن الانحراف عن طريقهما سيؤدي الى شقائه في الدنيا والآخرة.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ \* اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلْكُمْ أَجْرًا  
وَهُمْ مَهْتَدُونَ﴾<sup>١</sup>.

التحلي بالتقوى:

أمر الله تعالى الناس بالتقوى؛ أي التزين بالأخلاق الفاضلة وأداء الواجبات واجتناب المحرمات، فهذه ثلاث حقائق ان اتصف الانسان بها سيتوشح بلباس الخلافة الالهية، ويعيش حياته مسلماً كاملاً ويودع هذه الدنيا مسلماً حقيقياً:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا  
وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>٢</sup>.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لخلق حياة طيبة طاهرة في المجتمع الاسلامي واشاعة عمل المعروف والخير بين المسلمين، عمد الله تعالى أولاً الى تعريف المعروف والمنكر ثم أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وجعل من هذا الأصل وظيفة مهمة من وظائف الفرد في المجتمع الاسلامي، واعتبر العمل بهما ضامناً لتحقيق سلامة المجتمع.

١- يس ٣٦ - ٢٠ - ٢١.

٢- آل عمران ٣: ١٠٢.

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>١</sup>.  
 ويقول تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>٢</sup>.

### الاحسان بالوالدين:

ان الله الرحمن الرحيم لا يدعوا الناس لعبادته فقط؛ بل يوصيهم بالاحسان بالوالدين وذوي القربى واليتامى والمساكين والمعاملة الحسنة مع الناس واداء الصلاة وابتاء الزكاة التي تعالج الكثير من المشاكل الاجتماعية.

﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ  
 وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا  
 الزَّكَاةَ...﴾<sup>٣</sup>.

### الهجرة والجهاد:

للمحافظة على الدين ونشر الاسلام، أمر الله تعالى الانسان بالهجرة والجهاد، لما لهذين العاملين من أهمية كبرى في تحقيق سعادة الانسان ودور أساسي في المحافظة على القرآن والاسلام ونشرهما وتداومهما، وأكد في كلامه المجيد

١- آل عمران ٣: ١٠٤.

٢- آل عمران ٣: ١١٠.

٣- البقرة ٢: ٨٣.

استحقاق المجاهد والمهاجر في سبيله لرحمته تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>١</sup>.

الصبر والصلاة:

أمر الله سبحانه وتعالى جميع عبادة الاستعانة بالصبر والصلاة والذكر حتى يستفيدوا من ثمرات الأمور الالهية والانسانية وعواقب سلوكهم وأفعالهم؛ لأن الصبر والصلاة يزيدان من نظم الانسان في حياته ويساعدانه على الوصول الى الأهداف الالهية العالية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>٢</sup>.

التسليم لثقافة الحق:

لتزوين الانسان بالسلامة الحقيقية في جميع شؤون حياته أعم من الشؤون المادية والمعنوية، أمر الله تعالى الانسان بالتسليم والطاعة التامة لثقافة الحق والابتعاد عن الوسوس وكل ما يبعث على التفرقة وعدم اتباع أوامر الشيطان، لأن الشيطان بكافة أشكاله هو العدو الأول للانسان.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا  
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾<sup>٣</sup>.

١- البقرة ٢: ٢١٨.

٢- البقرة ٢: ١٥٣.

٣- البقرة ٢: ٢٠٨.

وسيلة الفلاح:

أشار الله تعالى في القرآن المجيد الى الذنوب الظاهرية والباطنية، واعتبر كل ذنب يمثل خطراً على الانسانية، وأن جميع المعاصي والأخطاء تؤدي الى الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة، وأرجع السبب في شقاء الانسان في كلا الحياتين الى ارتكابه لهذه المعاصي والذنوب؛ لهذا أمر تعالى الانسان بالسعي للترين بالتقوى وتجنب الذنوب والمعاصي، ولا يأخذ معه الى الآخرة سوى الاسلام الحقيقي. واعتبر الله تعالى التقوى والتوسل برحمة الحق والجهاد الالهي وسيلة للفلاح والصدق، وأمر عباده انتخاب مثل هذا المسير والسلوك في حياتهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا

فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>١</sup>.

الصدق يحقق الفائدة والمنفعة:

يعتبر الله تعالى الصدق في جميع أمور الحياة عاملاً من العوامل التي تجلب الفائدة والمنفعة للانسان في الدنيا والآخرة، واعتبر العاملين بهذه الحقيقة من أهل الجنة والرضوان الالهي، وتؤدي الى الفوز العظيم.

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>٢</sup>.

١- المائدة ٥: ٣٥.

٢- المائدة ٥: ١١٩.

## الحياة الدنيا والآخرة:

الله تعالى لا يعتبر الدنيا سوى ممراً للآخرة، لذا ينهى الانسان عن اعتبارها هدفاً وغاية، ومن يتخذ الدنيا هدفاً لا يرى منها سوى اللعب واللهو ومسرحاً لأهوائه الشيطانية، لأن الآخرة هي الحقيقية والدائمة والخالدة ولا يحضى بها سوى أهل التقوى.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>١</sup>.

## أعمال الانسان يوم القيامة:

ان من يجعل جميع حركاته وسكناته القلبية والنفسية وأعضاء بدنه تعمل في هذه الدنيا بما ينسجم مع أوامر الله تعالى، سيثقل وزن أعماله يوم القيامة، أي تكون لحركاته وأعماله قيمة حقيقية تعادل الجنة ورضا الحق تعالى عليها؛ أما أولئك الذين لا يعملون وفق آيات القرآن الكريم والأوامر الالهية، تبقى أعمالهم وجهودهم بلا قيمة حقيقية فلا ينالون سوى الذل والخسران في الآخرة، ويقول القرآن المجيد في هذا المجال:

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾<sup>٢</sup>.

١- الأنعام ٦: ٣٢.

٢- الأعراف ٧: ٨-٩.

ان جميع القرآن كلام حق، فانتم تأنسون بالقرآن المجيد الى آخر لحظات عمركم وتسلمون لقول الحق وتخضعون له، حتى تنالوا في الدنيا والآخرة الحظ الوافر والأجر العظيم والجنة الأبدية.

نعم، الانسان العاقل حسب قول الامام الصادق عليه السلام يجب دعوة الحق في جميع شؤون حياته، ويكون ذلولاً متواضعاً وخاشعاً بالنسبة للحق، وهذا ما يقتضيه العمل في وجود العاقل.

## ٢- الانصاف:

من صفات العاقل الانصاف مقابل الحق حتى لو كان بضرره.

## حقيقة الانصاف:

يعتبر الانصاف من أفضل صفات أهل الله، فمن اتصف بالانصاف يكون من أهل العقل والدين، فالمنصف من أفضل عباد الله وهو حلال المشاكل والعاقل والمتصف بقول الحق.

وجميع الناس يشعرون بالراحة والرضا من أهل الانصاف، لكنهم يشعرون بالانزعاج والأذى من أولئك البعيدين عن الانصاف والحق؛ لأنهم أفراد خطرين على المجتمع وحيوانات وحشية.

فمن يصر على الباطل يكون بعيداً عن حدود العقل ومحروماً من المنافع المعنوية لدين الله.

## الانصاف في الروايات:

سعى الاسلام الى ترغيب الناس على الانصاف في جميع مجالات الحياة،

واعتبر العمل بهذه الحقيقة التورانية من أفضل الأعمال:

عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي آخِرِ خُطْبَتِهِ.

طُوبَى لِمَنْ طَابَ خُلُقُهُ، وَطَهَّرَتْ سَجِيَّتَهُ، وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ، وَحَسُنَتْ عِلَانِيَتُهُ، وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ، وَأَنْصَفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ»<sup>١</sup>.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «مَنْ يَضْمَنُ لِي أَرْبَعَةً بِأَرْبَعَةِ آيَاتٍ فِي الْجَنَّةِ؟

أَنْفِقَ وَلَا تَخَفَ فَقْرًا وَأَفْسِ السَّلَامَ فِي الْعَالَمِ، وَأَتْرِكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كُنْتَ مُحِقًّا، وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ»<sup>٢</sup>.

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي كَلَامٍ لَهُ: «أَلَا إِنَّهُ مَنْ يُنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا عِزًّا»<sup>٣</sup>.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ فِي حَدِيثٍ لَهُ: «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَشَدِّ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ؟ فَذَكَرَ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ أَوْلَاهَا: إِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ»<sup>٤</sup>.

١- الكافي: ١٤٤/٢، باب الإنصاف والعدل، حديث ١؛ وسائل الشيعة: ٢٨٤/١٥، باب ٣٤، حديث ٢٠٥٢٨.

٢- الكافي: ١٤٤/٢، باب الإنصاف والعدل، حديث ٢؛ بحار الأنوار: ٣٠/٧٢، باب ٣٥، حديث ٢٣.

٣- الكافي: ١٤٤/٢، باب الإنصاف والعدل، حديث ٤؛ وسائل الشيعة: ٢٨٣/١٥، باب ٣٤، حديث ٢٠٥٢٥.

٤- الكافي: ١٤٥/٢، باب الإنصاف والعدل، حديث ٦؛ بحار الأنوار: ٣٤/٧٢، باب ٣٥، حديث ٢٧.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيِّدُ الْأَعْمَالِ  
إِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ، وَمَوَاسَاةُ الْأَخِ فِي اللَّهِ، وَذِكْرُ اللَّهِ  
عَزَّوَجَلَّ فِي كُلِّ حَالٍ»<sup>١</sup>.

انصاف عدي بن حاتم:

كان عدي بن حاتم الطائي أحد رجال أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن أنصاره  
الأوفياء. أسلم على يد النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقاتل مع علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في الجمل  
وصفين والنهران لاعلاء كلمة الحق، وفقد إحدى عينيه في معركة الجمل.  
وقد التقى ذات يوم بمعاوية بن سفيان، فقال له معاوية: «يا عدي أين  
الطرفات؟ - يعني بنيه طريفا وطارفا وطرفة -» قال: «قتلوا يوم صفين بين يدي  
علي بن أبي طالب». فقال: «ما أنصفك ابن أبي طالب، إذ قدم بنيك واخر بنيه». قال،  
«بل ما أنصفت أنا عليا، إذ قتل وبقيت بعده». فقال معاوية: «أما انه قد بقي  
قطرة من دم عثمان ما يمحوها الا دم شريف من أشرف اليمن!». فقال عدي:  
«والله ان قلوبنا التي أبغضناك بها لفي صدورنا، وان أسيفنا التي قاتلناك بها لعلی  
عواتقنا، ولئن أدنيت لنا من الغدر فترا لندين إليك من الشر شيرا! وان حز  
الحلقوم، وحشرجة الحيزوم، لأهون علينا من أن نسمع المساءة في علي فسلم  
السيف يا معاوية لباعث السيف»<sup>٢</sup>.

القاضي والانصاف:

في عصر المعتضد العباسي توفي المسؤول عن بيت المال، وترك خلفه ديناً  
كبيراً بذمته، بحيث لم تغط تركته كل دينه!

١- الكافي: ١٤٥/٢، باب الإنصاف والعدل، حديث ٤٧؛ وسائل الشيعة: ٢٨٣/١٥، باب ٣٤، حديث ٢٠٥٢٤.

٢- مجالس المؤمنين: ٢٤٦/١.



وكان للمعتضد بدمته أربعين ألف دينار، فأرسل عبد الله بن سليمان الى أبو حازم القاضي ليأخذ له دينه من تركته.

فأبلغ عبد الله القاضي أبي حازم بأن الخليفة المعتضد يطلب منه أن يرد له أربعة آلاف دينار مما ترك مسؤول بيت المال. فاستغرق أبو حازم في التفكير ثم رفع رأسه وقال: ليس من الانصاف رد كل هذا المبلغ الى شخص واحد، وانما الخليفة أحد الدائنين ويجب الانتظار حتى نرى نصيبه مما ترك المدين، اذ الانصاف يقتضي أن نقسم التركة على جميع الدائنين كل حسب نسبته، فتعجب عبد الله من رد القاضي، وقال: لقد هدرت دمك.

فقال القاضي: لن أحميد عن الانصاف ولن أحكم بالباطل، فلما عاد عبد الله للمعتضد وأخبره رد القاضي، فكر قليلاً ثم قال: ان أبا حازم على حق، أنا أحد الدائنين وقد حكم بالانصاف، ولن أخرج أنا أيضاً عن الانصاف.

فما أجمل أن يتصف الانسان بالصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة بحيث يصبح وجوده لجميع الناس الصديق والعدو مصدراً للخير والبركة والاحسان والفضيلة، وبهذا الطريق يمكن تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة.

فبعض الناس لا همّ له سوى اشباع البطن والشهوة وجمع المال والثروة، لذا تكون فائدتهم للمجتمع الانساني أقل حتى من الحيوانات؛ بل قد لا تجد فيه أي منفعة.

فينبغي على الانسان أن يعيش حياة تتلائم مع الحقائق الالهية، ويزين باطنه وظاهرة بالأخلاق والفضائل الحميدة، ويسعى للوصول الى الكمال ولا يسير الآ في طريق الصدق والحق.

يقول سعدي:

(لينظر الجميع للحق تعالى بعيداً عن الهوى والطمع وليكن سير أهل السلوك

نحو الحق بعيداً عن الخطأ والاشتباه، ان جل وقت العرفاء يتركز في التفكير والنظر بآيات الله وعدم النظر الى الأغيار، اذ ينبغي العيش في هذه الحياة كالنبات الذي تتجدد فيه الحياة كلما هب نسيم الصباح لا كالجماد الذي لا يشعر بهذا النسيم كالأموات، فان تطلب السعادة عليك الحياة بقلب مفعم بحب الحق وهي حياة لا فناء بعدها، وان كنت من أهل المعرفة فستحترق بعشق الحق كالعظام وستحمل كل المصاعب والآلام، وستحتاج في هذا الطريق الى رفيق درب وصاحب عهد يتحمل معك هذه المصاعب ويرشدك الى الطريق القويم، وانظر الى نفسك في المرآة لترى مدى جمالها ولطافتها لكن لاتجعل كل همك في اشباع رغبات هذه النفس لأنها ستبعدك عن النظر للحق).

### ٣- مقاومة العاقل للباطل:

وفي هذا الحديث الشريف، يقول الامام الصادق عليه السلام:

«جَمُوحاً عِنْدَ الْبَاطِلِ، خَصِيماً بِقَوْلِهِ، يَتْرُكُ دُنْيَاهُ وَلَا يَتْرُكُ دِينَهُ».

فالعاقل يواجه الباطل بكافة أشكاله سواء المال الباطل أو الانسان الباطل، أو المذهب الباطل، والخلاصة يقاوم الباطل بكل ما أوتي من قوة بالقول والعمل، ويسعى دائماً للقضاء عليه بأي لباس كان ومهما غلت التضحيات، ولن يبيع دينه بدنياه.

### مقاومة ابن السكيت للباطل:

يعتبر ابن السكيت أحد علماء الشيعة العظام ممن تميزوا بالصبر والشجاعة. وقد عاصر المتوكل العباسي الذي اشتهر بظلمه وجوره آنذاك، وكان يرتكب المحرمات والجرائم الشنيعة عندما يتناول الخمر والشراب، اذ كان يطلق مثلاً أسداً جائعاً على الأبرياء، أو يضع أفعى سامة تحت لباس بعض الأفراد، وكثيراً ما

كان يكسر في مجلسه أوعية مملؤة بالعقارب السامة حتى تهجم على الحاضرين!!  
 وكان ابن السكيت من أئمة الشعر والأدب والنحو واللغة وحامل لواء العلوم  
 الغريبة ومن ثقات وأفاضل الامامية في بغداد، ومورد اعتماد ووثيق علماء  
 الرجال وأرباب السير، وكان عارفاً بعلوم القرآن وأحد تلامذة الفراء وابن  
 الأعرابي وأبو عمر الشيباني.

له أربعة عشر كتاباً في العلوم المختلفة، وكان شديد الحب والولاء لأمير  
 المؤمنين عليه السلام، ويعد من خواص الامامين الجواد والهادي عليهما السلام.  
 وقد سأله المتوكل يوماً: ايما أحب إليك ابناي هذان اي المعتر والمؤيد ام  
 الحسن والحسين عليهما السلام؟

فواجه ابن السكيت هذا الموجود الباطل وقوله الباطل بكل شجاعة وصبر  
 ونهض للدفاع عن دينه، فرد عليه قائلاً: والله إن قنبرا خادم علي بن أبي طالب  
 خير منك ومن ابنك، فقال المتوكل للاتراك: سلوا لسانه من قفاء ففعلوا فمات، و  
 قيل: أثنى على الحسن والحسين عليهما السلام ولم يذكر ابنه فامر المتوكل الاتراك  
 فداسوا بطنه فحمل إلى داره فمات بعد غد ذلك اليوم عليه السلام.

الفيضي الشاعر الهندي والمفسر الاسلامي الكبير، يقول:

(أين صاحب الشراب والنشوى أين العاشق أين جنون العشق أين الساقى  
 والشراب، أروم الوصال أيها القلب لكني عاجز عليل فأين الطبيب والدواء، وفي  
 ليل الفراق أراك في عالم الخيال لكن آه من ليل الفراق ومن رؤيا الخيال، وبدأ  
 ألم الفراق ينفذ الى جسدي حتى أعياني فكيف الصبر والتحمل، وأخذ الحزن

والغم على فراق المحبوب يحرق قلبي بنار لا يخبو لهيبها، فلا تطلب العشق ممن اکتوى بناره لأنه لن يصيبك سوى اللوعة والحزن).

فكيف للانسان أن يدرك معنى الدين وقيمته؟ لكن العاقل يدرك أن جوهر الدين الحقيقي أمر عظيم احتاج الله تعالى أن يبعث للبشر مئة وأربعة آلاف نبي حتى يوضحوا لهم كنه هذا الدين وحقيقته، ونصب لهم إثني عشر إماماً معصوماً بالولاية عليهم، وتعرض الملايين من الناس للنفي والحبس والتشريد والقتل في سبيل الله، وبذل آلاف الالوف من الفقهاء والحكماء والفلاسفة والخطباء والمفسرين جهوداً مضنية كانت تكلفهم أحيانا حياتهم في سبيل المحافظة على الدين واستمراره وبقائه، فكيف يمكن التهاون في الدفاع عن هذا الكنز الثمين مقابل أهل الباطل لأيام معدودات فقط. نعم، أهل العقل يقاومون الباطل ويحاربونه بشدة بالقول والعمل ولا يبيعون دينهم بدنياهم أبداً.

شجاعة الطرماح في كشف حقيقة الباطل:

بعد معركة الجمل في صحراء البصرة التي وقعت بين جيش علي عليه السلام والناكثين للعهد من أهل الفتنة وبعد مقتل طلحة والزبير وانتصار علي عليه السلام، كان معاوية بن أبي سفيان يمثل نموذجاً كاملاً على العناد والنفاق والكفر، حيث قاد راية الباطل في الخروج على أمير المؤمنين علي عليه السلام، وكتب الى الامام علي رسالة جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله وابن عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب أما بعد فقد اتبعت ما يضرك وتركت ما ينفعك وخالفت كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وقد انتهى إلي ما فعلت بحواري رسول الله ﷺ

طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة فوالله لارمينك بشهاب لا تطفيه المياه ولا تزعزعه الرياح إذا وقع وقب، وإذا وقب ثقب، وإذا ثقب ثقب، وإذا ثقب الثقب، فلا تغرنك الجيوش واستعد للحرب فإنني ملائكتك بجنود لا قبل لك بها والسلام. فلما وصل الكتاب إلى أمير المؤمنين عليه السلام فكه وقرأه ودعى بدواة وقرطاس وكتب إليه.

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله وابن عبده علي بن أبي طالب أخي رسول الله وابن عمه ووصيه ومفسله ومكفنه وقاضي دينه وزوج ابنته البتول وأبي سبطيه الحسن والحسين إلى معاوية بن أبي سفيان. أما بعد فإنني أفنيت قومك يوم بدر وقتلت عمك وخالك وجدك والسيف الذي قتلتهم به معي يحمله ساعدي بثبات من صدري وقوة من بدني ونصرة من ربي كما جعله النبي صلى الله عليه وآله في كفي فوالله ما اخترت على الله ربا ولا على الإسلام دينا ولا على محمد نبيا ولا على السيف بدلا فبالغ من رأيك فاجتهد ولا تقصر فقد استحوذ عليك الشيطان واستفرك الجهل والظفان وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والسلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى.

ثم طوى الكتاب وختمه ودعى رجلا من أصحابه يقال له الطرماح بن عدي بن حاتم الطائي وكان رجلا جسيما طويلا أديبا لبيبا فصيحاً لساناً متكلماً لا يكمل لسانه ولا يعيب عن الجواب فعممه بعمامته ودعى له بجمل بازل وثيق فائق أحمر فسوى راحلته ووجهه إلى دمشق فقال له: يا طرماح انطلق بكتابي هذا إلى معاوية بن أبي سفيان وخذ الجواب.

فأخذ الطرماح الكتاب وكور بعمامته وركب مطبته وانطلق حتى دخل دمشق

فسأل عن دار الامارة فلما وصل إلى الباب قال له الحجاب من بغيتك؟ قال: أريد أصحاب الامير أولا ثم الامير ثانيا فقالوا له: من تريد منهم؟ قال: أريد جعشما وجرولا ومجاشعا وبقعا - وكان أراد أبا الاعور السلمي وأبا هريرة الدوسي وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم - فقالوا: هم بباب الخضراء يتزهون في بستان. فانطلق وسار حتى أشرف على ذلك الموضع فإذا قوم ببابه فقالوا: جاءنا أعرابي بدوي دوين إلى السماء تعالوا نستهزيئ به فلما وقف عليهم قالوا: يا أعرابي هل عندك من السماء خير؟ فقال: بلى الله تعالى في السماء وملك الموت في الهواء وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب في القفاء فاستعدوا لما ينزل عليكم من البلاء يا أهل الشقاوة والشقاء. قالوا: من أين أقبلت؟ قال: من عند حر تقي نقي زكي مؤمن رضي مرضي. فقالوا: وأي شئ تريد؟ فقال: أريد هذا الدعي الردي المناق المرددي الذي تزعمون أنه أميركم فعلموا أنه رسول أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى معاوية فقالوا: هو في هذا الوقت مشغول. قال: بماذا بوعد أو وعيد؟ قالوا: لا ولكنه يشاور أصحابه فيما يليقه غدا قال: فسحقا له وبعدا. فكتبوا إلى معاوية بخبره: أما بعد فقد ورد من عند علي بن أبي طالب رجل أعرابي بدوي فصيح لسن طلق ذلق يتكلم فلا يكل ويطيل فلا يمل فأعد لكلامه جوابا بالغا ولا تكن عنه غافلا ولا ساهيا والسلام.

فلما علم الطرماع بذلك أناخ راحلته ونزل عنها وعقلها وجلس مع القوم الذين يتحدثون. فلما بلغ الخبر إلى معاوية أمر ابنه يزيد أن يخرج ويضرب المصاف على باب داره فخرج يزيد وكان على وجهه أثر ضربة فإذا تكلم كان جهير الصوت فأمر بضرب المصاف ففعلوا ذلك وقالوا للطرماع: هل لك أن

تدخل على باب أمير المؤمنين فقال: لهذا جئت وبه أمرت فقام إليه ومشى فلما رأى أصحاب المصاف وعليهم ثياب سود فقال: من هؤلاء القوم كأنهم زبانية لالك على ضيق المسالك فلما دنى من يزيد نظر إليه فقال: من هذا الميشوم ابن الميشوم الواسع الحلقوم المضروب على الخرطوم؟! فقالوا: مه يا أعرابي ابن الملك يزيد فقال: ومن يزيد لا زاد الله مزاده ولا بلغه مراده ومن أبوه؟ كانا قدما غائضين في بحر الجلافة واليوم استويا على سرير الخلافة فسمع [ يزيد ] ذلك واستشاط وهم بقتله غضبا ثم كره أن يحدث دون إذن أبيه فلم يقتله خوفا منه وكظم غيظه وخبا ناره وسلم عليه فقال: يا أعرابي إن أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام فقال: سلامه معي من الكوفة فقال يزيد: سلني عما شئت فقد أمرني أمير المؤمنين بقضاء حاجتك فقال: حاجتي إليه أن يقوم من مقامه حتى يجلس من هو أولى منه بهذا الامر!! قال: فماذا تريد آنفا قال: الدخول عليه فأمر برفع الحجاب وأدخله إلى معاوية وصواجه.

فلما دخل الطرماح وهو متنعل قالوا له: اخلع نعليك فالتفت يمينا وشمالا ثم قال: هذا رب الواد المقدس فأخلع نعلي فنظر فإذا هو معاوية قاعد على السرير مع قواعده وخاصته ومثل بين يديه خدمه فقال: السلام عليك أيها الملك العاصي، فاقرب إليه عمرو بن العاص فقال: ويحك يا أعرابي ما منعك أن تدعوه بأمر المؤمنين؟ فقال الاعرابي: ثكلتك أمك يا أحمق نحن المؤمنون فمن أمره علينا بالخلافة. فقال معاوية: ما معك يا أعرابي؟ فقال: كتاب مختوم من إمام معصوم فقال: ناولنيه. قال: أكره أن أطأ بساطك. قال: ناوله وزيرني هذا وأشار إلى عمرو بن العاص. فقال: هيهات هيهات ظلم الامير وخان الوزير. فقال: ناوله ولدي هذا

وأشار إلى يزيد. فقال: ما نرضى بإبليس فكيف بأولاده؟ فقال: ناوله مملوكي هذا وأشار إلى غلام له قائم على رأسه. فقال الاعرابي: مملوك اشتريته [ من ] غير حل وتستعمله في غير حق!! قال: ويحك يا أعرابي فما الحيلة وكيف تأخذ الكتاب؟ فقال الاعرابي: أن تقوم من مقامك وتأخذه بيدك على غير كره منك فإنه كتاب رجل كريم وسيد عليم وحبر حلیم بالمؤمنين رؤوف رحيم. فلما سمع منه معاوية وثب من مكانه وأخذ منه الكتاب بغضب وفكه وقرأه ووضع تحت ركبته ثم قال: كيف خلفت أبا الحسن والحسين؟ قال: خلفته بحمد الله كالبدر الطالع حوالبه أصحابه كالنجوم الثواقب اللوامع إذا أمرهم بأمر ابتدروا إليه وإذا نهاهم عن شيء لم يتجاسروا عليه وهو من بأسه يا معاوية في تجلد بطل شجاع سيد سميع إن لقي جيشا هزمه وأرداه وإن لقي قرنا سلبه وأفناه وإن لقي عدوا قتله وجزاه. قال معاوية: كيف خلفت الحسن والحسين؟ قال: خلفتهما بحمد الله شابين نقيين تقيين زكيين عفيفين صحيحين سيدين طيبين فاضلين عاقلين عالمين مصلحين في الدنيا والآخرة. فسكت معاوية ساعة فقال: ما أفصحك يا أعرابي؟ قال: لو بلغت باب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لوجدت الأدباء الفصحاء البلغاء الفقهاء النجباء الاتقياء الأصفياء ولرأيت رجلا سيماهم في وجوههم من أثر السجود حتى إذا استعرت نار الوغى قذفوا بأنفسهم في تلك الشعل لابسين القلوب على مدارعهم قائمين ليلهم صائمين نهارهم لا تأخذهم في الله ولا في ولي الله علي لومة لائم فإذا أنت يا معاوية رأيتهم على هذه الحال غرقت في بحر عميق لا تنجو من لجته.



نعم، يامعاوية:

(ان قول الحق هو ديدننا وفكرنا وأخلاقنا، وما ان نفذ عشق المحبوب في قلوبنا حتى أصبح كل همنا وفكرنا في كسب رضاه والتقرب اليه، فاستأنس القلب بقربه وسادت المحبة والألفة بين القلوب كأنها محبة قديمة أزلية، وما هي الا لحظات حتى عاد الينا وعينا لكن ما غاب عنا التفكير بالحق لحظة واحدة، فيا قلب لا تفكر في الأغيار وازهد بكل شئ إلا ما يقرب الى المحبوب، وقول الحق هو السبب في ما وصلنا اليه من ألم ولوعة العشق ومرامة الوصال الى عالم الحقيقة).

فقال عمرو بن العاص لمعاوية سرا: هذا رجل أعرابي بدوي لو أرضيته بالمال لتكلم فيك بخير. فقال معاوية: يا أعرابي ما تقول في الجائزة أتأخذها مني أم لا؟ قال: بل آخذها فو الله أنا أريد استقباض روحك من جسدك فكيف باستقباض مالك من خزانتك فأمر له بعشرة آلاف درهم ثم قال: أتحب أن أزيدك؟ قال: زد فإنك لا تعطيه من مال أبيك وإن الله تعالى ولي من يزيد قال: أعطوه عشرين ألفا قال الطرماح: اجعلها وترا فإن الله تعالى هو الوتر ويحب الوتر قال: أعطوه ثلاثين ألفا فمد الطرماح بصره إلى إيراده فأبطأ عليه ساعة فقال: يا ملك تستهزئ بي على فراشك؟ فقال: لماذا يا أعرابي؟ قال: إنك أمرت لي بجائزة لا أراها ولا تراها فإنها بمنزلة الريح التي تهب من قتل الجبال!! فأحضر المال ووضع بين يدي الطرماح فلما قبض المال سكت ولم يتكلم بشئ. فقال عمرو بن العاص: يا أعرابي كيف ترى جائزة أمير المؤمنين فقال الاعرابي: هذا مال المسلمين من خزانة رب العالمين أخذه عبد من عباد الله الصالحين. فالتفت معاوية إلى كاتبه وقال: اكتب جوابه فو الله لقد أظلمت الدنيا علي وما لي طاقة فأخذ الكاتب القرطاس فكتب.

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله وابن عبده معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب أما بعد فإني أوجه إليك جندا من جنود الشام مقدمته بالكوفة وساقته بساحل البحر ولارمينك بألف حمل من خردل تحت كل خردل ألف مقاتل فإن أطفأت نار الفتنة وسلمت إلينا قتلة عثمان وإلا فلا تقل غال ابن أبي سفيان ولا يغرنك شجاعة أهل العراق واتفاقهم فإن اتفاهم نفاق فمثلهم كمثل الحمار الناهق يميلون مع كل ناعق والسلام.

فلما نظر الطرماح إلى ما يخرج تحت قلمه قال: سبحان الله لا أدري أيكما أكذب أنت بادعائك أم كاتبك فيما كتب!! لو اجتمع أهل الشرق والغرب من الجن والانس لم يقدرُوا به على ذلك، فنظر معاوية فقال: والله لقد كتب من غير أمري فقال: ان كنت لم تأمره فقد استضعفك وإن كنت أمرته فقد استفضحك. أو قال: إن كتب من تلقاء نفسه فقد خانك، وإن أمرته بذلك فأنتم خائنان كاذبان في الدنيا والآخرة ثم قال الطرماح: يا معاوية أظنك تهدد البط بالشط.

فدع الوعيد فما وعيدك ضائر      أظنين أجنحة الذباب يضير  
والله إن لامير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لديكا علي الصوت عظيم  
المنقار يلتقط الجيش بخيشومه ويصرفه إلى قانصته ويحطه إلى حوصلته.

فقال معاوية: والله كذلك هو مالك بن الاشر النخعي، ثم قال: ارجع بسلام مني.  
وفي رواية أخرى: خذ المال والكتاب وانصرف فجزاك الله عن صاحبك خيرا.

فأخذ الطرماح الكتاب وحمل المال وخرج من عنده وركب مطيته وسار. ثم التفت معاوية إلى أصحابه فقال: لو أعطيت جميع ما أملك لرجل منكم لم يؤد عني عشر عشير ما أدى هذا الاعرابي عن صاحبه.

فقال عمرو بن العاص: لو أن لك قرابة كقرابة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكان معك الحق كما هو معه لاديننا عنك أفضل من ذلك أضعافا مضاعفة فقال معاوية: فض الله فاك وقطع شفتيك والله لكلامك علي أشد من كلام الاعرابي ولقد ضاقت علي الدنيا بحذافيرها.

«وَدَلِيلُ الْعَاقِلِ شَيْئَانِ: صِدْقُ الْقَوْلِ وَصَوَابُ الْفِعْلِ، وَالْعَاقِلُ لَا يُحَدِّثُ بِمَا يُنْكِرُهُ الْعُقُولُ، وَلَا يَتَعَرَّضُ لِلتُّهْمَةِ، وَلَا يَدْعُ مُدَارَاةَ مَنْ ابْتَلَى بِهِ، وَيَكُونُ الْعِلْمُ دَلِيلَهُ فِي أَعْمَالِهِ، وَالْحِلْمُ رَفِيقَهُ فِي أَحْوَالِهِ، وَالْمَعْرِفَةُ يَقِينَهُ فِي مَذَاهِبِهِ».

## علامات العاقل:

للعاقل علامتان هما:

صدق القول وصواب الفعل:

فالعاقل لا يحدث بما ينكره العقل وما لا يقبله، ولا يفعل ما يعرضه للتهمة، ولا يدع مداراة من ابتلي به من الأفراد المنحرفين والعاصين.

والعاقل يتحرك باستمرار ليكون العلم دليله والحلم رفيقه وقرينه والمعرفة يقينه أينما حل وسار وسلك.

وأنتفع الناس للناس هم أهل العلم والمعرفة؛ لأنهم يميزون ببركة نور المعرفة المنافع الحقيقية والأضرار الواقعية.

وتعد بعثة الأنبياء وتجلي الكتب السماوية في حياة الانسان وامامة الأئمة عليهم السلام، نموذجاً بارزاً لتحقيق المعرفة في حياة الانسان.

فالعيش في ظل الغفلة والجهل، يؤدي الى التسليم لايجاد المشاكل في الدنيا والتحرك نحو جهنم في عالم الآخرة.

ولو كان جميع أهل الدنيا من أهل المعرفة، لما كنا قد شاهدنا كل هذه المشاكل والآلام وعدم الأمن وكل هذه الانحرافات والأعمال السيئة، ولما شاهدنا هذا التقاتل والصراع بين بني البشر.

كلام كارل حول جهل الانسان:

يعد كارل أحد علماء الغرب المعروفين، تحدث في كتابه (الانسان ذلك الموجود المجهول) بكلام جميل ودقيق عن جهل الإنسان وعدم معرفته بحقائق الحياة ووقائعها وجهله بالمنزلة السامية لشخصية الانسان:

الخلاصة، ان علوم الكائنات غير الحية قد تطورت وتقدمت كثيراً لتشمل مجالات واسعة، في حين بقيت علوم الموجودات الحية تراوح في مكانها ولازالت في مراحلها الأولى.

ويعود السبب في هذا التخلف والتأخر البايولوجي الى الظروف الخاصة لطبيعة الحياة التي كان يعيشها الأسلاف الماضين، والتعقيد والصعوبة التي تواجهها في فهم كفيات الحياة والنظام الخاص بفكر الانسان الذي ينسجم مع الأنظمة الميكانيكية والانتزاعات الرياضية.

فقد أدت الاستفادة العملية من الاكتشافات العلمية في الحياة اليومية، الى تغيير جذري في حياتنا المادية والمعنوية، حتى نفذت هذه التحولات في وجودنا نفوذاً عميقاً ومؤثراً، مما جلب لنا أضراراً كبيرة دون التوجه الى الاحتياجات الحقيقية للانسان.

فبسبب جهلنا لأنفسنا، تمكنت علوم الميكانيك والكيمياء والفيزياء بشكل تصادفي من تغيير الأصول القديمة لحياتنا.

ورغم ان العقل يقتضي أن يكون الانسان محور ومعيار كل شيء، تحول من الناحية العملية الى موجود غريب في الحياة التي أوجدها لنفسه؛ لأنه لم يتمكن من جعلها تنسجم مع تطلعاته وأهدافه، لكونه لم يعرف حقيقة نفسه. لهذا ينبغي أن نعتبر التقدم الشاسع للعلوم المادية على العلوم الحياتية، أحد الحوادث المؤسسة في تاريخ البشرية!!.

فالبينة التي أوجدناها بمساعدة فكرنا واكتشافاتنا العلمية، لا تتناسب مع شكلنا وظروفنا وتطلعاتنا وأهدافنا.

وفيها تعرضنا للسوء والضلال والانحلال الاخلاقي، مما يؤدي حتماً الى سرعة اضمحلال التجمعات والمؤسسات التي تكاملت في ظل الحضارة الصناعية، وتزيد من سهولة عودتها الى عهد البربرية؛ لأنهم يعيشون بشكل أعزل بلا دفاع في بيئة صعبة أوجدها العلم لهم.

وفي الحقيقة تواجه حضارتنا اليوم ماواجهته حضارة أسلافنا، اذ ولأسباب معينة لانعلمها لحد الآن أوجدنا بيئة يصعب الاستمرار في العيش فيها، حيث يشعر فيها ساكنوا المدن الكبرى بالاضطراب والحيرة نتيجة التجمعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وخاصة الانحطاط الشخصي للأفراد، فوقعوا في الحقيقة ضحية تخلف علوم الأحياء عن العلوم المادية.

ما تقدم يمثل رأي أحد علماء الغرب حول الانسان الذي لم يصل الى المعرفة الصحيحة بشخصيته ومنهجه الصحيح في الحياة.

فالانسان اذا ما عاد الى ربه وتمسك بالوحي والتزم بالحلال والحرام وتعرف على الحق والمسائل المتعالية الأخلاقية والعملية، سيصبح موجوداً يتحلى بالمعرفة وينتفع من حياته في الدنيا والآخرة، لأن المعرفة تمثل علة سعادة الدارين

ومنشأ السعادة والامل في كافة مجالات الحياة.

ان أهل المعرفة يعتقدون أن حضرة الحق جل وعلا بيده كل شئ ومالك كل شئ ورب الأرباب، ولا يتعلقون بأي أحد سوى الله تعالى ولا يهتمون سوى بشؤون هذا المحبوب الأزلي الأبدي.

ويعتقد أهل المعرفة بفناء الدنيا وزوالها وبقاء الآخرة ودوامها، وأنهم ليسوا سوى مسافرين في هذه الحياة الدنيا يبتغون منها الوصول الى مقام اللقاء والوصل. ويعتقد أهل المعرفة أن تعاليم الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام السامية، أسمى وأفضل من أي شئ آخر، ولا هم لهم سوى السعي لتطبيق سلوكهم وتصرفاتهم بما ينسجم مع هذه التعاليم الالهية.

ويسعى أهل المعرفة لتجنب التلوث بأنواع الشرور والآثام وعدم الغفلة عن فعل الخير؛ لأن عبادة أهل المعرفة هي رعاية حق حضرة الحق ورعاية حقوق الناس.

وأهل المعرفة يتزينون بفضائل الأخلاق ويرتفعون عن رذائلها، وهم منورون بنور العشق ومحققون بالحقيقة ومتوشحون بالفضيلة ومصدر الجود والسخاء ومظهر اللطف والكرامة.

وأهل المعرفة شمعة في ليل الحياة وسبب ظهور البركات وقاروا الآيات والعاملون بالواقعيات، وباختصار هم عاشقوا حضرة الحق، ولا يتراجعون أبداً عن السير في طريق العشق حتى يتمكنوا من الوصول الى مقام القرب الالهي.

العارف العاشق الشيخ البهائي، يقول حول هذا الموضوع:

(قلت يا قلب اترك المحبوب فأجاب لاحيلة بيدي فقد أصبحت عبداً له وتملك كل جوارحي، فما أن يزيل الحجاب عن طلعتة البهية حتى يتغنى القلب

بحبه دون توقف، وافكر في جمال وجهه ليل نهار ويعتصر الألم قلبي رجاء في القرب والوصال، وكل ما عندي في هذه الدنيا هو العشق لهذا الحبيب وكأني أستجدي الحب منه، فما أن رأيت طلعتة البهية في عالم الرؤيا حتى تمنيت أن أكون نائما طيلة عمري، فقد بهرني حسن طلعتة حتى ذابت الروح فيه وبهت القلب حيراناً).



«وَالهَوَىٰ عَدُوٌّ الْعَقْلِ وَمُخَالَفٌ لِلْحَقِّ وَقَرِينٌ الْبَاطِلِ ; وَقُوَّةُ الْهَوَىٰ مِنْ الشَّهَوَاتِ . وَأَصْلُ عِلَامَاتِ الْهَوَىٰ مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ وَالْغَفْلَةِ عَنِ الْفَرَائِضِ وَالِاسْتِهَانَةِ بِالسُّنَنِ وَالْخَوْضِ فِي الْمَلَاهِي».

## الهوى عدو العقل:

في نهاية هذا المقطع من الحديث، يقول الامام الصادق عليه السلام:  
يبين الامام بهذه الكلمات العداة بين الهوى والعقل رغم كل تلك المنفعة والفائدة التي جلبها العقل للانسان في الدنيا والآخرة.  
والهوى هو مجموعة الميول والرغبات والفرائض والشهوات التي تعترى الانسان بمقدار يتجاوز حدودها الطبيعية والشرعية.  
وإذا تملك هذا الهوى وجود الانسان فهو حتماً مخالف للحق وموافق للباطل،  
لأن قوة الهوى انما تنشأ من الشهوات أي الرغبات التي لا يراعي فيها الانسان حلال الله وحرامه.

## عوامل ظهور هوى النفس:

تلخص العوامل الكامنة وراء ظهور الهوى بثلاثة أشياء هي:

١- أكل المال الحرام.

٢- المسامحة والغفلة عن الواجبات البدنية والمالية والروحية وستصغار

السنن الالهية.

٣- الانغماس في الملاهي والمناهي واللهو واللعب.

فاذا ما نظر الانسان الى الدنيا وأهل الدنيا بما ينسجم مع آيات الحق، سيدرك ان الحياة بالنسبة للانسان لاتعدوا سوى ممراً وداراً للوصول الى الكمال، وأن أهل الدنيا هم عباد الله ومخلوقاته؛ لذا ينبغي استثمار الدنيا في خدمة كمال الانسان وتعالیه وجعلها مصدراً للخير والبركة.

وعلى ضوء هذه الرؤية لن يقع الانسان في آفة أكل المال الحرام أو الغفلة عن الفرائض والسنن الالهية، ولن ينغمس في الخوض في الملاهي والمناهي. فهل الدنيا تستحق هذا الثمن الباهض الذي يضحى به الانسان بحيث يقع في كل هذا الحرام، ويغفل لأجلها عن الفرائض والسنن، ويرتكب لأجل ملذاتها كل هذه المحرمات الالهية والرذائل الأخلاقية؟!.

شخصيات لامعة في طريق الجهاد ضد هوى النفس:

التعرف على الحياة الطاهرة لأولياء الله والعاشقين الصادقين للحق الذين اكتسبوا هذه النورانية والمعنوية السامية عن طريق جهادهم المضني والشاق ضد هوى النفس وشهواتها، يحتاج الى مجال واسع جداً وتأليف كتب مستقلة. لكننا هنا نسعى الى الاشارة الى بعض النماذج البارزة في هذا الجهاد، لنستخلص منها الدروس والعبر التي تساعدنا في الارتقاء بحياتنا الى درجات الكمال المطلوبة، لذا نذكر هذه النماذج من باب:

(ان كنت تعجز عن شرب ماء البحر فعليك الارتشاف منه قدر ما يروي عطشك).

الآخوند الملا ابراهيم نجم آبادي:

انتقل سماحة الآخوند من نجم آباد الى طهران دون أن يعرفه أحد، وسأل أحد الطلاب الساكنين في إحدى غرف المدرسة: هل تقبل برفيق في غرفتك؟ بعد أن رأى هذا الطالب أنه رجل بسيط ومتواضع ولم يعلم أنه يتحدث مع أحد العلماء الكبار، قال: اذا كان شخص يساعد في خدمة الغرفة، ويزيد من وقت فراغي سأقبل به! وقبل الآخوند بتواضع شديد هذا الشرط وعمل في الغرفة كالخادم، وأمضى الاثنان وقتهم في الغرفة بحيث علم أحدهما بمنزلة صاحبه العلمية بينما بقي الآخر جاهلاً بأمر صاحبه.

وفي احدى الليالي كان صاحب الغرفة مشغولاً بمطالعة كتاب من كتب المعقول واستمر في ذلك الى وقت متأخر، بحيث كان ضوء الغرفة مانعاً لنوم الآخوند، فرفع رأسه من فراشه وقال لصاحبه: ما هذا الكتاب الذي شغلك الى هذا الوقت ويمنعك من النوم!

فلم يهتم هذا الطالب المغرور بكلامه، وقال: وما شأنك أنت؟ وبعد فترة من الأخذ والرد بين الاثنين على هذا النحو، قال الآخوند: أرى أنك تقرأ الكتاب الفلاني وأحترت في فهم هذه العبارة، لأنك تقرأها خطأ.

عندها نهض الآخوند من فراشه وقرأ له محل الاشكال بشكل صحيح، أوضح له العبارة جيداً ثم قال له: الآن قد تم حل الاشكال فاذهب الى النوم، لكن بشرط أن لاتحدث أحداً بما جرى الليلة، وسأظل أنا الخادم وانت المخدموم.

لكن صاحب الحجرة الذي وقع في الحيرة مما رأى، وبقي حتى الصباح غارقاً في فكره بما حدث؟.

وفي اليوم التالي بعد أن عاد هذا الطالب من درسه، جلب للآخوند كتابه وطلب منه توضيحاً لتقرير اليوم، فسمع بيانا كاملاً ووافياً من استاذة.

ومنذ ذلك الحين ظل هذا الطالب خاضعاً يستفيد من استاذة، لكنه لم يتحمل حفظ السر فأخبر بحال الآخوند للطلاب الآخرين معه في الدرس، مما جعلهم يجبرون الآخوند على إقامة حلقة درس لهم، واشتهر في طهران أن استاذاً باسم ابراهيم قد بدأ بتدريس المعقول!!.

نعم، هذا هو أسلوب الانسان البعيد عن هوى النفس، ومنهج الانسان الكامل العالم بالحق والحقيقة والسالك في طريق العشق والصفاء والمتصف بصفات المحبوب الأزلي الأبدى.

(كل من سلك طريق العشق نحوك لا بد أولاً أن يهجر النفس وأهوائها حتى يتمكن من الوصول الى المراد، اذ لا يمكن لأي أحد أن يتقرب اليك دون هجر النفس وملذاتها، فطريق العشق يمتلأ بالآهات والآلام والحسرات وهو صعب العبور على الجميع، حتى الزاهد لو ترك صومعته وتوجه اليك طلباً في القرب والوصول لما رأى سوى الألم والآهات، ومن استهان واستسهل البعد عن الحبيب فلأنه لم يذق طعم مرارة الهجر ولم يجرب العشق).

جهانگیر خان قشقايبی، أعجوبة الجهاد مع النفس:

هذا الوجود المبارك ومنبع الفيض ومحل الرحمة جهانگیر خان القشقشايبی،

يقول:

في بداية أيام الشباب كنت أمضي وقتي مع مجموعة من أبناء العشيرة باللهو في ركوب الخيل والزراعة وتربية الحشم والغنم.

وقد تعلق كثيراً في تلك الفترة بالعزف على الطنبور، وبعد أن تعلم فن العزف انهمك بالعزف بين أصدقائه ورفاقه.

وقد سمع بوجود أستاذ ماهر على هذه الآلة في اصفهان، فقرر السفر إليها لبيع بعض المواد واصلاح آله الموسيقية واكمال دراسته الموسيقية.

وأثناء مسيره في سوق اصفهان مر على مدرسة الصدر فاعجب بأجوائها الدراسية، فكان يتردد عليها صباحا ومساءً.

وفي أحد الأيام عند ذهابه الى مدرسة الصدر مر بدكان بجانب المدرسة كان يجلس فيه درويشاً من أهل المعرفة والنفس، فناداه هذا الدرويش فدخل جهانگیر خان الى الدكان، فسأله عن مدينته وحرفته ونسبه. فلما أجابه جهانگیر على سؤاله بين له رغبته بأكمال دراسته الموسيقية وخاصة على آلة الطنبور، وبعد أن اكمل كلامه حدق الدرويش في وجهه، ثم قال:

لنفترض أنك أصبحت في هذا الفن كالفارابي في فنه، فاعلم أنك لن تكون أكثر من مطرب!

فصرخ جهانگیر: لقد أيقضتني من نوم غفلتي، فقل لي ماذا أفعل الآن حتى أنال خير الدنيا والآخرة؟ فاجابه الدرويش الالهي:

اعتقد أنك قد استحسننت جو هذه المدرسة، فخذ فيها غرفة وواظب فيها على دراسة العلوم الالهية!

فيقول جهانگیر خان: بفضل ذلك الدرويش وبركة ارشاده لي تمكنت من الوصول الى هذا المقام.

ومن تلامذته المرحوم آية الله العظمى الحاج حسين البروجردي الطباطبائي، الذي نهض بمسؤولية تطوير حوزة قم بعد المرحوم آية الله الحائري، وبفضلة تحولت هذه الحوزة التي كانت تضم آنذاك سبعمئة طالب الى حوزة عظيمة يدرس فيه أكثر من عشرة آلاف طالب في مختلف اختصاصات العلوم الاسلامية.

وقد تمكنت هذه الحوزة من ايصال صوت الاسلام الى مختلف شعوب العالم وجذبت الانظار اليها ليتقاطر عليها المشتاقون للعلم والمعرفة من كل بقاع العالم. وتربى فيها العديد من العلماء الزام في الفقه والأصول والأدب والكلام والتفسير والتاريخ والخطابة والتأليف.

المرحوم فساوي يقول عن جهانگير:

رغم كونه عالماً كبيراً ارتقى المراتب العلمية العليا الا انه لم يتخلى عن لباسه المتعارف في منطقته وعشيرته، فكان يرتدي القبة ويطلب الزلف كأبي فرد من أفراد عشيرته.

الحاج الشيخ عيسى بن فتح الله تلميذ خان، يقول: يا سيد خان، لك شعر طويل وتخضب محاسنك بالحناء.

وكان الشيخ خان يقول للحاج الشيخ عيسى: أمتلك أرضاً في قشقايي ومن مال اجارتها ومقداره أربعين تومانا، أدير متطلبات معيشتي اليومية.

الاستاذ جلال الدين همايي ينقل بواسطة أحد تلامذة المرحوم خان، فيقول: نظراً للمكانة العلمية البارزة التي كان يتمتع بها جهانگير خان وتسلمه لمقام القدس والتقوى والنزاهة الأخلاقية وحسن تدبيره وحكمته المجتمعة جميعها في شخصيته، قد تمكن من التخلص من تهمة تدريس الفلسفة التي كانت توصف من قبل القدماء من الطلاب والعلماء بالكفر والالحاد، اذ كان يدرس مطالبها

تحت غطاء الفقه والأخلاق التي كانت دروسها رائجة آنذاك ومحل فخر ومباهاة استاذتها وطلابها.

وكان عادة ما يحضر في مسجد جارحي بعد ساعتين من طلوع الشمس، ثم يدرس فيه ثلاثة دروس متتالية يبدأها بدرس شرح اللمعة ثم شرح المنظومة ثم درس الأخلاق، وبهذا كان يدرس الفلسفة ضمن دروس الفقه والأخلاق. ويقول الجابري:

عندما كانوا يجلبون الى المدرسة شارباً للخمر أو فاعلاً للمنكر، كان المرحوم يأمر بسجنه حتى يعود لوعيه، ثم يذهب اليه في منتصف الليل ويخرجه من المدرسة ثم يهديه الى الطريق الصحيح بالموعظة الحسنة.

ويقول وحيد: طيلة فترة حضوري درس جهانگیرخان لعدة سنوات لم أسمع منه أبداً قول الشعر، لكن بعد وفاته سمعت عن شعره من الشيخ محمد حكيم وكان أقرب أصدقائه ومحرم أسرارهم، ونقل لي هذا الشعر له:

(ما أن تذكرت جمال وجهك حتى تكبلت أقدامي وفقدت الاختيار على عقلي وقلبي، فان لم يفكر الانسان بالعدم والفناء لن يمكنه أبداً الوصول الى درجة العشق والكمال، فلا تحزن من غضب الحبيب حتى لو انكسر القلب واسع بآلاف الوسائل لاصلاح هذا الخلل، فلا تسمع من الأعداء سوى الملامة ومن الأصدقاء سوى الجفاء طيلة العمر، فزاد في قلبي ألم الهجر والفراق حتى غرقت في بحار من الدمع والآهات لعلي أجد السبيل للقرب والوصول).

وينقل محمد جعفر دهقاني خادم مدرسة صدر عن حادثة وفاته، فيقول:

كان مريضاً بالكبد، وكان طبيبه المعالج الدكتور مسيح خان، فعندما اشتد عليه المرض ذهب لاستدعاء الدكتور الميرزا مسيح خان، فسألني: ما هي قرابتك

مع خان؟ قلت: خادمه، فقال الدكتور: لن أذهب اليه، لأن خان ليس شخصاً عادياً، لكنني سأتي لزيارته، فعدت الى البيت ونقلت ماجرى لخان، ففهم الأمر، وقال: اذهب وأطلب منه أن يأتي لزيارتي، عندها جاء الطبيب فتبسم خان وقال له: كل ما تعلمه أعلمه أنا أيضاً، وأعلم عدم شفائي.

ذهب الميرزا مسيح خان وجلب معه الدكتور الأجنبي شافتر فكتب له نسخة الدواء التي جلبتها له من المستشفى الانجليزي، لكن خان لم يتناولها!! وبعد مضي أربع ساعات من الليل، قال خان أديروا فراشي جهة القبلة ثم تناول قدحاً من الماء وأنشغل بعدها بذكر الله تعالى، وبعد لحظات قليلة فارقت روحه الحياة وانتقل الى ربه.

وقد حضر جميع العلماء في تلك الليلة مع جمع غفير من الناس، وأقيم له تشييع مهيب وصلى على جنازته آية الله النجفي ودفن في تكية ترك، فرحمة الله عليه رحمة واسعة.

مؤلف كتاب «تاريخ حكما و عرفاى متأخر صدر المتألهين» يذكر ما يقرب عن اثنين وخمسين شخصاً من تلامذة جهانگیر خان، أصبحوا فيما بعد من كبار العلماء ومراجع التقليد والحكماء والعرفاء والفلاسفة الالهيين، وكانوا منشأ خير وبركات عظيمة في تقدم الثقافة الالهية ونبوة الأنبياء وامامة الأئمة عليهم السلام.

نعم، جهاد النفس يصنع من الانسان موجوداً طاهراً نورانياً والهيأ، الى درجة لا يرى بعدها سوى الله ولا يسمع سوى كلام الله، ولا يتكلم سوى بكلام الله:

(عدت الى الحياة بعد أن قضيت على النفس الأمارة بالسوء وأبعدت شرها عن الروح والقلب، وزهدت بحب الدنيا وملذاتها بحيث لا عودة ولارجوع لها أبداً، وكل من يملك قلباً حياً يعجز عن البعد عن الحبيب والروح من آثام الجسد



وأهوائه حتى يتقرب من الحبيب وينعم بلحظة الوصال ويداوي ألم الفراق الذي أحرق القلب فانطلقت أداوي الجراح لكن بلا فائدة فقد ملاً العشق قلبي وكل جزء من جسدي، وبقيت أتحسر على رؤية وجهك الكريم وبقيت ظماناً فمتى أنال شربة من الماء تطفئ هذا العطش).

برهان الحق الشيخ مرتضى الطالقاني:

كان عالماً عظيماً وأحد الحكماء والأولياء الالهيين، عاش في النجف الأشرف في مدرسة السيد كاظم اليزدي، وكان يدرس فيها الحكمة الالهية والفلسفة والمعقول، وينقل تلميذه الحكيم الشيخ محمد تقي الجعفري جانباً من حياة هذه الرجل الالهي الكبير، فيقول:

عندما كان يدرسنا الأسفار، كان هذا الحكيم مستعداً لتوضيح أي سؤال حتى لو طلبت منه أن يذكر أمثلة في مواضيع تخص كتب المقدمات في الحوزة!! ولم يكن يقبل تدريس أي شخص في أيام الأربعاء، فاستدعاني وقص لي هذه الحكاية: لقد كنت في طالقان أغرق كثيراً في التفكير حتى سمعت صوت القرآن في أحد الأيام وتجلت لي الحال، فقلت: الهي! لقد أنزلت علينا رسالتك، فهل أظل عاجزاً عن فهمها طيلة عمري؟

بعدها انتقلت الى المدينة وتركت كل شيء وقدمت الى اصفهان لدراسة العلوم الالهية وبقيت فيها لمدة خمس سنوات، ثم هاجرت الى النجف الأشرف وحضرت درس صاحب الكفاية، فلم أجد فائدة في هذا الدرس، وكذلك سمعت من الحكيم المتأله الجعفري أنه ذهب لحضور الدرس كما جرت العادة، وكان ذلك ليومين بقين قبل محرم سنة وفاته، فسمعته يقول:

«انهض أيها السيد، اذهبوا، لماذا أتيتم؟»، فقلت: للدرس، فرد علي: انتهى الدرس، فظننت أنه قال ذلك بسبب قدوم شهر محرم الحرام، فقلت: لم تبدأ العطلة بعد في الحوزات، فقال: أعلم أيها السيد لكني مسافر مسافر، ذهب حمار طالقان وبقي سرجه، ذهبت روحه وبقي جسده «لا اله الا الله» وانهمرت الدموع من عينيه بشدة، فأدركت أنه يتحدث عن خبر وفاته رغم أنه كان يتمتع بصحة جيدة دون أدنى تعثر في كلامه.

فقلت: اذن، اخبرني يا استاذ، فقال: أحسنت! لقد أدركتم الآن لقد أدركتم الآن، وقرأ هذا البيت:

(لن تحقق ما تريد دون السعي وبذل الجهد والعمل والتفكير).

فهلل وأشرق وجهه، ونهضت من عنده ولم يمض يومان حتى سمعت خبر وفات هذا العالم الكبير، فعم الحزن والأسف أرجاء مدرسة السيد كاظم محل اقامته. وسمعت أنه كان من عاداته النهوض في وقت السحر والوقوف على السطح للمناجاة مع ربه ثم يعود الى غرفته ثم يعود مرة أخرى ويناجي ربه مرتين ثم يعود الى غرفته، وقبل طلوع الشمس يخرج الى صحن المدرسة ويتمشى فيها بعض الوقت، ولكونه لم يخرج ذلك اليوم كعادته الى صحن المدرسة قلق تلامذته عليه فذهبوا الى غرفته فوجدوه متكئاً وفي حال المناجاة مع ربه ثم فاضت روحه الطاهرة وبقي العالم يتيماً بدونه، فتوليت مع المرحوم السيد محمد الطالقاني رحمه الله غسله وتكفينه فشممت رائحة عطر طيبة ملأت المغتسل ثم دفنا جسده الطاهر في مقبرة وادي السلام.

(لا شئ في هذا العالم أفضل من الانتقال الى لقاء المحبوب والتنعم بنعمة

القرب والوصول).

لكن، هؤلاء العظام الذين وصلوا الى هذه المقامات الالهية العالية نتيجة جهاد النفس، بماذا كانوا يشعرون وماذا كانوا يرون وماهي أحوالهم.

(ما أجمل عطر هذه الروح التي حملت أحسن صفات المحبوب وما أجمل هذا الماء الزلال كأنه ماء الحياة من حوض الكوثر، أهو عطر الجنة أم نسيم المحبوب أم نور الصباح الذي أنار الكون، فمن أين هذا القادم وهو يحمل هذا العطر الجميل وماذا تحمل هذه الكلمات حتى تتعطر بهذه الرائحة الجميلة، فآه من ألم العشق والفراق والشوق الى لقاء المحبوب لكن مازال في القلب أمل باللقاء كحال الصائم عندما يسمع صوت الأذان بنداء الله أكبر، فلا حياة بلا وصال واليوم الذي نعيش فيه بعيداً عن الحبيب كأنه يوم المحشر، فأردنا علاج العشق بالصبر والتحمل لكن دون فائدة اذ يزداد العشق في قلبي كل يوم ويقل الصبر، ومهما أردنا التعبير بالكلمات عن حال عشقنا وشوقنا فلا يمكن سوى الاختصار لأن قصة عشقنا طويلة لا تكفيها مجلدات كثيرة).

الحكيم المتأله الحاج الملا هادي السبزواري:

الحاج السبزواري أحد الحكماء والفقهاء والعرفاء الاسلاميين، بحيث يمكن القول بحق هذا العالم الالهي العظيم:

هو ولي ومن أولياء الله وانسان عظيم قل نظيره بين علماء الاسلام.

وقد سمعت قسماً من أحوال هذا الرجل الالهي في جلستين من لسان حفيده السيد أسراري أحد علماء سبزواري الكبار، عندما ذهبت الى هذه المدينة للتبليغ، وكتبت هناك القسم الأعظم من المجلد الأول لكتاب العرفان، وسأنتقل للقراء الكرام هذه المعلومات عن حياة هذا العالم الرباني اضافة الى معلومات أخرى

انتقيتها من كتاب «ريحانة الادب»، «تاريخ حكما و عرفاى متأخر صدر المتألهين»  
و مقدمة مجموعة رسائل الحكيم:

يقول السيد أسرارى:

بعد أن تعلق بذمته الحج الواجب، أودع ولده ذو الاربع سنين الملا محمد  
عند أقاربه، وعزم السفر للحج مع زوجته.

وأثناء عودته من الحج، فارقت زوجته الحياة، فعاد الحاج وحيداً عن طريق  
البحر الى بندر عباس ومنه دخل مدينة كرمان.

ولأنه كان يرتدي ملابس وعمامة أهل قرى سبزوار، لم يتصور أحد أن هذا  
الرجل يمكن أن يكون أحد الشخصيات العلمية المهمة وأحد أولياء الله  
الصالحين.

وبهذه الهيئة دخل الحاج الى مدرسة المعصومية في كرمان، فطلب من خادم  
المدرسة غرفة يبقى فيها عدة ليال، ثم يذهب بعدها الى سبزوار.

فقال له الخادم: واقف هذه المدرسة قد أوقف غرف هذه المدرسة لطلاب  
العلم، ولا يجوز ان ينزل فيها الأفراد العاديين أو الكسبة، إلا اذا وعدت  
بمساعدتي في نظافة المدرسة وأمور الطلاب!!

فقبل الحاج بعرض الخادم ليكون بمثابة تهذيب النفس وتأديبها وقام  
بمساعدة الخادم في أمور الطلاب ونظافة المدرسة.

وهنا قرر الحاج القضاء على هوى النفس عنده والعمل كخادم في هذه  
المدرسة، فعزم على البقاء فيها.

وبعد فترة من الزمن سأله الخادم: هل عندك زوجة؟ فيجيبه: لا، فيسأله: هل  
تتزوج اذا ما توفرت لك ظروف الزواج؟ فيجيبه الحاج بالقبول، فيقول له خادم

المدرسة: عندي بنت اذا ترغبت الزواج بها زوجتك إياها، فقبل الحاج مباشرة وتزوج من ابنت الخادم، واستمر في عمله كخادم في المدرسة لثلاث سنوات!

في تلك الفترة كان عالم كرمان وامام جمعيتها السيد جواد من أهل شيراز، وكان يعتبر عالماً جامعاً في العلوم العقلية والنقلية في عصره، وازداده الى مقامته العلمية واعتلائه مراتب المعقول والمنقول كان يعد عالماً ربانياً جليلاً ورعاً تقياً.

وفي أحد الأيام كان السيد جواد مشغولاً بتدريس منظومة حكمة الحاج لتلامذته، واتفق ان كان الحاج مشغولاً بالتنظيف فسمع درس السيد الذي لم يوفق في بيان احدي مسائل الكتاب جيداً، وبعد انتهاء الدرس شرح الحاج المسألة ببيان واف أثناء مغادرة السيد الى منزله، في البداية لم يهتم السيد بكلامه لكن عندما فكر بالمسألة كثيراً رأى أن شرح الحاج كان أفضل بيان لهذه المسألة. فارسل خادم المنزل لاستدعاء مساعد خادم المدرسة، لكن الحاج وخوفاً من كشف أمره قرر المغادرة مع زوجته بنت خادم المدرسة، وبعد مضي عدة سنوات جاء الى سبزوار اثنين من طلاب كرمان لدراسة الحكمة، وما أن دخلوا المدرسة حتى رأوا الحكيم السبزواري جالساً يدرس لتلامذته الحكمة، فتعجبوا كثيراً وعرفوا ان هذا الرجل هو نفسه الذي عمل مساعداً للخادم في المدرسة مدة ثلاث سنوات. وبعد أن علم الحاج تغير علامات وجه هذين الطالبين، استدعاهم وطلب منهم عدم الكشف عما جرى في كرمان وحملهم ذلك كأمانة وسريته وبينهم!!

(ان عشقك يملأ القلب بالحرقة والألم لا يتحملها إلا الرجال الأشداء، والعجب لمن لم يوظف كل لحظات عمره في هذا الطريق اذ بدونه لا فائدة من هذا العمر، ولا عجب أن يزهد البعض بعشقتك لأنهم لم يتذوقوا لذة الشراب من

كأس هذا العشق، فان لم يشمل العاشق بشراب العشق فكأنه شمع تحترق من اللوعة والألم، وبقيت أنتظر الوصال وأذرف الدموع لعلي أحضى بقربك ولطفك لأسعى نحو تحرر الروح وتهذيبها من كل ما يبعثني عنك).

وينقل والدا الحاج محمد اسماعيل وعبد القيوم وزوجته من أهل كرمان، بعضاً من شرح حاله، فيقولون:

كان المرحوم الحاج يستيقظ في الثلث الأخير من كل ليلة من ليالي الشتاء والصيف والربيع والخريف، ويبقى مشغولاً بالعبادة حتى أول طلوع الشمس. وبعد مضي ساعتين من النهار يذهب الى المدرسة ويبقى فيها أربع ساعات، ثم يعود بعدها الى البيت ويتناول الغداء الذي كان يتألف عادة من رغيف خبز لا يأكل سوى قطعة صغيرة منه، وكاسة من اللبن الخفيف الذي يصفه بأنه لبن سماوي، أي لبن بلون زرقة السماء.

وفي الليل ينشغل بالعبادة لثلاث ساعات، ثم يتناول بعدها العشاء في الظلام وعادة ما كان عشاءه قليل من التمن والسبانغ، ثم يتمشى قليلاً يخلد بعدها للنوم في سرير خشن يخلو من الفراش عادة ويسند رأسه الى وسادة خشنة ليست من القطن أو الصوف.

وكان لباس الحاج لعدة سنوات يتألف من عباءة مازندرانية سوداء وعباءة زرقاء اللون، قد تم غسلها كثيراً حتى تمزقت أطرافها بحيث تم وصلها عدة مرات. وفي الشتاء كان يرتدي قباء بلون أصفر فاتح وبنطلون، ولم يكن عنده مكتبة، بل كانت كتبه تقتصر على عدد من المجلدات!

وكان يؤمن معاشه من أجرة نهار من قناة في عميد آباد وأجرة يوم كامل في قناة قصبه ومن بستان يقع خارج مدينة ارك، حيث كان يحصل من البستان على

أربعين تومان سنوياً ومن القناتين المذكورتين ثلاثين حمل من الغلة وعشرة أحمال من القطن.

وكان يصرف مقداراً من هذا العائد على معاشه بقناعة تامة، وينفق القسم الباقي على الفقراء والمحتاجين.

وفي كل سنة كان يقيم مجلس عزاء في العشرة الأخيرة من شهر صفر، يقرأ فيها خطيب كريحه الصوت نادراً ما كان يدعو أحد في سبزوارة للقراءة، يعطي فيها خمسة ريالات للخطيب عن كل ليلة، ويوزع فيها الخبز وتشريب اللحم على الفقراء من الضعفاء والمرضى والعاجزين، ويعطي لكل واحد منهم ريالاً واحداً، أما الخمس والزكاة فكان يوزعها بنفسه كل سنة على السادة والمستحقين، حيث كان يزن أجناسه ويعد نقوده.

وكان جميع العلماء يصفونه بالورع والتقوى والترفع عن الدنيا والزهد فيها، وهم لم يقولوا في الواقع إلا الحقيقة.

دققوا في قول كيوان القزويني:

أولاً يقول: لم يحظ أحد بأسباب القطبية والرئاسة مثلما حظي بها الحاج الملا هادي، فقد اجتمعت فيه صفات العلم والحكمة والزهد، لكنه لم يستثمر العلم في جمع المال وإنما اقتصر معاشه على اجارة أملاكه التي ورثها عن آباءه.

ورغم الامتيازات التاريخية وأسباب الرئاسة التي كانت تتوفر فيه، لكنه لم يسعى إليها أبداً؛ بل ولم يتصدى حتى لامامة الجماعة، ولم يذهب في دعوة خاصة ولم يتقرب الى رؤساء بلده ومدينته، وكان يتجنب تصدر المجالس والنظار بمظاهر توزيع الغذاء ورفعهم ويمتنع من دعاء خطيب المجلس له وتقيل الأيدي من قبل العوام.

فكان يعيش حياة بسيطة جداً بعيدة عن المظاهر والمجاملات، اذ لم يكن يرى لنفسه امتيازاً على الآخرين ولم يستغل توجه الناس نحوه ولم يهتم بجمع الثروة والمال، وربى أولاده على الابتعاد عن المظاهر وأدبهم على التعامل الحسن مع الناس.

وكانت لهم كرامات كثيرة وصل إليها نتيجة جهاده ضد النفس وأهوائها ورياضات وعباداته الكثيرة.

الآخوند الهمداني احد مشايخ اجازتي، نقل الى هذا الفقير: عندما كنت تلميذاً عند آية الله الحاج الشيخ عبد النبي النوري، تعلقت كثيراً في أيام شبابي بدراسة علم الكيمياء، فجمعت في غرفتي في مدرسة مروى الكتب الخاصة بهذا العلم وكنت مشغولاً بدراستها ومطالعتها، وبعد فترة مرت على طهران قافلة قادمة من مدينة نور في مازندران قاصدة السفر الى مشهد، فرجوت أهل القافلة السماح لي بالسفر معهم فقبلوا ذلك، وفي الطريق جمعت المال الذي بحوزتي فرأيت أنني سأحتاج الى مبلغ اضافي. وعند وصولنا الى سبزوار قرر بعض أفراد القافلة الذهاب لرؤية الحاج فراقفتهم لزيارته، وعندما أردنا توديعه، طلب منى الحاج البقاء قليلاً، فأكمل لي النقص في مصروف سفري، ثم قال: كف عن ما تقرأه الآن، واعلم أن أفضل كيمياء هي علم الامام الصادق عليه السلام!!

الحكيم المتأله السيد كاظم العصار، يقول:

سمعت من بعض أساتذتي الذين قد تشرفوا بحضور درس الحاج، أن فقيراً جاء الى حضرة الحاج وطلب منه قليلاً من الخل، فرد عليه الحاج بصوت عال: لا يوجد لدينا منه، فقال الفقير: يوجد قليل من الخل في احدى زوايا السرداب، فقال الحاج أيها الدرويش! هل رفع عن عينك الحجاب حتى تقول هذا، لازل



هناك حجاباً ينبغي رفعه!!

(ما أن يرى الناس جمال وجهك حتى يعلم سبب جنوني وهيامي بك حتى مزقت ما عليّ من لباس، فعجباً لهذا الجمال الذي خط وجهه كدائرة تضاهي الشمس في جمالها، فيا أيها العاقل ما أن تتكبل أقدامك بقيود عشق المحبوب حتى تدرك ما حلّ بحال العاشقين الآخرين مثل فرهاد، فمن لم يرق قلبه على حال العشاق لم يتذوق حلاوة العشق).

الحاج السبزواري و ناصرالدين شاه:

ناصر القاجار وهو من طغاة عصره وصاحب أخلاق فرعونية، يقول:  
 كنت كلما أذهب الى مدينة يخرج لاستقبالي صغيرها وكبيرها وعالمها  
 وجميع أفرادها العاديين، حتى ذهبت ذات يوم الى مدينة سبزواري فخرج  
 لاستقبالي جميع الناس كل حسب طبقته ومنزلته إلا الحاج الملاهادي ليس فقط  
 لم يأتي لاستقبالي بل ولم يأتي لرؤيتي، لأنهم لا يعترف به ملكاً ووزيراً.  
 أعجبتني هذه الاخلاق، وقلت: اذا لم يكن يعرف الشاه، الشاه يعرفه.  
 وفي أحد الأيام وقريباً من وقت الغداء، ذهبت برفقة عدد قليل من الخدم  
 حتى لأسبب زحمة لهذا العالم، ولأ تناول الغداء معه، وبعد فترة من الحديث  
 والحوار، قلت: أرجو منك أن تخبروني ان كانت لديكم حاجة أستطيع تليتها لكم.  
 فرفض الحاج وأظهر غناه وعدم حاجته حتى بعد اصراري الشديد عليه،  
 فقلت: سمعت أن لديكم أرضاً زراعية، أرجوا أن لاتدفعوا الضريبة عنها، فرفض  
 ذلك أيضاً بعذر مقبول، فقلت: اذن، تفضلوا اجلبوا لنا الغداء حتى أتشرف بتناوله  
 معكم، ودون أن يتحرك من مكانه أمر خادمه بجلب الغداء، فجاء الخادم وجلب

معه طبقاً من الخوص فيه قليل من الملح واللبن وعدد من الملاعق وعدة أرغفة من الخبز ووضعها أمامنا.

في البداية أخذ الحاج هذه الأرغفة وقبلها بأدب شديد ووضعها على جبهته وشكر ربه من أعماق قلبه، ثم هشمها قطعاً صغيرة ووضعها في اللبن وأعطاني ملعقة، ثم قال: كل انه خبز حلال من زراعتي ومن عرق جيبني، تناولت معلقة منه، فلم علمت أن تناوله يفوق طاقتي!!.

وبعد مغادرته أرسل ناصر القاجار مبلغ خمسمئة تومان الى الحاج، لكن الحاج رفض قبولها، وقال: وزعوا نصفها على الفقراء والباقي على المستحقين!! (ان من لا يحده حد ولا مكان يملأ وجوده كل الأرجاء، والليل هو وقت أنس أهل العبادة ووقت مناجاتهم وخلوتهم، ولا أنيس للمشردين غير الحق تعالى فهو سلطان كل من يستجدي رحمته وعطفه، وكل من يلتجأ الى الله لن يكون غريباً أينما حل وارتحل لأنه سيسير في ملك الله دائماً فهو المالك لكل شئ، فقد زهد بكل ما في الدنيا من اسم ورسم وسلطة وتوجه الى الحق تعالى، والكل يطلب الراحة والدعة الا العارف تكمن راحته فيما يتحملة من ألم العشق والبلاء في سبيل الله، فلا تحزن على من خر صريعاً بسيف العشق لأنه سيخلد شامخاً الى الأبد).

المقام الرفيع لابن أبي عمير:

المولى محمد بن علي الأردبيلي مؤلف «جامع الرواة»، يقول:

محمد بن أبي عمير زياد بن عيسى أبو أحمد مولى الازد من موالي المهلب بن أبي صفرة وقيل مولى بنى أمية والأول أصح، بغداداي الأصل والمقام. لقي أبا

الحسن موسى عليه السلام وسمع منه أحاديث كناه في بعضها فقال يا أبا احمد و روى عن الرضا عليه السلام.

وأدرك من الأئمة عليهم السلام ثلاثة أبا إبراهيم موسى ولم يرو عنه، وإنما سمع منه الاحاديث وتعلم منه الفقه والعلوم الالهية.

وتشرف بلقاء عالم آل محمد الراضي بقضاء الله، وجه الامامة، شمس فضاء الولاية، أسوة العبادة، بحر المعرفة، العالم بالله، سر الأسرار، جامع الانوار، بحر الذخائر، الشجرة الطيبة علي بن موسى الرضا عليه السلام.

والتقى بكوكب برج الكرامة ومنيع الفضيلة وجبل الحلم والعلم، الامام الجواد عليه السلام، وروى عنه. وقد نقلت الكتب الرجالية عن شخصية ابن أبي عمير وتقواه وورعه:

جليل القدر عظيم المنزلة فينا وعند المخالفين. ثقة، من أوثق الناس عند الخاصة والعامة وأنسكهم نسكا وأورعهم وأعبدهم.  
قال الكشي انه ممن أجمعت أصحابنا على تصحيح ما يصح عنه وأقروا له بالفقه والعلم.

ذكره الجاحظ بهذه الصفة وذكر انه كان واحد زمانه في الأشياء كلها، وكان يحكى عنه في كتبه وقال كان وجها من وجوه الرافضة.

والقارئ يقف على مطالب عجيبة جداً تنقلها الكتب الرجالية عن شخصية هذا الرجل الالهي العظيم تبعث الحيرة والتعجب، ويدرك انه مصداق تام لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: المؤمن أفضل من ملك مقرب<sup>١</sup>.

١- مستدرک الوسائل: ١٢/١٢٥، باب ٨٦، حديث ١٣٦٩٥؛ وسائل الشيعة: ٧٥/١٦، باب ٨٦،

وكان علماء الرجال يقرون تماماً:

كان رجلاً قل نظيره بين أهل عصره في جميع أمور الحياة العقائدية والعملية والأخلاقية والعرفية والاقتصادية والفردية والاجتماعية، ولا يوجد أحد الأوأشاد بجلال قدره وعظمة شأنه، وأنه منبع الهي ذو مقام رفيع في جميع الفضائل الانسانية.

وقيل عن هذا العارف الالهي:

ابن أبي عمير أفتقه من يونس وأصلح وأفضل، رغم فضل يونس بن عبد الرحمن وجلال قدره في رواية الحديث.

وقد وشى به الحاسدون الى هارون الرشيد، فحبسه وصادر جميع أمواله، وقيل بل ليدل على الشيعة وأصحاب موسى بن جعفر عليه السلام، و روى أنه ضرب أسواطاً بلغت منه، فكاد أن يقر لعظم الألم فسمع محمد بن يونس بن عبد الرحمن وهو يقول اتق الله يا محمد بن أبي عمير فصبرت ففرج الله.

(لقد تجلت لي اشارات من الحق تعالى وامتلاً القلب حباً وعشقا، وحمل لي النسيم وطيور العشق أخباراً من عالم الحق لعلها تزيل الهم والحزن عن قلبي، وحملت أخباراً عن الحق والحقيقة بعد أن ظللت الطريق وبقيت حائراً أنتظر رحمة الحق ولطفه، وتجلت لي أنوار من أسرار الحقيقة وجواهر معدن الأصالة حتى أحس قلبي بنعمة الوصال بعد طول غربة وفراق).

الميرزا حسن الكرمانشاهي وأحد طلاب شاهرود:

كان الميرزا حسن الكرمانشاهي فريد عصره في العلم والعمل والأخلاق، إضافة الى احاطته بالعلوم المتداولة في عصره كالرياضيات والطب وحكمة

المشاء والاشراق والفلسفة والعرفان والفقہ.

وكانت نجابته وعفة نفسه وزهده بالدنيا وملذاتها حديث العام والخاص، ورغم عسر معيشته وصعوبتها، لكنه كان يترفع عن قبول المال من أحد، فكان يدير أمور معيشته من حقوق التدريس في مدرسة سهسالار القديمة. لكن شدة ابتلائه بالفقر وضنك المعيشة لم تؤثر أبداً في روحيته ومعنوياته بحيث لم يسمعه أحد شاكياً قط.

ولم يكن يتأخر أبداً عن التدريس وتربية التلاميذ، حتى ان أحد الأكابر كان يقول: أحياناً كان الميرزا يغرق في التفكير أثناء الدرس وفي الأوقات الأخرى، ثم يتأوه من أعماق قلبه آه تجلب معه النور!!

الهي! بالهؤلاء العباد والأولياء الصالحين الطاهرين، الهي! أنقذنا نحن عبادك المنغمسون في وحل هذه الطبيعية ومادياتها، الهي! واشف هؤلاء المرضى من ألم البعد عن قربك، الهي! وأنقذ المحتاجين من ذلة العوز، الهي! وأرشد المهاجرين من ألم الهجرة الى مقام الوصل، الهي! واملاً كأس هؤلاء الخائبين من شراب عشقك، الهي! وصل هؤلاء البساط الى عالم من النقاء والطهارة.

الحاج الميرزا حسن الكرمانشاهي هذا الرجل الالهي العظيم، يقول: في أحد الأيام كنت جالساً في مدرسة سيد نصير الدين، فأقبل على مباشرة طالب رث الهيئة أشعث الشعر، وقال: ميرزا! أعطني مفتاح الغرفة ستة عشر، ودرسنى من اليوم منطلق ابن سينا. وكيفما حاولت لم أتمكن إلا الاذعان لطلبه، فاعطيته مفتاح الغرفة وبدأت بتدريسه المنطق، رغم أن تدريس المنطق كان ميزة الفضلاء من الطلاب، وقد فرغت من تدريسه منذ سنوات.

وبعد تدريسه لفترة معينة، إمتعظت زوجتي من كثرة مطالعتي لكنني لم أهتم

لانزعاجها. وفي احدى الليالي بحثت كثيراً عن كتاب المنطق فلم أجده، لذلك كنت أدرس المنطق بدون مطالعة، بحيث اعترض علي هذا الطالب في احد الأيام، وقال: ياشيخ! لماذا تدرس بدون مطالعة؟ قلت له: لقد أضعت كتابي، قال: في محل جمع الفراش تحت الفراش الثالث، فتعجبت من علمه بقصتي، وقلت: من أنت؟ قال: رجل عادي، قلت: في أحد الأيام جئتني مباشرة وناديتني باسمي، ثم طلبت مني مفتاح الغرفة السادسة عشرة وكانت فارغة، ثم طلبت مني تدريسك منطق أبو علي، واليوم تخبرني بمكان كتابي، وهذا لايمكن أن يكون بلا سبب، فأخبرني قصتك.

قال: أنا طالب من احدى قرى مدينة شاهرود، وكان والدي عالماً زاهداً وخادماً حقيقياً للناس، وكان يتولى ادارة جميع شؤون أهل القرية الدينية، وكان يرغب بشدة أن أنصرف للدراسة، لكنني كنت أقضي أوقاتي في اللهو واللعب خلافاً لرغبته. وبعد سنوات طويلة من خدمة الناس توفي والدي، وبعد انتهاء مراسم تشييعه ودفنه توجه الناس لي وأجلسوني ثيابه واجلسوني مقامه في مسجده ومحراه.

بقيت لسنتين أو ثلاث أصلي بهم، وأخذت سهم الإمام، وقبلت هدايا الناس من قبيل الخروف والزيت واللبن واللجين والمال، وتصرفت بها غضباً ودون استحقاق، وكنت أجيب الناس على أسئلتهم الدينية بغير علم، حتى جاء يوم فكرت فيه مع نفسي وقلت: الى متى الاستمرار في هذا الخطأ؟ فليست سوى أيام معدودة وينقضي هذا العمر ويحل موعد الحساب، فماذا أقول لربي حينها، وبماذا أجيب؟!

وفي يوم الجمعة، دعوت جميع الناس للاجتماع في المسجد لأمر هام، وبعد

أن تجمع الناس، ارتقيت المنبر وأخبرتهم بالحقيقة فانزلوني من المنبر وانها لوا علي بالضرب والشتم، بعدها خرجت بثياب ممزقة ورثة، عازماً السفر الى طهران مشياً على الأقدام.

وقريباً من طهران التقيت برجل عليه علامات الهيبة والوقار ناداني باسمي وأعطاني عنوانك وعنوان مدرستك، وأنا التقي به كثيراً وأتناول الغذاء معه، وقد أخبرته عن مسألة كتاب المنطق فاخبرني بمكانه، فتعجب الميرزا الكرمانشاهي من كلامي وعندما رأى علامات جهاد النفس والزهد في هذا الطالب، أدرك أنه قد التقى بالامام الحجة عليه السلام دون أن يعرفه، فقال له الميرزا: هل تطلب من صديقك أن أتشرف بلقائه ولو للحظة واحدة، فقال الطالب: لا مشكلة في ذلك، سأخبره عندما ألتقي به وأحد موعد اللقاء.

وفي اليوم التالي، قال الطالب: صديقي يبلغك السلام ويقول: اهتم أنت بدرسك!

قلت له: اذا رأيت مرة أخرى، قل له أريد أن أتبرك برؤية جمال وجهه الكريم من بعيد، فقال الطالب: لا مانع من ذلك، وذهب ليطلب الاذن منه ولم يعد بعدها، وبقيت أتألم من حسرة لقائه!!

(أيعلم أحد عن فتنة آخر الزمان وما يعانيه الناس من ألم الانتظار لرؤية جمال وجه المنتظر الموعود، لكن لا يمكن لأحد رؤية حسن وجهك ولن تنفع أهات المنتظرين وحسراتهم، وقد بقيت أتصور أحيانا جمال وجهك لكنها لم تكن تعدوا سوى نسيم يهب علينا بين الحين والآخر لأن النظر اليك يحتاج الى استعداد وقابليات تؤهلنا لهذا المقام، لكن القلب يبقى ينبض بحبك وانتظار اللقاء لعله يحضى بنعمة الوصل والوصول).

سيد الحكماء الميرزا أبو الحسن جلوه:

كان السيد جلوه من أعظم الحكماء وأساتذة الحكمة والمعقول في عصر القاجارية.

خرج السيد من اصفهان عازماً السفر الى سبزوار لدراسة الحكمة عند الحاج الملا هادي السبزواري، لكن عند وصوله الى طهران قرر الإقامة فيها، فسكن مدرسة دار الشفاء.

وقد بقي في هذه المدرسة مدة احدى وأربعين سنة مشغولاً بتدريس الطلاب وتربية التلامذة، وعاش أعزباً طيلة عمره.

وحضي السيد باحترام كافة طبقات المجتمع، لكن هذا الرجل العظيم الذي أمضى عمره في ممارسة رياضة تربية النفس لم يستغل أبداً مقامه وعنوان لأغراضه الشخصية.

وقد التقى ناصر القاجار بالسيد في نفس غرفته في المدرسة رغم كراهة السيد لهذا اللقاء، في حين لم يذهب الميرزا لزيارته.

نعم، أولياء الله لا يريدون ولا يرغبون سوى الله ولا يهتمون بأي أحد سوى الله. وكما يقول الميرزا نفسه:

(ان لم تحض في هذا العالم بأنيس وأصبحت غريباً فيه فازهد بكل ما فيه واحمل متاعك للسفر نحو لقاء الحق، فانك لن تحصل من هذا العالم سوى الألم والفراق ولاراحة الأ في اللقاء والأمل برحمة الحق وما يتجلى في القلب من لطفه وكرمه).

محمد رضا الاصفهاني:

كان أحد الشخصيات الالهية المرموقة التي تفوقت على العديد من أساتذة الحكمة والعرفان، واجتهدت في تربية الطلاب المعروفين في العلوم الدينية



العلمية والعملية. وقد قدم الى طهران للشكوى من العشائر الموجودة في أطراف اصفهان بعد أن استولوا على أرضه، لكن أحداً لم يعتني بشكواه، فأصر عليه طلاب مدرسة الصدر بالبقاء للتدريس، فأقام في غرفته الموجودة فوق مخزن المدرسة وبقي فيها حتى آخر عمره.

ورغم وضعه المالي الجيد في أوائل حياته، لكنه عاش أواخر عمره وضعاً مادياً صعباً، تحمله في حالة العزوبية بغذاء بسيط، رغم أنه كان بإمكانه الاستفادة من مكانته المرموقة لتحسين وضعه المادي.

وقد جاء في ترجمة حال هذا الرجل العظيم:

لم يغفل لحظة واحدة، فقد قضى عمره إما بالتدريس أو العبادة، ولم يكن ينام من الأربعة والعشرين ساعة في اليوم سوى خمس ساعات فقط، وكان صائماً أغلب أيام الأسبوع وعابداً متهجداً أغلب ساعات اليوم، ورغم حالة الحزن القلبي التي كان يشعر بها في سيره وسلوكه، لكن الابتسامة لم تغب عن محياه أبداً.

فعبجا لحال أولياء الحق، وباحسرة وأسفاً على حالنا وما قضيناه من عمرنا في الغفلة ومازلنا فيها، رغم قلة ما بقي من أيام عمرنا، الهي! فانقذنا بلطفك من حالنا وأيقضنا من نوم غفلتنا قبل انتقالنا الى عالم الآخرة.

(لا أمل في نجاة كل من وقع أسيراً بحبك، وكل من لم يتألم بجراح هذا الحب لم يحض بنصيب من رحمتك، ففائك كنز حقيقي لا يساويه كنز وحسن وجهك لا يضاهيه حسن، وكل من سار في طريق الحق طلباً للوصل واللقاء سينعم بما تنعم به الخضر والشرب من ماء الحياة، وقد سعت حتى أموت صريعا بسيف حبك كي أحلق في حياة ما بعدها موت، وكل من سعى لكسب رضا

الحق والعمل بأوامر ونواهيه وملاً قلبه بحبه ولهج لسانه بذكره ومناجاته لن يشعر بعدها بالألم أو الحاجة أو الغربة لأنه سيكون دائماً مع الحق ويقربه).

الباب

(٣٩)

في بيان الوسوسة



قال الصادق عليه السلام:

لا يَمَكَّنُ الشَّيْطَانُ بِالْوَسْوَسَةِ مِنَ الْعَبْدِ إِلَّا وَقَدْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ  
وَاسْتَهَانَ بِأَمْرِهِ وَسَكَنَ إِلَى نَهْيِهِ وَنَسِيَ إِطْلَاعَهُ عَلَى سِرِّهِ.

وَالْوَسْوَسَةُ مَا يَكُونُ مِنْ خَارِجِ الْقَلْبِ بِإِشَارَةِ مَعْرِفَةِ الْعَقْلِ وَمُجَاوِرَةِ الطَّبَعِ.  
وَأَمَّا إِذَا تَمَكَّنَ فِي الْقَلْبِ فَذَلِكَ غِيٌّ وَضَلَالَةٌ وَكُفْرٌ؛ وَاللَّهُ عَزَّوَجَلَّ  
دَعَى عِبَادَهُ بِلُطْفٍ دَعْوَتِهِ وَعَرَفَهُمْ عِدَاوَةَ إِبْلِيسَ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ:  
﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾<sup>١</sup>.

فَكُنْ مَعَهُ كَالغَرِيبِ مَعَ كَلْبِ الرَّاعِي يَفْرَعُ إِلَى صَاحِبِهِ فِي صَرَفِهِ عَنْهُ.  
وَكَذَلِكَ إِذَا أَنْكَرَ الشَّيْطَانُ مُوسِئاً لِيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ وَيُنْسِيكَ  
ذِكْرَ اللَّهِ فَاسْتَعِذْ مِنْهُ بِرَبِّكَ وَرَبِّهِ فَإِنَّهُ يُؤَيِّدُ الْحَقَّ عَلَى الْبَاطِلِ وَيَنْصُرُ  
الْمَظْلُومَ بِقَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ:

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>٢</sup>.

وَلَنْ تَقْدِرَ عَلَى هَذَا وَمَعْرِفَةِ إِتْيَانِهِ وَمَذَاهِبِ وَسْوَئِهِ إِلَّا بِدَوَامِ الْمُرَاقَبَةِ  
وَالْإِسْتِقَامَةِ عَلَى بَسَاطَةِ الْخِدْمَةِ وَهَيْبَةِ الْمُطَّلَعِ وَكَثْرَةِ الذِّكْرِ، وَأَمَّا الْمُهْمِلُ  
لِأَوْقَاتِهِ فَهُوَ صَيْدُ الشَّيْطَانِ.

وَاعْتَبِرْ بِمَا فَعَلَ بِنَفْسِهِ مِنَ الْإِغْوَاءِ وَالْإِسْتِكْبَارِ حَيْثُ غَرَّهُ وَأَعْجَبَهُ عَمَلُهُ  
وَعِبَادَتُهُ وَبَصِيرَتُهُ وَجُرْأَتُهُ عَلَيْهِ، قَدْ أَوْرَثَهُ عِلْمَهُ وَمَعْرِفَتَهُ وَاسْتِدْلَالَهُ بِمَعْقُولِهِ

١- فاطر ٣٥: ٦.

٢- نحل ١٦: ٩٩.

اللَّعْنَةَ عَلَيْهِ إِلَى الْأَبَدِ فَمَا ظَنُّكَ بِنَصِيحَتِهِ وَدَعْوَتِهِ غَيْرَهُ.

فَاعْتَصِمْ بِحَبْلِ اللَّهِ الْأَوْثَقِ وَهُوَ الْإِلْتِجَاءُ وَالْأَضْطِرَارُ بِصِحَّةِ الْاِفْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ نَفْسٍ، وَلَا يَغُرَّتْكَ تَزْيِينُهُ الطَّاعَاتِ عَلَيْكَ فَإِنَّهُ يَفْتَحُ لَكَ تَسْعَةً وَتَسْعِينَ بَاباً مِنَ الْخَيْرِ لِيُظْفَرَ بِكَ عِنْدَ تَمَامِ الْمِائَةِ، فَقَابِلْهُ بِالْخِلَافِ وَالصَّدِّ عَنِ سَبِيلِهِ وَالْمُضَادَّةِ بِأَهْوَائِهِ.

«لا يَتَمَكَّنُ الشَّيْطَانُ بِالْوَسْوَسَةِ مِنَ الْعَبْدِ إِلَّا وَقَدْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ  
وَاسْتَهَانَ بِأَمْرِهِ وَسَكَنَ إِلَى نَهْيِهِ وَنَسِيَ إِطْلَاعَهُ عَلَى سِرِّهِ».

## الوسوسة وأهل الوسوسة:

في هذا المقطع من الرواية، اعتبر الامام الصادق عليه السلام الوسوسة أحد أسوء الأمراض القلبية وبين وسيلة علاجها الحتمية.

فالوسوسة حالة تعتري الانسان بواسطة شياطين الانس والجن، فتبعد الانسان عن الحق والاخلاق الحميدة والأعمال الحسنة، وهي في الواقع نوع من التبليغ المضاد الذي يوجهه أعداء الله ضد الانسان، حتى يسلبوا من حياته نور الهداية وولاية الأنبياء والائمة عليهم السلام، ويجعلوا من الانسان عبداً ذليلاً خاضعاً للشيطان ولأوامره في كل مكان وزمان.

ان الوسوسة بنوعها العملي والقولي كالشعلة المحرقة في طريق ازدهار الانسانية، والوسواس لا يهدف سوى القضاء على انسانية الانسان.

وعادة ما نجد في المجتمعات الانسانية خاصة المجتمعات الدينية تزايد أهل الوسوسة كلما انتشر الاسلام في هذه المجتمعات وتمكن من تسخير القلوب والعقول، الى درجة يمكن القول فيها: أن نسبة الموسوسين أكثر من الذين يتعرضون للوسوسة!

وأثناء تزايد المشاكل والمصاعب التي تعترض الانسان في حركته نحو الله، تظهر الوسوسة من قبل أعداء الحق وأصدقاء السوء والجاهلين بالحقيقة والماديين والمغرضين خاصة الذين يفتقدون الصبر والتحمل، وهي خطر عظيم يهدد الانسان؛ لذا ينبغي الانتباه ومواجهته بوعي وذكاء والاستعانة برفيق صالح في طريق الله.

فتجنبوا الوقوع في خطر الوسوسة والجأوا الى أولياء الله وعناية و لطف الله تعالى؛ لأنه الملقب الوحيد لدفع هذا الخطر.

(الكل يلجأ الى الحق خوفاً من الباطل، ويلجأ الى الله عند كل خطر وبلاء، والزاهد والعارف يلجأ الى قلبه الذي امتلأ معرفة بالحق من شر الكبير والعجب والرياء، ولا يلجأ من ذاق طعم الهجر الأ بالوصال ولقاء الحبيب كما يلجأ المريض الى الدواء لعلاج المرض والألم، وقد امتلأ بحب الحق حتى لم يبق أمام هذا القلب إلا اللجوء اليه كما يلجأ التائه الى من يرشده على طريق الصواب).

الامام الصادق عليه السلام في بداية الرواية، يقول:

«لَا يَتَمَكَّنُ الشَّيْطَانُ بِالْوَسْوَسَةِ مِنَ الْعَبْدِ إِلَّا وَقَدْ أَعْرَضَ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَاسْتَهَانَ بِأَمْرِهِ وَسَكَنَ إِلَى نَهْيِهِ وَنَسِيَ إِطْلَاعَهُ عَلَى سِرِّهِ».

نعم، عندما تنقطع علاقة الانسان مع حضرة المحبوب ولا يعمل باوامر الله وواجباته، وتهجم عليه الذنوب من كل جانب، ويغفل عن اطلاع الحق تعالى على أفعاله وسلوكه، سيكون لقمة سائغة أمام هجوم وساوس الشياطين التي تقوي إغراض الانسان عن ذكر ربه وتجعل ترك الواجبات ملكة نفسانية وتزيد في وجود الانسان من الشوق لارتكاب الذنب والغفلة عن علم الحق تعالى بحاله.



فالشارع وجميع الحقائق الالهية والانسانية في وجوده المقدس قد حذر الانسان من وساوس الشيطان، وامره باللجوء اليه من شرها.

ان جوهر نفس الانسان وقلبه يكون في الأصل طاهراً نقياً بمقتضى «كُلُّ مَوْلُودٌ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ»، حيث يتم التصرف بهذه اللوحة الصافية الطاهرة من جهتين، احدهما جهة جنود الله الرحمانية الذين يلهمونه ما فيه خيره وصلاحه وسعادته، والأخرى جهة جنود ابليس الشيطانية الذين يوسوسون اليه لاضلاله وحرفه عن تعاليم الوحي والحق.

ان جنود الله ينهضون من عالم الملكوت والجبروت، في حين يأتي جنود الشيطان من عالم الملك والطبيعة، مما يعني أن الانسان يواجه طريقين: طريق العقل والملكوت وطريق الملك والطبيعة، ولأي طريق مال واتجه سيطر عليه جنود تلك الأرض، والسبيل الوحيد الكامل والثام للسير نحو عالم الملكوت والمعنوية هو الالتزام بالآداب والأحكام والأوامر والنواهي الدينية، كما ان علامة ارجوع نحو الطبيعة والشيطان هو ترك الاوامر الالهية ومخالفة الواجبات الدينية.

ان ترك الواجبات والتلوث بالمحرمات تعد مجالاً خطراً يسمح بتأثير وساوس الشياطين وتبليغاتهم، كما ان ذكر الله واداء الواجبات وترك المحرمات تعد حصاراً عجيماً لدفع شرور الفتن والآثار السيئة لتبليغ السوء ووساوس الشياطين.

(لا يمكن للانسان الوصول الى مقام الحق ما لم يتحرر من النفس وأهوائها، ولا يمكن لأحد أن يشرب من كأس وصال الحق ما لم يزهّد بملذات الدنيا وشهواتها، ومن لا تشمله رحمتك ولطفك لن يحضى بنعمة وصالك وقربك).

## تفسير سورتي الفلق والناس:

أشارت هاتين السورتين الى مسألة الشرور والوساوس ومبدأهما ومنشأهما وكيفية علاجهما، وقد جاء الأمر بقراءة هاتين السورتين لأن تكرار قراءة الحقائق الموجودة فيهما سيعمل على تثبيتها في القلب حتى تسخر جميع أعضاء وجوارح البدن، مما يجعل الانسان تحت عناية الحق تعالى ليحفظه من كل شر ووسوسة. ولتوضيح حقائق هاتين السورتين جمعت ما يقارب التسعة عشر تفسيراً، فلم أجد اختلافاً كبيراً بين هذه التفاسير في توضيحهما، لكن التفسير الوحيد الذي بين هاتين السورتين أفضل واكثر من التفاسير الأخرى، هو تفسير (پرتوی از قرآن)؛ لذا سأنقل هنا خلاصة هذا التفسير:

## تفسير ﴿الْفَلَقِ﴾:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾<sup>١</sup>.

إذا كان الفلق يشير الى النوع فهو يشمل جميع أنواع الفلق سواء الشعاع الذي يخرج من انفلاق الظلام أو النبات والحيوان الذي يخرج من الأرض والبذر والبيضة والرحم.

كذلك العيون والامطار التي تجري من الجبال وتراكم الغيوم. والأعمال التي تصدر عن النيات والصفات والمعارف الموجودة في الأذهان، والأفكار والصور التي تظهر من تركيب العناصر والمادة، والوجود الذي يظهر من العدم.

واضافة اسم رب الى ﴿الْفَلَقِ﴾ اشعار بهذه الربوبية الواسعة والشاملة التي تعمل دائماً على تربية كل موجود في هذا العالم وتحت الأغشية والحجب وما

أن يصبح مستعداً للظهور، حتى تنفلق هذه الأغشية والحجب ويخرج من بينها هذا الموجود الى الحياة.

تفسير ﴿مَا خَلَقَ﴾:

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾<sup>١</sup>.

تدل (ما) على العموم والشمول، وازضافة الشر اليها وفعل ﴿خَلَقَ﴾ ونسبته الى الخالق، يبين أن الشر إنما يظهر من الخلق وتركيب وامتزاج وتفصيل الكائنات والمواد والقوى، وليس من عالم الأمر والارادة الفاعلية للخالق.

وهذه الشرور هي التي اضيفت الى ﴿مَا خَلَقَ﴾، وتمثل في الواقع بياناً لكيفية رؤية الانسان وتفكيره واستنباطه من الحوادث المتضادة، وليس لها وجوداً عينياً مستقلاً.

اذن، اذا ما حسن الانسان من أخلاقه وسلوكه، وتقرب من حريم قدرة الله، وآمن بالله تعالى ولجأ اليه، ونظر الى الحوادث والظواهر في العالم برؤية ربوية والهيية، فانه سيحصن نفسه من كل شر، وسينظر في كل حادثة شر مظهراً أو مقدمة للخير، وبواسطة رؤيته الواسعة وقوة ارادته التي يحصل عليها من القرب الالهي سيتمكن من تحويل كل حادثة الى الخير والمقاصد الأسمى، ويتجاوز أمواج الحوادث حتى يصل نحو ساحل الخير.

والعكس يحصل للانسان الوحيد الذي لا ملجأ ولا معين له، الذي أبعد نفسه عن حريم اللجوء الى الله تعالى، وكل حادثة أو مشكلة يتعرض لها سواء كانت بسبب المجتمع أو بسبب أفكاره وعقائده، يرى فيها مظهراً من مظاهر الشر،

ويستمر في مسير هذا الشر.

(ان من يتبع النفس واختياراتها سيجد نفسه عبداً لأهوائها وما يحكم به القضاء، لكن ما أن يترك هذه النفس حتى يشعر بهدوء القلب وإيمانه وما أن يخطو خطواته الثابتة في السير نحو الحق تعالى حتى يمتلأ قلبه بمعرفة الله وحبه).

تفسير ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾:

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾<sup>١</sup>.

إن مجئ كلمة ﴿غَاسِقٍ﴾ نكرة وتقيدها بظرف ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ جعلها تعني الظلمة الشديدة التي تعم كل المحيط والأجواء بحيث تمنع أي مجال للنور. المثال الواضح والمحسوس لمثل هذا الغاسق هو ظلمة التي يستغلها قطاع الطرق والوحوش والاحلام والأوهام الموحشة فتخرج من جحورها وكماثنها ومن النفوس لتهاجم على فرائسها.

كما ان عتمة الكفر والجهل والهوى والغضب والشهوة، تعد أمثلة أخرى لمصداق ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ فهي شرور تخرج من نفس الانسان وتعد أخطر أنواع الشرور. وما أن تعم هذه العتمة كل وجود الانسان حتى تطفئ نور الايمان وشعاع العقل والوجدان. فتتحرر الغرائز والصفات الحيوانية والعقد من قيودها وكماثنها الباطنية فتهاجم على نفس الانسان كالحيوانات الوحشية الضارية فتضرب مركز القيادة والارادة، وما أن تسيطر عليها حتى تسخر جميع القوى والجوارح لتنفذ أوامرها وتسيرها في مسير الشهوات والأوهام وألسنة الغضب كيفما شاءت، وتزيل

من هذا المسير جميع الحدود والقيود القانونية والأخلاقية، وتحطم جميع أبعاد شخصية الانسان وتسيطر على جميع القوى والقابليات فيها.

(لا دواء للكفر سوى الايمان ولا رافع للألم والمرض سوى الدواء، وللوصول الى الايمان والقرب من الحق لا سبيل سوى الزهد بملذات الدنيا والابتعاد عن شهوات البطن والنفس لأن من يجعل همه اشباع سيكون كالحيوان، ومن لا يتمكن من التخلص من أهواء النفس وشهواتها خسر الدنيا والآخرة).

تفسير ﴿النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾:

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾!

لما كان خطاب وسياق ومضامين آيات هذه السورة والسورة التي تليها، يبين الشرور والآفات الناشئة عن حوادث الخلق والقوى والأهواء النفسانية، وتستهدف الرسالة الاسلامية والايمان والعقائد واجتماع المسلمين، لذا ينبغي أن يكون تعبير ﴿النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾، نوعاً من التشبيه البليغ والاستعارة لبيان التبليغات الخفية النسائية والساحرة والماهرة التي تنفذ الى المشاعر والقرارات الايمانية والاصول العقائدية، فتعمل على إضعافها وتفكيكها واحدة بعد الاخرى، لذا يطلقون على الأعمال السحرية من وضع العقد والنفث «عزيمة، عزائم، رقيه، رقى».

وكانه عبر في هذه الآية بتعبير ﴿فِي الْعُقَدِ﴾ اشعاراً بهذه العقد العقائدية والايمانية التي يسعى السحرة وأعداء العقائد الثابتة الى نفث سموهم فيها بهدوء

وخفاء؛ لضعافها والسيطرة على أصحابها ثم استغلالهم لتنفيذ ما ربههم المشؤمة.

مؤامرة المستعمرين:

في توضيح «النَّفَاثَاتِ فِي الْعُقَدِ» أبدأ أولاً بنقل رأي احد المفكرين الاسلاميين بأسم محمد محمود الصواف يكشف فيه عن مؤامرات المستعمرين وأهدافهم المشؤمة، ثم أعود مرة أخرى الى توضيح الآيات: منذ ألف سنة أو تزيد، واليهود والنصارى (الأفرنج) والمجوس والذين أشركوا يكيّدون للاسلام، ويضعون المخططات ويدبرون المؤامرات ويجمعون التجمعات العالمية لكسر شوكته ومكافحة دعوته ودحر المسلمين في كل ميدان. والاسلام هو الاسلام لم ينكسر له جيش ولم تنكس له راية ولم يهزم في معركة طوال تلك الحقب الطويلة من الأزمان بل كان كالجبل الأشم لم ينتطح به قبيل أو عشير الأ تحطم.

وكان المسلمون على بصيرة من دينهم وعلى صلة وثيقة بربهم، يجاهدون في سبيله لاعلاء كلمة الله لا تأخذهم في الله لومة لائم، أخوة الاسلام تجمعهم وراياتهم ترفرف فوق رؤسهم، وهم يد على من سواهم، لاتفرقهم عصبية ولا تباعد بينهم القبلية ولا يعرفون معنى للقومية إلا أنها عصبية جاهلية قد قضى عليها الاسلام.

وانصهروا جميعاً في بوتقة الربانية حتى كانوا كالجسد الواحد والبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضاً، يقاتل التركي الى جانب العربي، ويجاهد الفارسي الى جانب الكردي.

ويقف الجيش المسلم وهو خليط من أجناس وقوميات وشعوب وهو كالقلعة

الحصينة نصبت لحماية الاسلام وصمدت للدفاع عن عقيدتها ودينها ورسالتها الخالدة التي باعت أنفسها لها رخيصة في سبيل الله.

ولا يفكر أحد بعيوب الآخر، فالمجاهد العربي لا يشعر بامتياز عن أخيه التركي أو الفارسي؛ لأن أكرمهم عند الله أتقاهم.

وكان هذا الجيش المنتصر جيش القرآن والاسلام يقوده أحيانا قائد عربي وأحيانا أخرى يقود كردي أو تركي.

ولم يكن أحد يفكر في عيوب القائد ما دام مسلما يرفع راية الجهاد في سبيل الله ولا يفرق بين المسلمين.

وكانت هذه الوحدة والاتحاد بين المسلمين هي التي مكنت هذا الجيش من تحقيق الانتصار تلو الآخر.

وقد حققت الأمة الاسلامية العديد من النجاحات حتى جعلت منهم أفضل أمة اخرجت للناس، اذ كانت أمة معتدلة وحكمت بين الناس بالعدل.

وأفضل شاهد على حكومتهم العادلة وانصافهم وتعاطفهم هو نفوذهم الى قلوب الناس في البلدان قبل فتحها وتحريرها.

ويشهد الصديق والعدو، القريب والبعيد على الفضائل التي تميز بها المسلمون وبلغتهم مكانتهم السامية حتى أدرك الأعداء تماما أنها أمة لن تغلب ولن تتعرض للظلم أبداً؛ لأن الله معهم وينصرهم دائماً.

وقد قام أعداء الاسلام بدراسة وتحليل تعاملهم مع المسلمين طيلة القرون الماضية، وأدركوا أن القتال معهم بقوة السيف لم يجلب لهم سوى الهزيمة والخذلان، وان جميع آمالهم قد ذهبت أدراج الرياح بعد هزيمة رجالهم وشبابهم في معاركهم مع المسلمين.

وبعد أن قضى صلاح الدين على آخر مساعي الغربيين الصليبيين المحمومة، فذهبت آمالهم أدراج الرياح واخرجوا من ديار المسلمين يجرون أذيال الخيبة والهزيمة، وسعى لاصلاح ما أفسدوه واعاده هيبة الاسلام وعظمته، فتمكن المسلمين من استعادة هيبتهم وسلطتهم الأولى واستعادة قوتهم وصلابتهم كالسابق. وقد وصل الأمر بالصليبيين المحتالين وكافة أعداء الاسلام، أن يفقدوا توازنهم من شدة حسرتهم، وأن يتوقف قلبهم الأسود الذي امتلأ دائماً بالحسد والحقد والغضب، ويلفضوا أنفاسهم الأخيرة، وتبقى عيونهم شاخصة متحيرة بسطوع نور الاسلام وتصم أسماعهم بارتفاع صوت الحقيقة الاسلامية. نعم، لقد قام أعداء الاسلام بتحليل طبيعة مواجهتنا بدقة وأدركوا عمق المواجهة العسكرية بالسيف مع المسلمين، وأنهم سيتعرضوا الى هزيمة نكراء لا يمكن تفاديها.

فبدأوا بمواجهة المسلمين لكنهم باءوا بالفشل والهزيمة مرة أخرى، وقد شاهدوا شجاعة رجالنا وشبابنا ورأوا قدرة جيوشنا المظفرة التي منحها النصر عليهم، فاجبروا على الابتعاد عن المواجهة العسكرية في ميادين المعركة. ماجعلهم يتركون المعارك الحربية بالسيف ويفكرون في طرق أخرى لعلها تكون أجدى في التغلب علينا وأقرب الى نصرهم على امتنا الخالدة.

ونظر أول ما نظر قادتهم وكبرائهم وعقلاؤهم الأذكياء، نظروا أول ما نظروا الى سر العظمة في هذه الاسلامية. وماهي منابع القوة الدافعة التي أخرجت العرب من جزيرتهم الجذبة الفاحلة، وجمعت معهم وتحت لوائهم أمماً وشعوباً أخرى حتى أصبحوا جميعاً أمة واحدة مترابطة متماسكة متعاونة؟

وماهو السر الذي جمع الاثنيات المتفرقة والأوزاع المتمزقة حتى بنى منهم



جيشاً لا يقهر وجداراً لا يصهر وامة لا تغلب وشعباً لا يهاب الموت بل يتمنه ويسعى اليه حثيثاً كأنه يطلب الشهد والطلی!؟

وما هو السر الذي أخرج العرب من ضيق الجزيرة، ومن ضيق الحياة فيها وشظف العيش ومن ضيق التفكير في مسائلها ومصالحها، ومن ضيق التناحر على سيادتها والتكالب على حطامها القليل وملكها الضئيل وعيشها الذليل؟

وما هي القوة التي أنقذتهم من كل هذا الانحطاط وضيق الأفق، وتمكنت من تربيتهم بحيث ابتعدوا تماماً عن التفكير بالقوميات الشخصية والتوجهات الفردية، ولم يقتصر تفكيرهم على القبيلة أو العشيرة أو الوطن؟

فلا هذا من ربيعة أو مضر، ولا فرق بين عدناني أو قحطاني، بل جميعهم يفكرون بأوضاع العالم العامة والمسائل المرتبطة بالأوضاع الثقافية والجمعية المرتبطة بعقائدهم الدينية في دينهم الجديد؟

وكيف تمكنوا من جمع كل هذه القبائل والشعوب وتحولها الى قبيلة واحدة وتجمع كل هذه الأعراق المختلفة في عرق واحد؟

نعم، تحولوا الى قبيلة واحدة وعرق واحد، وهي الأمة والعرق الاسلامي، فما هو السر الذي يكمن وراء العرب الذين صنعوا هذا الصنيع الذي لم يصنعه أحد قبلهم ولم يستطعه أحد بعدهم في العالم كله؟؟

فكر هؤلاء الأعداد الألداء من الفرنج في سر نهضتنا وأسباب انطلاقتنا، وسر شجاعتنا، ودققوا فيها حتى توصلوا الى ما أرادوا ووضعوا اصبعهم على أسرارنا!

وانفقوا جميعاً أن أسرار نهضة المسلمين تكمن في دينهم الذي يمثل مصدر وحدتهم وقوتهم وحریتهم. وبعد أن توصلوا الى هذه النتيجة عمدوا الى المكر والحيلة واحاكة المؤامرات، فقالوا:

دعونا نسعى للقضاء على الاسلام، ونهد هذا الصرح العظيم للمسلمين، ونعمل على اضعاف الاسلام في قلوبهم وعقولهم ونجعل المسلمين ينفرون منه ويتعدون عنه، من خلال اشغالهم بمواضيع أخرى تفصلهم عن دينهم، ويجاد الفرقة في قولهم وتفكيرهم حتى نعيدهم الى حالتهم الأولى التي كانوا عليها قبل الاسلام، واعادة هذه التعصبات القومية الحمقاء والاختلافات الجوفاء بينهم.

وتنفيذ هذه الخطة سيحقق لنا الغلبة والانتصار على المسلمين، وتمكنا من التسلط على المسلمين وعلى بلادهم، والسيطرة على ثغورهم ومراكزهم العسكرية والسياسية.

وقد وقع المسلمون في هذا الفخ، فأخذوا يتحدثون عن عجزنا عن تحقيق الانتصار على المستعمرين مهما بلغت قوتنا البشرية والعسكرية، وما داموا بهذه القوة وهذه السلطة سيقتى وضعنا على ما هو عليه، وهذا هو سر عظمتهم.

اذن، هدفنا هو القضاء على دينهم مما سيمكننا من القضاء على أسس عظمتهم واستقلالهم في كافة البلاد الاسلامية. وقد اتفقوا جميعاً على هذا الموضوع؛ لذا بدأوا باحاكة المؤامرات على الاسلام لتحقيق أهدافهم المشؤمة، وقد تجلت هذه المؤامرات في النقاط التالية:

١- فتح المدارس الأجنبية في ديار المسلمين وتكثيرها وتنويعها وارسال القسس والرهبان ليشرفوا على هذه المدارس ويربوا أجيال المسلمين على أعينهم.

٢- ارسال البعوث وتكثير الإرساليات التنصيرية في كل مكان وتشكيك الشباب المسلم في دينه عقيدته ومن وسائلهم فتح المستشفيات وهيئات الإغاثة (الصليب الأحمر).

٣- إرسال أكبر عدد ممكن من شباب المسلمين وابنائهم الى ديار الغرب

لينهلوا من ثقافتهم المسمومة ويعودوا الى ديارهم وقد ودعوا دينهم وأخلاقهم ومبادئهم ورجعوا يحملون الأمانة أمانة التنصير وحرب الإسلام.

٤- نشر الكتب المفسدة العابثة المضللة التي تشغل الشباب عن ثقافتهم الأصلية ودينهم وتلهيهم بالعبث والخيال الماجن الذي يجرحهم الى المجون والجنون.

٥- السيطرة على برامج التعليم في الديار الإسلامية وتوجيه التعليم توجيهها علمانيا لا يؤمن بدين ولا يصدق برسول وينطلق نحو الإلحاد والفساد.

٦- نشر المجلات الخليعة والسينمات المسمومة والأفلام عبر التلفاز المشحونة بما يثير غرائز الشباب ويشغلهم بالتفكير في اشبع غرائزهم عن التفكير في مصالح أمتهم ومستقبل دينهم وعقيدتهم.

٧- العمل المتواصل بإفساد شبابنا بزجاجة الخمر والمخدرات وفتاة الهوى والصور الخليعة وارسال القينات والقائبات أفواجا أفواجا الى ديار الإسلام ليفسدن باسم الفن ويهدمن باسم الحرية ويخرين باسم الترفيه.

٨- فتح نوافذ للحضارة الغربية والثقافة الغربية وتمجيدها والدعاية لها لينظر منها الشباب فيفتن بها وتأخذه مظاهرها الخلافة الكاذبة فيبدأ يأخذ بثقافتها ويعجب بحضارتها ويحتقر بعد ذلك أمته وبلاده لسوء حاضرها وتخلفها حتى أصبح قلبه معهم هناك وان كان جسمه هنا وأخذ يحلم بأن يذهب إليهم ويكون واحد منهم.

٩- السيطرة الاقتصادية والتحكم في الأسواق وامتصاص أكبر قدر ممكن من ثروات المسلمين وإشاعة الفقر والبطالة بين المسلمين وهكذا يشتغل الملمون بديانهم لسد حاجاتهم وفقيرهم وينسون دينهم ويحتاجون الى الغرب يستجدونه ويستقرضون منه ويسترضونه.

- ١٠- تمجيد الحضارات القديمة كالحضارة الآشورية والفرعونية وتبسيط الأضواء عليها لينبهر بها الشباب المسلم وينسى حضارته الإسلامية الأصيلة.
- ١١- ومنها العمل على إلغاء المحاكم الشرعية في ديار المسلمين وإلغاء دور الافتاء والسيطرة على أوقاف المسلمين. نشر القوانين الوضعية ودراستها حتى أنشئت كليات للحقوق في أكثر البلاد الإسلامية تدرس القانون الروماني والفرنسي بدلاً عن القانون الإسلامي.
- وسمحو فقط بإجراء بعض الموارد من قبيل الزواج والطلاق وأمثالها، لتكون تعبيراً عن الشريعة الإسلامية، لكنهم لا يمتلكون أي معرفة حقيقية بالقوانين العامة ولا حتى بأبسط المسائل والأصول الإسلامية.
- ١٢- إضعاف سلطان الإسلام في نفوس المسلمين ويقوم هذا الأسلوب على السخرية بعلماء الدين وتصويرهم بصورة الجهلاء الجامدين تارة والإرهابيين والمتشددين الأصوليين تارة أخرى وبث الإشاعات ونشر الاتهامات المختلفة حولهم لتقليص نفوذهم وسيطرتهم على نفوس المسلمين.
- ١٣- تشويه صورة الإسلام والحقائق الإسلامية بالقاء التهم الكاذبة على الإسلام، والهجوم المغرض والشديد على القرآن الكريم، وسعوا إلى ترجمته إلى لغات مختلفة ليتسنى لهم تشويه صورته.
- ١٤- السيطرة على دور النشر والطباعة والتوزيع لتتولى نشر ما يريد أعداء الإسلام في أوساط المسلمين. فأسسوا مراكز كثيرة للطباعة والنشر وتأليف الكتب والإصدارات المختلفة التي تروج للأهداف المشؤمة للاستعمار ورؤسائهم، والآن تمارس الكثير من هذه المراكز نشاطاتها في الدول الإسلامية المختلفة.

١٥- تشويه تاريخ الاسلام والتشكيك في أحداثه، والترويج لمؤلفين وكتاب كثيرين أمثال جرجي زيدان والكثير من المستشرقين الذين ركزوا على ايجاد العيوب في التاريخ الاسلامي واطهار بعض مواطن الضعف ونشرها بصورة قصص مسلية، وطعنوا في التاريخ الاسلامي وبث الحقد في نفوس شباننا ضد الاسلام والنظر برؤية سيئة الى رموزهم الأصلية وتاريخهم الطويل.

١٦- انشاء المذاهب والمباديء الهدامة كالماسونية والبهائية وغيرها واشغال المسلمين بها واخراجهم من دينهم بواسطتها وانشاء الأحزاب السياسية المتناحرة والمختلفة المباديء والاتجاهات بزعامات فارغة يوجهها رجال من الشرق والغرب وهم جميعا أعداء الإسلام.

١٧- التفريق بين المسلمين وجعلهم أما وشعوبا مختلفة بعد أن كانوا أمة واحدة.  
١٨- العمل على إفساد المرأة المسلمة ثم إخراجها بإسم الثقافة والحرية سافرة ومتبرجة وجعلها أحبولة الفساد ومن ثم تعطيل الأسرة وهدم كيان المجتمع الإسلامي.

١٩- محاربة اللغة العربية الأصلية والدعوة الى العامية أو الدعو الى الكتابة بالحروف اللاتينية لقطع الصلة بين ماضي المسلمين وحاضرهم وضياع كنوزهم العلمية التي تركها سلفهم الصالح.

٢٠- التوافق بين الاستعمار والصهيونية العالمية في مواجهة الاسلام، حيث سعى الاستعمار الى دعم اليهود بحجة الاهتمام بمسائلهم المختلفة ونصرة شعبهم المظلوم، وجعل فلسطين مسألة وطنية بعيدة تماما عن الشعوب والبلدان الاسلامية رغم أنها تمثل قلب الدول الاسلامية النابض، ولا تزال معركة الصليبيين مستمرة مع المسلمين في بيت المقدس لتكون امتدادا للحروب الصليبية ضد المسلمين.

٢١- إثارة النعرات القومية بين المسلمين من ذلك القومية العربية التي تدعو الى العصبية الجاهلية والقتال باسم الوطن والقومية وليس باسم الجهاد والأخوة الإسلامية وكما نرى فقد فشلت القومية العربية فشلا ذريعا في الوقوف أمام أعدائها وستظل هكذا إن لم تقاتل وتدافع باسم الأخوة الإسلامية والجهاد. ومنذ أن قال النبي ﷺ:

«من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية».

كان كل من يقاتل تحت راية التعصبات الجاهلية العمياء أو يدعو الى هذه العصبية القومية ثم يقتل في المعركة يكون قد مات ميتة جاهلية، وكل من يشيع الفتنة في هذه الأمة ويخلط بين حسناتها وسيئها ولا يحترم الناس المؤمنين ولا يلتزم بعهدته ووعده، فليس مني وأنا برئ منه؛ لقد قضى الاسلام على جميع التعصبات وأحى الأخوة الإسلامية، وجمع الناس على أوامر الايمان والدعوة القرآنية وان أكرمهم عند الله أتقاهم.

لكن الاستعمار حاك المواقرات ونشر الرجال من وكلائه في ديار الاسلام حتى يعملوا على نشر هذه العاطفة القومية التي من شأنها ان تبعد المسلم العربي عن أخيه المسلم الأعجمي، وتنشر بينهم هذه العصبية التي نهى عنها رسول الله ﷺ وحاربها الاسلام:

«من تعصب أو تعصب له فقد خلع ريق الايمان من عنقه».

وتتطابق هذه الفكرة مع الجاهلية الأولى في عصر الانحطاط والقبلية، وهذه الفكرة وحدها كفيلة بتفتيت وحدة المسلمين وكافية لتمزيق شملهم وتفريق كلمتهم وإشاعة العداوة والبغضاء بينهم.

وقد كان للغربيين الصليبيين ما أرادوا، فقد نفذوا مخططهم وأشاعوا الفكرة القومية بيننا ونشروا لها المبادئ المختلفة لاختلاف فكرة القوميات عندهم. وأوهموهم أنه لا وحدة للعرب إلا في ظل قوميتهم المتحررة وكذا لبقية الشعوب الإسلامية، وكل المبادئ التي جاءوا بها ورسوموا لها منهاجاً لشبابنا وبعض أحزابنا السياسية لاتصلح أساساً لوحدة العرب، إذ إن دعاة القومية اختلفوا في فكرتهم وانقسموا على أنفسهم شيعاً وأحزاباً وتفرقوا إلى فئات مختلفة كل يدعو إلى حزبه وفلسفته الخاصة.

هذه كانت مؤامرة الاستعمار المشؤمة للقضاء على الإسلام.

تفسير ﴿حَاسِدٍ﴾:

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾<sup>١</sup>.

الحاسد صفة لازمة، تعبر عن الشخص الذي يتصف بصفة الحسد. وهذه الصفة كغيرها من الصفات الرذيلة تنشأ عن ضيق النظر والعجز والاذلال النفسي، ويظهر تأثيرها في نفس الحاسد بأن يشعر بالألم والحزن من موقفية الآخرين ورفاههم دون أن يحسب مقدار النفع والضرر، وما أن تسيطر هذه الصفة على الإنسان حتى تبدأ باشغال الفتنة في داخله وتبدأ بالحاق الضرر به.

تفسير سورة الناس:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ \* مَلِكِ النَّاسِ \* إِلَهِ النَّاسِ﴾<sup>٢</sup>.

١- الفلق ١١٣: ٥.

٢- الناس ١١٤: ١ - ٣.

الصفة العينية والحقيقية للرب قامت بتركيب وتنظيم العناصر والقوى والغرائز الانسانية، وأوصلتها الى درجة الكمال في الرشد والنمو.

وبواسطة موهبة العقل الفطري والاختيار الذي من به الله على خليفته ونموذج قدرته وارادته ومالكيته، أصبح الانسان مالكاً ومتصرفاً في وجوده، وما أن يصل العقل الى مرتبة كماله ويتحرر من قيوده حتى تبدأ الصراعات والتجاذبات بينه وبين القوى النفسانية المضادة وتتسع تدريجياً، مما يتطلب تكامل القوى العقلية والنفسانية واتساع قدرة الاختيار والارادة الانسانية وزيادة قوتها وقدرتها للتخلص من الشرور التي تنشأ عن القوى النفسانية وما يرتبط بها، وتدفع الانسان نحو الذنوب والرذائل والسقوط في الهاوية.

وهذه الصفة العينية والاشعاع الالهي التي تكاملت في العقل تبدأ بالاشراق فتثير مجموعة من الآفاق والمبادئ والنهايات وتضفي على الانسان ارادة ايمانية قوية وتدفعه نحو مسير الالهام والوحي وطريق الشريعة والتشريع، لذا ينبغي على الانسان أن يحتمي في ظلها.

تفسير ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾:

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾!

ويسعى هذا الوسواس باستمرار الى القاء الأوهام، فهو بين الفينة والأخرى يأتي ويذهب ويظهر ويختفي.

فعندما ينير باطن الانسان بنور المعرفة والايمان ويتحصن بربوبية الرب وتصرفه ووقاية التقوى، وتعتمد القوى الخيرة والملائكة الصالحين الى اغلاق



سبل نفوذ الوسواس الشريرة، سيضطر هذا الوسواس الخناس الى التراجع والتقهقر ويبقى في كمينه متربصاً بالانسان حتى تزداد عنده الأهواء والشهوات والكبر والحسد وغيرها من الصفات الرذيلة التي تعمل على تشويش باطنه ووتزيد ظلمته، فينقض على قواه ودوافعه الخيرة حتى يسيطر على عقله ويمسك بمقود ارادته، ويسعى لايقاعه في الشرور وارتكاب الذنوب من خلال ابعاده عن التفكير الصحيح بعواقب الأمور والقاء الشبهات في نفسه ويوهمها بأنواع الرغبات والآمال والتمنيات الكاذبة والرذيلة!.

وإذا ماظهر شعاع نور الايمان مرة أخرى، فعاد الانسان الى وعيه وأظهر الندم، عاد الوسواس للاختفاء مرة أخرى ويبقى في كمينه متربصاً بالانسان للانقضاض عليه من سبيل آخر، فهو كالجراثيم الكامنه في الخارج وبين أنسجة البدن تنتظر الفرصة المناسبة للانقاض عليه عند حدوث الجروح أو تعطل أجهزة الوقاية في البدن أو ضعف قواه الدفاعية، فتتفد الى باقي أعضاء البدن وتبدأ بنشر شرورها المدمرة.

### ﴿الَّذِي يُوسُّوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾<sup>١</sup>.

وصف «الوسواس» بمعنى الاسم لوصف «الخناس» وهو يدل على الموصوف وبنشأ من موجود ذي شعور.

وفعل «يوسوس»، ووسوسة الصدر، مكانها ومقصدتها القلب محل ظهور العواطف والدوافع والرغبات، وورود أنواع الوسواس اليه باستمرار، وتلاقى فيه الالهامات والدوافع المختلفة والمتضادة التي تسحب كل واحدة منها الانسان نحوها.

ولما كان الانسان يتعرض باستمرار لمثل هذه الوسوس والالهامات، لذا لا ينبغي أن يجعل من نفسه منشأ أصلياً لهذه الالهامات والآثار، ولكونها من الأمور الحادثة ستكون عللها وأسبابها محدثة حتماً، ولكونها متضادة ستكون عللها وأسبابها مبادئ مختلفة يكون بعضها خيراً بالذات ومنشأ للخيرات وبعضها يكون شراً ومنشأ للشرور، حيث يطلق على ما هو مبدأ الخير اسم الملك، في حين يطلق على ما هو مبدأ الشر اسم الشيطان الخناس.

فالترديد الذي يصيب نفس الانسان عندما يواجه الذنب والحرام المثير للذة، أو الثواب والواجب الباعث للاجتهاد والمشقة، يمثل نموذجاً للصراع بين القوى المتضادة في باطن الانسان، حيث يشعر الانسان بقوة تحاول جذبه نحو الذنوب والصفات الرذيلة وترك الواجب وقوة أخرى تحاول منعه من ذلك.

ولما كان معظم الناس يقعون باستمرار تحت تأثير هذه العوامل، أو يغفلون عنها دائماً أو تحكمهم حواسهم وأهوائهم النفسية، نجدهم يعتبرون هذه العوامل معلولة للدوافع الحسية أو القوى النفسانية. ولا يمكن معرفة هذه العوامل والآثار وتطبيقاتها والحذر منها إلا بنور الايمان والمعارف الالهية وهداية القرآن، وبالجوء الى « ربّ الناس وملك الناس واله الناس » يمكن غلق طريق نفوذ هذه الوسوس وفتح بوابة أنوار الالهامات الالهية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾<sup>١</sup>

وإذا ما نسي الانسان نفسه وغفل عن ذكر الله، يصبح قريناً للشيطان.

﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾<sup>١</sup>.

فيسيطر عليه الشيطان تماماً ويصبح من حزبه.

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ

الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>٢</sup>.

﴿مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ﴾<sup>٣</sup>.

### الخواطر والوساوس:

في هذا الموضوع، يقول العرفاء العظام:

من المتعارف أن ما يطرأ في الخاطر انما يحدث بين الخلق، ولا يوجد من ينكر ذلك؛ بل يعد من الضرورات التي لا يخلو منها أحد.

والخاطر اسم كل شيء يمر على القلب بدون قصد، وعامة الناس يطلقون عليه الخاطر، في حين تطلقه طائفة من الناس على كل ما يأتي من الحق تعالى، أما ما يأتي من الشيطان فهو الوسواس، والذي يأتي من النفس فهي الهواجس.

وقال العظماء:

لا يتمكن الانسان من التمييز بين الخواطر والوساوس والهواجس إلا اذا كانت لقمته حلالاً، أما من يأكل الحرام فما يخطر في قلبه يكون من الوسواس، وأما من كان في غذاءه الشبهة تختلط خواطره مع وساوسه، اما ما كانت لقمته حلالاً

١- الزخرف ٤٣: ٣٦.

٢- مجادله ٥٨: ١٩.

٣- الناس ١١٤: ٦.

فجميع خواطره صحيحة، لكن الشيطان يبقى يوسوس له كما ترد عليه هواجسه النفسية، لكنه يستطيع التمييز بينها فيعمل بالخواطر ويترك الوسوس والهواجس ويدفعها عن نفسه.

مجاهد المقرئ، يقول:

كنت عند أبو عمرو بن العلاء الذي لم يكن يأتّم النس في الصلاة باختياره قط، وفي أحد الأيام أجبره الناس على أن يأمهم في الصلاة، وما أن تقدم الصفوف قال: «استَووا» كما جاء في الشريعة حيث قال الرسول ﷺ، اذا انتظمت في الصفوف اصطفوا الى اليمين لانكم ان وقفت خلاف ذلك اختلفت قلوبكم واجعلوا الأكتاف الى الداخل حتى لا يدخل الشيطان بينكم ونظركم في محل سجودكم حتى لا تتفرق قلوبكم.

وبعد أن قال أبو عمرو: «استَووا» أغمي عليه وسقط على الأرض ولم يعود وعيه إلا في اليوم التالي، فسأله: لماذا سقطت على الأرض؟ قال: ما أن قلت لكم «استَووا» حتى خطر على قلبي أن الحق تعالى قال لي أيها العبد! هل كنت معي سوياً طرفة عين حتى تطلب من خلقي أن يستوا؟!.

وقال هذا العارف الالهي: عندما مرضت طلبت من الله أن يمن علي بالعافية، فسمعت أحداً يخاطبني أنت من يفصل بيننا وبين بدنك.

وقال البعض:

سمعتنا من محمد بن سعدان أنه قال: نقل لي أحد الأجلة كنت أحيانا عندما أنام قليلاً أسمع صوتاً يناديني ويقول في عالم الرؤيا؟ ان ابتعدت نظرك بالعصا، أي اشارة الى شدة المحبة، اذ كلما زادت المحبة كلما قل الأكل والنوم، فيصبح كل فكره مشغولاً بالخضوع لحضرة الحق حتى يتعلق به الى درجة لن يرى أو

يسمع أحداً سوى الحق تعالى، يصمت لسانه لكن قلبه يتحدث حباً وعشقاً  
لحضرة الحق.

«صامتٌ بلسانِهِ، ذاكِرٌ بقلْبِهِ، مُطْرِقٌ برأسِهِ، ناظِرٌ بسِرِّهِ».

اذن، كلما اشتدت المحبة وخضع جميع كيانه للحق، يصبح وكأن الحق معه دائماً، وإذا ما غفل عن الحق للحظة واحدة، يتغير حاله حتى يشعر كأن الحق يعاتبه.  
(عندما أتوجه الى ديار الحق لا يهمني بعد ذلك أي شيء مهم وانما المهم هو القرب من الحق تعالى وليست الجنة أو الحور العين، وعندما يظهر جمال وجهك ينبض القلب بحبك وعشقتك لكن لا قابلية عندي حتى أظفر بوصالك وأحضى في خلوة الليل برؤية جمال وجهك، وما لي بلقاء الأغيار ورؤيتهم مادمت أحضى بوجودك الذي يملأ قلبي وعقلي، وكيف لايفرح القلب بعزلته مادام يمتلأ بحبه تعالى ولا يرى سواه).

وعلى كل حال يجب الامتثال لكلام الامام الصادق عليه السلام بذكر الله تعالى والالتزام بأوامره وترك محرماته وويتذكر اطلاق علام الغيوب على سره، حتى يتمكن الانسان من غلق المنافذ التي تدخل منها وساوس الشيطان لأن الوسوسة من الأمور الخطيرة وطريق ملئ بالشُرور ونار محرقة وطوفان هائج يغرق من يواجهه.

«وَالْوَسْوَسةُ مَا يَكُونُ مِنْ خَارِجِ الْقَلْبِ بِإِشَارَةِ مَعْرِفَةِ الْعَقْلِ وَمُجَاوِرَةِ الطَّبَعِ.  
وَأَمَّا إِذَا تَمَكَّنَ فِي الْقَلْبِ فَذَلِكَ غِيٌّ لَهُ وَضَلَالَةٌ وَكُفْرٌ؛ وَاللَّهُ عَزَّوَجَلَّ دَعَا  
عِبَادَهُ بِلُطْفٍ دَعْوَتِهِ وَعَرَّفَهُمْ عِدَاوَةَ إِبْلِيسَ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ  
الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾<sup>١</sup>. فَكُنْ مَعَهُ كَالْغَرِيبِ مَعَ كَلْبِ  
الرَّاعِي يَقْزَعُ إِلَى صَاحِبِهِ فِي صَرْفِهِ عَنْهُ».

### وسوسة الشيطان:

في مجال معرفة العقل والميل نحو عالم الطبيعة تأتي الوسوسة من خارج القلب حتى تدخل اليه، وما أن تتغلب مرحلة الطبع والشهوات المادية على صفة العقل وبيتعد عن الانسان الادراك والمعرفة العقلية، حتى تسيطر الوسوسة تماماً على القلب وتدفع الانسان نحو التيه والضلال والكفر.

ان الله تعالى بلطفه ومحبته الشاملة يدعو عباده للتوجه اليه، ويكشف لهم عداة ابليس وحقده عليهم، ويقول لهم:

ان الشيطان عدو لكم فاتخذوه عدواً، فتعاملوا مع هذا العدو الخطير كما يتعامل الغريب مع كلب الراعي عندما يهجم عليه، حيث يستنجد بصاحبه ليدفعه

عنه ويجعله في مأمن من شره، فكلما لجأ الانسان من الشيطان الى الله تعالى، فبلاشك سيقبله الله ويحميه من مكائد الشيطان وشروره؛ لأنه تعالى ملجأ من لا ملجأ له، وشافي مرض المرضى، وناصر من لا ناصر له، وأمل المستعطين ومعمد المحتاجين.

ابليس عدو الانسان:

أجمل وأبلغ كلام يدل على هذه الحقيقة السامية هو كلام الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا  
مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى \* إِنَّ لَكَ أَلًا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى \* وَأَنَّكَ  
لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى \* فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ  
يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى \*﴾!

ثم يبين القرآن المجيد:

أن آدم وزوجته حواء قد أذعنا لوساوس الشيطان، فأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عنها، فسقط عن جسدهما لباس الجنة وبدت لهما عورتيهما، فسعوا يجلبون أوراق الشجر ليسترا جسديهما، فقد عصى آدم أمر الله فسقط في هاوية الغواية، لكن الله الرحيم لم يحرمه من رحمته وقبل توبته.

وسوسة الشيطان في الانفاق:

القرآن المجيد في كثير من آياته يحذر بني آدم أن لا يقعوا كأبيهم في

كمائن وساوس الشيطان وجنوده المتسترين بمختلف الاشكال والصور في حياة الانسان. وخلاصة الموعظة والدرس الذي نستخلصه من هذه القصة أن الهدف الوحيد لهذا العدو والموجود الخطير هو القضاء على أسباب سعادة الانسان في الدنيا والآخرة، ونذكر الآن أمثلة على هذه الآيات:

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>١</sup>.

وفي تفسير الأمثل جاء في توضيح هذه الآية:

تشير الآية هنا وتعقبا على آيات الإنفاق إلى أحد الموانع المهمة للإنفاق، وهو الوسواس الشيطانية التي تخوف الإنسان من الفقر والعوز وخاصة إذا أراد التصدق بالأموال الطيبة والمرغوبة، وما أكثر ما منعت الوسواس الشيطانية من الإنفاق المستحب في سبيل الله وحتى من الإنفاق الواجب كالزكاة والخمس أيضا. ينبه الله الناس بهذه الوسيلة الى ان الامتناع عن الانفاق خشية الفقر فكرة غير صحيحة وهي وسوسة شيطانية، ولما كانت فكرة الخوف من الفقر قد تبدو منطقية يؤكد قائلا: ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ أي إنه يحرضكم على العصيان وارتكاب الاثم، وعليه فان الخوف من الفقر لا أساس له؛ لأن الشيطان لا يدعو الألى الباطل والضللال.

وأساسا فكل فكرة سلبية وضيقة ومانعة للخير فإن مصدرها هو التسليم مقابل وساوس الشيطان، وفي المقابل فإن كل فكرة إيجابية وبناءة وذات بعد عقلي فإن مصدرها هو الإلهامات الإلهية والفطرة السليمة.



ولما كانت الوسوس الشيطانية على خلاف نوااميس الخلق والسنن الالهية فان نتائجها السلبية الضارة لاتخفى على أحد.

يقابل ذلك أن الأوامر الالهية المنسجمة والمتماشية مع الخلق والفطرة تؤدي الى الحياة السعيدة.

ولتوضيح هذا المعنى ينبغي أن نقول: إن النظرة الأولى إلى الإنفاق وبذل المال توحى أنه يؤدي إلى نقص المال، وهذه هي النظرة الشيطانية الضيقة، ولكننا بتدقيق النظر ندرك أن الإنفاق هو ضمان بقاء المجتمع، وتحكيم العدل الاجتماعي، وتقليل الفواصل الطبقية، والتقدم العام. وبديهي أن تقدم المجتمع يعني أن الأفراد الذين يعيشون فيه يكونون في رخاء ورفاه، وهذه هي النظرة الواقعية الالهية.

يريد القرآن بهذا أن يعلم الناس أن الإنفاق وإن بدأ في الظاهر أنه أخذ، ولكنه في الواقع عطاء لرؤوس أموالهم ماديا ومعنويا. في عالمنا اليوم حيث نشاهد نتائج الاختلافات الطبقية والمآسي الناتجة عن الظلم واحتكار الثروة، نستطيع أن نفهم معنى هذه الآية بوضوح.

الفقر والفحشاء:

كما أن الآية تفيد أيضا أن:

هناك نوعا من الارتباط بين ترك الإنفاق والفحشاء. فإذا كانت الفحشاء تعني البخل، فتكون علاقتها بترك الإنفاق هو أن هذا الترك يكرس صفة البخل الذميمة في الإنسان شيئا فشيئا. وإذا كانت تعني الإثم مطلقا أو الفحشاء في الأمور الجنسية فإن علامة ذلك بترك الإنفاق لا تخفى، إذ أن منشأ كثير من

المعاصي والانحرافات الجنسية هو الفقر والحاجة. يضاف إلى ذلك أن للإِنفاق آثاراً ونتائج معنوية مباركة لا يمكن إنكارها.

جاء في تفسير "مجمع البيان" عن الإمام الصادق عليه السلام: أن في الإِنفاق شيئين من الله وشيئين من الشيطان، فاللذان من الله هما غفران الذنوب والسعة في المال، واللذان من الشيطان هما الفقر والأمر بالفحشاء<sup>١</sup>.

وقد جاء عن الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: "إذا أملتكم فتاجروا الله بالصدقة"<sup>٢</sup>.

### ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>٣</sup>

في هذا إشارة إلى أن الله قدرة واسعة وعلماً غير محدود، فهو قادر على أن يفي بما يعد، ولا شك أن المرء يطمئن إلى هذا الوعد، لا كالوعد الذي يعده الشيطان المخادع الضعيف الذي يجر المرء إلى العصيان، فالشيطان ضعيف وجاهل بالمستقبل، ولذلك ليس وعده سوى الضلال والتحريض على الإثم<sup>٤</sup>. ولو أمعنت النظر مرة أخرى في الآية الشريفة لأتضح لكم أكثر أن العدو الحقيقي للإنسان هو ذلك الموجود الذي يوسوس للإنسان بالفقر ويدعوه للفحشاء ويدفع بالإنسان نحو معصية الله ومخالفة أوامره حتى يوقعه في خزي الدنيا وعذاب الآخرة؛ لذا ينبغي الحذر جداً من هذا العدو.

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا

١- مجمع البيان: ٤٩٢/٢ ذيل الآية ٢٦٨ البقرة.

٢- نهج البلاغة: الحكمة ٢٥٨؛ وسائل الشيعة: ٣٧٢/٩، الباب ١، الحديث ١٢٢٧١.

٣- البقرة ٢: ٢٤٧.

٤- تفسير الأمل: ٣٣٦/٢.

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾

فالشیطان يسعى الى اخافة أعوانه وأولياءه بالأكاذيب والأقوال الباطلة، حتى يبعدهم عن طريق الله والصراط المستقیم، فلاتخافوهم ان كنتم مؤمنين، وأخشوني لأنه لاتوجد قدرة تملو على قدرتي.

نعم، الموجود الذي يخيف الانسان من الحقائق الأصلية والحوادث الالهية البناءة والمصائب التي تبعث على تكامل الانسان أو من الحقائق السامية المهمة التي تجلب عناية الله ولطفه، هو العدو الأول للانسان لذا يجب عليه مواجهته بكل ما أوتي من قوة.

حجاب الشيطان:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ٢

جاء في شأن نزول هذه الآية في تفسير «مجمع البيان»:

كان بين رجل من اليهود، ورجل من المنافقين، خصومة. فقال اليهودي: أحاكم إلى محمد، لأنه علم أنه لا يقبل الرشوة، ولا يجور في الحكم. فقال المنافق: لا بل بيني وبينك كعب بن الأشرف، لأنه علم أنه يأخذ الرشوة (وهو من أقطاب اليهود)، وبذلك رفض التحاكم إلى رسول الإسلام ﷺ، فنزلت الآية

١- آل عمران ٣: ١٧٥.

٢- النساء ٤: ٦٠.

توبخ أمثال هذا الشخص، وتشجب بشدة موقفهم المشين هذا<sup>١</sup>.

والطاغوت - كما أشرنا إلى ذلك سابقا - مشتقة من الطغيان، وهذه الكلمة مع جميع مشتقاتها تعني التجاوز والتعدي وكسر الحدود وتجاهل القيود، أو كل شئ يكون وسيلة للطغيان أو التمرد. وعلى هذا الأساس يكون كل من يحكم بالباطل طاغوتا، لأنه تجاوز حدود الله وتعدي على قوانين الحق والعدل.

وفي حديث عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: « الطاغوت كل من يتحاكم إليه ممن يحكم بغير الحق »<sup>٢</sup>.

والآية الحاضرة تنهى المسلمين عن أن يترافعوا في الحكم والقضاء إلى مثل هؤلاء الحكام ثم يضيف القرآن قائلا: ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا أي أن التحاكم إلى الطاغوت فغ الشيطان ليضل المؤمنين عن الصراط المستقيم.

وغير خفي أن الآية الحاضرة - شأنها شأن سائر الآيات القرآنية الأخرى - تتضمن حكما عاما، وتبين قانونا خالدا لجميع المسلمين في جميع العصور والدهور. وتحذره من مراجعة الطواغيت، وطلب الحكم منهم، وإن ذلك لا يناسب الإيمان بالله والكتب السماوية، هذا مضافا إلى كونه يضل الإنسان عن طريق الحق، ويلقيه في مجاهيل الباطل بعيدا عن الحق. إن مفاصد وتبعات مثل هذه الأفضية والأحكام، وأثرها في تحطيم كيان المجتمع البشري وتخريب علاقاته وروابطه وأسسها مما لا يخفى على أحد، فهي أحد العوامل المؤثرة في انحطاط المجتمعات وتأخرها.<sup>٣</sup>

١- مجمع البيان: ٨٥/٣

٢- مجمع البيان: ٨٥/٣؛ بحار الأنوار: ٧٥/٩، الباب ١.

٣- تفسير الأمل: ٤٩٢/٣.

## إتباع الشيطان:

﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ  
الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي  
عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾<sup>١</sup>.

وقد جاء في شأن نزول هذه الآية:

نزل قوله ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ﴾ في عقبه بن أبي معيط، وأبي بن خلف، وكانا متخالين، وذلك أن عقبه كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاما، فدعا إليه أشراف قومه، وكان يكثُر مجالسة الرسول فقدم من سفره ذات يوم، فصنع طعاما، ودعا الناس، فدعا رسول الله ﷺ إلى طعامه. فلما قربوا الطعام قال رسول الله ﷺ: ما أنا بأكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فقال عقبه: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله. وبلغ ذلك أبي بن خلف فقال: صيأت يا عقبه؟ قال: لا والله ما صيأت، ولكن دخل علي رجل، فأبى أن يطعم من طعامي إلا أن أشهد له، فاستحييت أن يخرج من بيتي، ولم يطعم، فشهدت له فطعم. فقال أبي: ما كنت براض عنك أبدا حتى تأتيه فتبزق في وجهه! ففعل ذلك عقبه، وارتد، وأخذ رحم دابة فألقاها بين كتفيه. فقال النبي ﷺ: لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف. فضرب عنقه يوم بدر صبرا. وأما أبي بن خلف فقتله النبي ﷺ، يوم أحد بيده في المبارزة. وبذلك نزلت هذه الآية لتحذر الناس من الشيطان الذي لا يهمه سوى خذلان الإنسان.<sup>٢</sup>

١- الفرقان ٢٥: ٢٧ - ٢٩.

٢- مجمع البيان: ٢٠٩/٧، ذيل آيات ٢٧ - ٢٩ فرقان.

الهي! ان الشياطين تملأ باطننا وظاهرنا، ولولا لطفك وعنايتك ورحمتك لما  
تمكنا من المحافظة على أنفسنا من أخطار هذه الشياطين.

الهي! ولا تكلنا الى أنفسنا طرفة عين ولا تحرمننا من لطفك وعنايتك في  
حمايتنا وحراستنا من شر الشيطان الرجيم.

الهي! ولولا عنايتك لفقدنا جميع الحقائق الالهية، ولما بقي لنا سوى خزي  
الدنيا وعذاب الآخرة.

الهي! واجعلنا من العاشقين لرؤية جمال وجهك وتنعم بالصفات المعنوية والروحية  
السامية المتعالية حتى يمتلأ جميع وجودنا بها فنهل منها شوق لقاءك وقربك.

(الهي يا من خطف جمالك قلبي فما هذا اللطف وهذا الجمال، واني أخشى  
على قلبي من غم عشقك وحبك، فمن جمالك تخجل حتى الشمس اذا ما أزلت  
الحجاب وبدت طلعتك البهية، وحتى مع هذه الحجب يشع جمالك نوراً كأنه نور  
الشمس من خلف الغيوم، ولم أعد أحتمل أكثر الصبر بعيداً عنك وعن وصالك).

### الشيطان في كلام الامام علي عليه السلام:

امام العاشقين، ومولى العارفين، أمير المؤمنين عليه السلام يقول في «نهج البلاغة»  
عن الشيطان وشروره وأعدائه وسوء عاقبتهم:

«اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَاً، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَكَاً، فَبَاضَ  
وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ  
وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلْزَلَةَ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطْلَ، فِعَلَّ مَنْ  
قَدَّ شَرِكَةَ الشَّيْطَانِ فِي سُلْطَانِهِ، وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ!».

## سلطة الشيطان:

شارح «نهج البلاغة» العلامة جعفرى في توضيحه لهذه العبارات، يقول:  
صحيح أن عمل الشيطان هو اغواء بني آدم وخداعهم، لكنه لا يتجاوز تزيين  
الأخطاء والذنوب لهم.

فهذا الموجود الخطير لا يجبر الناس أبداً على المعصية وارتكاب الذنوب  
والسقوط نحو الهاوية. وكما جاء في القرآن الكريم:

ويحذر الله الرحمن الناس بواسطة عقولهم وضمائرهم والأنبياء من اغواءات  
الشيطان ومكائدهم، لأن لهذه الوسائل الثلاثة قدرة تفوق قدرة اغواءات الشيطان  
بعيث تتمكن من ابطال حيله ومكائده.

وهذا يعني أن الشيطان لا يجبر الناس على الاذعان لأوامره والخضوع كعبيد  
له؛ بل الانسان نفسه من يعطل أولاً هذه الوسائل الثلاثة ويبطل مفعولها وتأثيرها  
في باطنه، فيمد يد العبودية نحو الشيطان ثم يجعل من هذا الموجود المشؤم  
شريكاً في حياته، وفي موارد متعددة بين القرآن الكريم هذا الموضوع بالآيات  
التالية:

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ  
وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ  
دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا  
بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ  
مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾!

وتلاحظون في هذه الآيات أن الشيطان لا يجبر بني آدم نحو السير الى الهاوية؛ بل يعدهم فقط بالوعود الكاذبة ويزين لهم سوء أعمالهم.

لذا لا داعي للوم الشيطان، ولا النفس المسؤولة عن الغرائز الحيوانية، أي لا يمكن للانسان في يوم القيامة أن يلقي بلائمة ذنوبه ومعاصيه على النفس، ويقول: ان الله اعطاني النفس فارتكبت الذنب.

لأن تهيج وتنشيط الغرائز الحيوانية من قبل النفس يمكن السيطرة عليها بواسطة قوى العقل والضمير وارشادات الأنبياء، وبالتالي لاتصل هذه التهيجات الى درجة العامل الجبري.

وحول عدم سلطة الشيطان على بني آدم، نقرأ في القرآن المجيد أيضاً:

﴿وَأَسْتَفْزِزُ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا \* إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾!

المقصود من مشاركة الشيطان في الأموال والأولاد وسائر شؤون الحياة ليس المشاركة المحسوسة والعينية كالظواهر الفيزيائية القابلة للمشاهدة؛ بل المقصود منها المشاركة في الأهداف وانتخاب الوسائل وسائر العوامل الانسانية المحركة للأفكار والأقوال والسلوك، كالمشاركة في النفس المسؤولة عن ادارة الغرائز الحيوانية وتحريك شؤون الحياة المؤثرة في الأهداف وانتخاب الوسائل وسائر العوامل الأخرى.



وقد تصل حصة الانسان في هذه الشركة الى أقل ما يمكن بحيث يسيطر الشيطان والهوى والشهوة على كافة شؤون حياته، وقد حذر القرآن المجيد من شدة هذا الخطر:

﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾!

قد تمكن الشيطان الرجيم من وضع بيوضه في صدورنا فأفرخت صغارها وبدأت الحركة وهو الآن يضمها بين ذراعيه ويفرض سيطرته عليها. وهذا الصدر الذي يضم قلب الانسان ويمثل مركزاً لتجلي الأنوار الالهية التي تكتسب اشعاعها من شمس العظمة الالهية، قد تحول تدريجياً الى قفص وعش دائم للشيطان نتيجة اتباع الانسان لأوامر هذا الشيطان.

ولانقصد من تحول الصدر الى قفص للشيطان هو الوجود الفيزيائي الواقعي للشيطان والجلوس في زاوية معينة من صدر الانسان والبدأ بالأمر والنهي؛ بل هو كما قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَاً، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَكَاً، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ وَنَطَقَ بِالسِّيْتِهِمْ».

فقد سيطر الشيطان الرجيم على كافة أعضاء جسم الانسان وبدأ بإثارة الوسواس والشك والترديد على جميع المستويات فأصبح المالك المطلق لهذه الاعضاء. وتشير كلمة درج بدقة الى حقيقة أن هذه السيطرة قد تمت تدريجياً ولم يستسلم عقل الانسان وضميره وفطرته الطاهرة مباشرة الى سلطة الشيطان.

(تدرجياً تبدأ أهواء النفس وشهواتها وملذات الدنيا وحب المال والطمع يتغلب على عقل الانسان وقلبه حتى يخسر كل شئ ويفقد قلبه عشقه للحق تعالى وينهمك بحب المال والراحة والدعة، وتملاً الوسوس والأوهام والأفكار المذمومة عقله فتبعده عن عشق الحق والايمان، ويتحول تدرجياً الى شيطان بلباس الانسان ويضعف عنده العشق والايمان حتى يصبح كأنه ورقة يابسة سرعان ما تسقط وتفقد كل شئ).

واتباع الشيطان تدرجياً يحول الانسان الى شيطان على سائر الناس، كما يقول:  
 بالامس كانوا يحملون كل صفات الانسانية في وجودهم ويحفظون الآخرين على السلوك في مسير الكمال معهم، لكنهم بدأوا تدرجياً يفقدون هذه الصفات، فعادوا القهقري اليوم وأصبحوا موانعاً تقف في طريق السالكين نحو الكمال بحيث يحرفون كل فرد أو مجموعة يلتقون بهم، وهذا يعني أنهم كانوا اناساً بالأمس لكنهم تبدلوا اليوم الى شياطين لاهم لهم سوى قطع الطريق على السالكين نحو الكمال، وهذا هو معنى شياطين الانس.

(لعل ابليس يظهر بشكل الانسان لذا ينبغي الحذر وعدم الانقياد وراء أي

انسان).

«وَكَذَلِكَ إِذَا آتَاكَ الشَّيْطَانُ مُوسِئًا لِيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ وَيُنْسِيكَ  
ذِكْرَ اللَّهِ فَاسْتَعِذْ مِنْهُ بِرَبِّكَ وَرَبِّهِ فَإِنَّهُ يُؤَيِّدُ الْحَقَّ عَلَى الْبَاطِلِ وَيَنْصُرُ  
الْمَظْلُومَ بِقَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا  
وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾»<sup>١</sup>

الامام الصادق عليه السلام يقول في هذا الجزء من الرواية:

ان الشيطان الرجيم اذا ما هجم عليك بوساوسه وأوهامه ليضللك عن طريق  
الحق وينسيك ذكر الله تعالى فما عليك سوى اللجوء الى الحق تعالى للاستعاذة  
به من هذا الشيطان، لأن الله يناصر دائماً الحق ويؤيده على الباطل ويعين المظلوم  
على ظالمه كما جاء في كتابه الكريم، حيث قال: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى  
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

«وَلَنْ تَقْدِرَ عَلَىٰ هَذَا وَمَعْرِفَةِ اِتِّبَانِهِ وَمَذَاهِبِ وَسُوسَتِهِ إِلَّا بِدَوَامِ الْمُرَاقَبَةِ  
وَالْأَسْتِقَامَةِ عَلَىٰ بَسَاطِ الْخِدْمَةِ وَهَيْبَةِ الْمُطَّلَعِ وَكَثْرَةِ الذِّكْرِ، وَأَمَّا الْمُهْمَلُ  
لِأَوْقَاتِهِ فَهُوَ صَيْدُ الشَّيْطَانِ».

### طرق الخلاص من الشيطان:

بلا شك لا يحصل الانسان على قدرة الخلاص من خداع الشيطان والنجاة من  
طرق خداعه ووسوسته الا بثلاثة أشياء:

١- دوام المراقبة.

١- الاستقامة على العبادة.

٣- هيبة المُطلع، والخشية من عظمة الله وقدرته.

٤- كثرة ذكر الله في جميع الأوقات.

وبواسطة هذه الحقائق الأربعة سيحقق الانسان النصر على الشيطان حتماً، أما  
من يهمل هذه الأمور ويضيع أوقاته في اللهو والعبث سيكون صيداً مناسباً لهذا  
العدو الخطر.

### دوام المراقبة:

يقول الخواجة في هذا الموضوع:

المقصود من المراقبة هو دوام الملاحظة، وبعبارة أدق دوام النظر الى الحق.

## درجات المراقبة:

السالك في طريق الحق والناظر باستمرار الى الحق يكون من أهل المراقبة، وللمراقبة درجات ثلاث:

الدرجة الأولى: المراقبة التي يحتاجها السالك في سيره نحو الحق.

الدرجة الثانية: العلم بمراقبة الحق له، أي يعلم السالك بمراقبة الحق تعالى لأعماله.

الدرجة الثالثة: مراقبة السالك لآثار وجود الحق، أي النظر باستمرار الى كيفية تجليات حضرة الأحدية.

ويمكن اعتبار القسم الأول من نوع المراقبة الابتدائية، والثاني من النوع المتوسط والثالث من النوع العالي أو المتقدم.

حيث تشمل المراقبة الابتدائية مراقبة السالك في الذهاب والاياب، الأكل والشراب، القول والسمع، الطاعة والعبادة، والسلوك والأفعال.

ويهتم السالك في هذه المراقبة بعدم خروج أفعاله وأقواله عن حدود الشرع والأوامر الالهية، فيسعى من خلال مراقبة النفس أن تتزين جميع أفعاله بالطاعة والعبادة، حتى يحضى بالاهتمام والعناية أي يزين نفسه حتى يحضى بالقبول، والحافز له في هذه المراقبة هو الوعد والوعيد، أي الخوف من العقاب يدفعه للترك، والأمل بالثواب يدفعه للفعل.

(أيها القلب لا تطرق باب أحد سوى باب حضرة الحق فلا تأمل بحاجة ولطف سوى منه تعالى فقد شملت رحمته كل شيء، ولا تحط رحالك الأفي ديار الحق ففيها تجد المأوى والرحمة واللطف، واحمل متاعك وارتحل عن هذه الدنيا التي لن تحصل منها سوى الملهذات والهوى واتجه صوب عالم الحقيقة والسعادة لأن القلب لن يهدأ ولن يشعر بالأمان إلا اذا التجأ الى حضرة

الحق وزهد بالدنيا وملذاتها).

وفي المراقبة المتوسطة، يعلم السالك أن الحق تعالى يراقبه، حيث يدرك بواسطة الشهود أن الله تعالى يراقبه في سلوكه.

﴿كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾!

فالله تعالى يراقب كل شيء، وهذه الشهود تمنح السالك رؤية أخرى، فتغير من حال السالك، وتغير مسيره، فالسالك في البداية كان يعمل من أجل نفسه، أما في هذه المراقبة فيعمل لله، والمحرك والحافز له في البداية كان وعود الحق تعالى، أما في هذه المراقبة يصبح المحرك والحافز هو كسب رضا الحق، والتجارة كانت الهدف في تلك المراقبة، أما الآن فالهدف هو العمل بالوظيفة والتكليف، في البداية كان الهدف الفوز بالجنة أو الخلاص من النار، أما الآن أصبح الهدف الوصال واللقاء في نهاية سيره وسلوكه، وكما يقول الخواجة: فانظر الى التفاوت ما بين الطريقين.

وفي هذه المراقبة، لما كان السالك يقوم بوظائفه بعشق ومحبة وقاصداً ترك حب الأنا، فمن البديهي عدم تعارض أفعاله مع نظر الحق تعالى، وعدم معارضته لأحكامه، وبالتالي لا يحتاج الى مراقبة نفسه أيضاً.

أما في المراقبة العالية، فتتجلى للسالك بواسطة سبق الذات وظهور اشارات وافاضات حضرة الأحدية في جميع أجزاء الزمان أزلاً وأبداً، وتتجلى في الخلاص من قيود المراقبة التي تحصل بقاء النفس وتخليصها من الرسم، وفي هذه المراقبة يشاهد السالك الآيات والافاضات الالهية، ويريد أن يعلم كيف

تظهر هذه الآيات في الآفاق والأنفس وعالم الأنوار، وكيف تصل الالهامات والاشارات والافاضات الى الخلق، وكيف تحصل التجليات الأفعالية والصفائية والذاتية؛ وبعبارة أبسط تجري هذه المراقبة حسب مشيئة الله وارادته.

### الشیطان عدو المراقبة:

ما أن يبدأ السالك بالمراقبة حتى ينهض معه رقيه العنيد ويبدأ هو الآخر في مراقبته، فالمراقبة تمثل في الحقيقة نوع من الصراع والمواجهة. فالمراقب يريد أن يلبي نظر الحق في جميع أفعاله وحالاته، ورقيه يسعى لابتعاد السالك عن النظر الى الحق تعالى.

والمراقب يسعى في سيره للوصول الى الحق، في حين يسعى الرقيب لحرف السالك عن طريق الحق.

يتجه المراقب نحو الطاعات والعبادات، بينما يأمره الرقيب بالسوء والفحشاء، ويتجه نحو العفاف والكفاف، فيخيفه رقيه من الفقر والفاقة.

يسعى السالك لذكر الحق دائماً، في حين ينسيه الرقيب ذكر الله، ويسعى للابتعاد عن وعود الغرور والمكر، بينما يخدعه رقيه بالمكر والغرور. ويستمر هذا الكر والفر بينهما حتى يتغلب في النهاية أحدهما على الآخر، واذا ما تغلب الهوى والنفس والشیطان يصبح حال السالك مأساوياً لا يطاق.

﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾<sup>١</sup>!

أما اذا تغلب السالك:

﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>٢</sup>!

١- النساء: ٤: ١١٩.

٢- الأحزاب: ٣٣: ٧١.

وعادة ما يعجز بعض الأفراد عن التخلص من رقيهم العنيد خاصة في مرحلة المراقبة الابتدائية، والسبب أنهم يسعون وراء تحقيق رغباتهم النفسية والنظر الى ماتريده هذه النفس، ولأنهم لم يتخلصوا تماماً من حب الأنا وأهوائهم النفسية، فيتغلب عليهم الرقيب. أما الذين خرجوا من المراقبة الأولية ودخلوا في المراقبة الثانية، فقد سلبت ارادتهم وتركوا تماماً النظر الى أنفسهم، فلن يتمكن الرقيب من الغلبة عليهم؛ لأنهم أصبحوا جزءاً من حزب الله وحزب الله هم الغالبون دائماً. وحزب الله هم أحباء الله، ومن ملاً كيانهم وقلبيهم حب الله وعشقه، حتى أصبح قلبهم تحت سلطة الحق وتصرفه، فيعجز حينها الرقيب من الغلبة عليهم.

يقول فخر الدين العراقي:

(لاهم للعشاق سوى انتظار المعشوق والرغبة في الوصال بحيث اذا ما غاب عنهم كانهم فقدوا الأمل بالحياة، فلا ماوى لهم سوى ماوى المعشوق والركون اليه، ومعشوقهم القادم من العدم الى الوجود يملأ النور وجوده، وقد أمرت روحهم بالتوحيد في العشق وهي تنتظر أن يملأها العشق حتى تمتثل لهذا الأمر الالهي، لأنها الوسيلة الوحيدة التي تنقذ هذا العاشق الغريق في بحر العشق الالهي).

فأهل العشق والمحبة هم الغارقون في بحر العشق لكنهم لايتلّون بمائه، ويتعاملون مع جميع الناس لكنهم لايتأثرون بأحد، ويلتقون بالجميع لكنهم لايقعون في هوى أحد؛ لأن النور الذي يملأ قلوبهم يجعلهم قادرين على تحقيق الغلبة والفتح في كل ميدان يخوضونه.

يقول حافظ الشيرازي:

(اذا ما وقع نور العشق في قلبك وروحك لتصبح والله أفضل حتى من الشمس،



فاغرق في بحر عشق الحق تعالى ولا تظن أن تبتل شعرة واحدة من رأسك حتى لو غرقت في ماء سبعة أبحر).

والخطر الذي يمكن أن يواجه السالك من الرقيب المخالف، أولاً: في المرحلة الأولى من المراقبة، والثاني في الوقت الذي لم يخضع القلب تماماً لتصرف الحق وسيطرته ولم يحصن نفسه بقوى العشق والمحبة، فاللص عادة ما يبحث عن المكان الذي يجد فيه متاعاً للسرقة، فما هو المتاع الذي يستحق السرقة عند السالك العاشق!

### الاستقامة على العبادة:

الاعتدال يلزم السلوك، فإذا ما خرج السالك في طريق الحق عن الاعتدال سيؤدي ذلك الى انحرافه وابتعاده عن الحق، أما اذا التزم في طريقه بالاعتدال في أموره سيلتزم الاستقامة في طريق الحق، ويصبح مصداقاً للآية الشريفة ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾<sup>١</sup>.

وإذا ما أردنا أن نصب عموداً في مكان معين باستقامة عالية، علينا تثبيته بصورة مستقيمة تماماً؛ لأن مقاومة العمود تزداد عند الاستقامة ويمكنه تحمل جميع القوى التي تسلط عليه.

وفي حال الاستقامة والاعتدال تتركز قوة المقاومة في جهة واحدة، وهذا التركيز في القوى هو السبب في حصولها على الاستقامة والمقاومة. وما ان يميل قليلاً حتى تتحلل قوته وتتجزأ، فيفقد مقاومته الأولية.

١- مقامات معنوى: ١٤٩/١.

٢- فصلت ٤١: ٦.

وقد جاءنا الأمر بالاستقامة حتى لا ننحرف عن طريق الاعتدال وتتجزأ قوانا. أما من تحرك خلافاً لطريق الحق فسيخرج عن طريق الاعتدال ويتعرض لضغوط أهوائه النفسانية.

وتختلف طرق الاستقامة تبعاً لمراحل السلوك، ففي البداية تتضمن الاستقامة معنى الاهتمام بالأوامر والأحكام، وفي النهاية تتضمن معنى الاهتمام بالغير، وفي المجموع تدل على معنى تبليغ الأحكام والأوامر.

وقد أيد الخواجة هرات في مبحث الاستقامة المعنى الثاني، فيقول:

الجار والمجرور «إليه» في الآية الشريفة ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ يشير الى ذات الفرد الأحدي، ومفهومه التوجه الى الذات الالهية المقدسة وعدم التوجه الى غيره، يقول حافظ الشيرازي:

(قلت توجه الينا وأنزل متاعك للإقامة في حيننا، فاني وحقك لن أترك هذا الحي).

وقد شبه الخواجة الاستقامة بالروح، فيقول: كما الروح تؤدي الى بقاء البدن فان أحوال الساكنين تبقى وتدوم بروح الاستقامة أيضاً.

فالاستقامة بمثابة البرزخ بين المنزلقات المخوفة لعالم التفرق وسدرة النتهى لعالم الجمع.

درجات الاستقامة:

كما ان الاستقامة تؤدي الى زيادة عمل العامة، فهي تمثل الروح التي تبعث الحياة في أحوال السالكين، وتنقسم الى مراحل ثلاث.

فاذا ما خرج السالك عن طريق الاعتدال والاستقامة، سيقع في وادي شهوات النفس المرعب، ويتعرض لمشاكل عالم التفرق، وينحرف عن مسيره الأصلي

فيخرج من جمع السالكين.

والدرجة الأولى من استقامة السالك هي الاجتهاد في الاقتصاد؛ أي السعس في الوسطية والاعتدال، حتى لا يتعدى السالك رسم العلم، ولا يتجاوز حد الاخلاص ولا يتحرك بما يخالف الدستور.

وإذا ما تعدى السالك عن رسم العلم تعدى عن رسم الاستاد، ومن يخالف أوامر الاستاد لن يحقق مراده ولن يسير في الطريق المستقيم.

ان أوامر الشرع المقدس من عالم الوحي والالهام تصدر عن أصل صحيح، وتستند على السير ودفع الموانع عن الأفراد، فهي الدواء الذي ينتج عن تركيب البصيرة والحكمة لتحقيق الرشد والكمال والخلاص من الأمراض النفسانية، ومخالفة هذه الاوامر الالهية تؤدي الى وقوع الانسان في آفة حب الأنا المهلكة، وابتعاده عن تمجيد الحق وعبادته.

أما اذا تجاوز السالك حد الاخلاص فسيتصف عمله بالرياء، وفي هذه الحالة سيكون اما لأجل المقابل أو الأجرة أو لغرض من الأغراض الأخرى، مما يفقد قيمته المعنوية وبالتالي لن يترتب عليه أي أثر مهم.

الدرجة الثانية من الاستقامة تكون في الأحوال، حيث تصل في هذا المقام الى مشاهدة الحقيقة لا بطريق الكسب، وتركيب الادعاء لا بسبب العلم، والبقاء مع نور اليقظة لا بوجه التحفظ.

ولتوضيح هذا الموضوع، نقول: ان مشاهدة الحقيقة بطريق الكسب كرؤية مكان بواسطة الفيلم أو الصورة، وفي مقام الشهود ما يظهر حقيقياً ينبغي أن يكون قد وصل بنفسه الى ذلك، ومأخذ قوله بيان هذا وذاك أو رؤية صورة عالم الحقيقة، ولا يستند بيانه الى الشهود، اذ ينبغي أن يصل الانسان بنفسه الى مقام

الشهود و اظهار الحقيقة، يقول حافظ:

(يا من تعلمت آية العشق بواسطة العقل أخشى أن ينتهي هذا الأمر بك الى الجهل).  
 اذ يمكن للسالك بواسطة العلم ترك الادعاء أو رفض الدعوى، لكنه يعتبر سلباً للأناية العلمية، حتى تزداد فاصلة الشهود، وعندما يتحقق هذا الظن تظهر حقيقة «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ»<sup>١</sup> من خلال التجليات الذاتية في باطن السالك. فالسالك الواجد لحال المراقبة ومنها يصل الى اليقظة والتنبيه، تبقى يقظته في هذه الحال اما بوجه التحفظ، أو تحفظ بوجه التلطف. فهو يسعى بنفسه لحفظها، فاذا كان تلطفاً يعمل اللطف الأزلي على بقاءه، مما يعني أن الأول هو التحفظ، والثاني التحقق، والأول ليس ضمن الاستقامة في الأحوال، لكن الثاني من ضمنها، حيث رفض الخواجة الأول لكنه قبل بالثاني.  
 الدرجة الثالثة من الاستقامة، هي ترك رؤية الاستقامة والابتعاد عن طلب الاستقامة، فتحقق الاستقامة في النفس في حال الشهود من قبل الحق تعالى وتبقى ببقاء الحق عز اسمه.

فكمال الاستقامة يحصل بترك طلب الاستقامة وعدم رؤية الاستقامة، اذ عندما يرى السالك وجوده قائماً بالحق ويدرك ان الحق عز اسمه هو المسيطر والمالك لباطنه، تسلب منه روح الاستقامة التخيلية، فلا يمكنه في هذه الحال الاعتماد على الاستقامة أو يتقدم بواسطتها، فالاستقامة بهذا المعنى تختص بزمان التفرقة، وفي مقام الجمع التي تسلب الأناية فيه من السالك، لن يكون لها مفهوم بالمعنى السابق، حيث تكون الاستقامة في هذا المقام للحق تعالى.

وفي مقام الفناء الذي تسلب فيه الأناية من السالك، تسلب منه أيضاً جميع الأمور التي تنسب إليه ومنها الاستقامة، حيث يقول نبي الله شعيب لقومه:

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾<sup>١</sup>

فهذا التوفيق انما تحقق لي بفضل الله تعالى، وهذا ما نقوله نحن أيضاً، اذ لا يوجد فارق بين الجملتين، انما الفارق هو أن النبي قد وصل الى مرحلة شهود هذه الحقيقة فأظهرها، في حين لم نصل نحن الى تلك المرحلة بل نقولها من خلف العديد من الحجب، هو يقول الحقيقة أما نحن نقول المجاز، والاستقامة كذلك تظهر حقيقتها لمن أدرك نعمة الوصال.

فالسالك في سيره نحو الحق تعالى يتحرك بنور التوحيد والجذبات الذوقية لعالم الشهود.<sup>٢</sup>

١- هود ١١: ٨٨

٢- مقامات معنوي: ١/٢.

«وَأَعْتَبِرْ بِمَا فَعَلَ بِنَفْسِهِ مِنَ الْأَغْوَاءِ وَالْأَسْتِكْبَارِ حَيْثُ غَرَّهُ وَأَعْجَبَهُ عَمَلُهُ  
وَعِبَادَتُهُ وَبَصِيرَتُهُ وَجُرْأَتُهُ عَلَيْهِ، قَدْ أَوْرَثَهُ عِلْمُهُ وَمَعْرِفَتُهُ وَاسْتِدْلَالُهُ بِمَعْقُولِهِ  
اللَّعْنَةَ عَلَيْهِ إِلَى الْأَبَدِ فَمَا ظَنُّكَ بِنَصِيحَتِهِ وَدَعْوَتِهِ غَيْرَهُ».

### العبرة من الشيطان:

علينا الاعتبار مما فعله الشيطان بنفسه حيث أصيب بالأغواء والاستكبار بلا  
سبب، فقد غره وأعجبه عمله وعبادته وبصيرته وجرأته وجسارته فأدى الى  
وقوعه في آفة الغرور والكبر، وأورثه علمه ومعرفته واستدلاله العقلي اللعنة  
الدائمة، فكيف يمكن الاطمئنان بنصيحته ودعوته لغيره؟

«فَاعْتَصِمْ بِحَبْلِ اللَّهِ الْوُثْقِ وَهُوَ الْإِلْتِجَاءُ وَالْأَضْطِرَارُ بِصِحَّةِ الْإِفْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ نَفْسٍ، وَلَا يَغُرَّتْكَ تَزْيِينُهُ الطَّاعَاتِ عَلَيْكَ فَإِنَّهُ يَفْتَحُ لَكَ تِسْعَةً وَتَسْعِينَ بَاباً مِنَ الْخَيْرِ لِيُظْفَرَ بِكَ عِنْدَ تَمَامِ الْمِائَةِ، فَقَابِلُهُ بِالْخِلَافِ وَالصَّدِّ عَنِ سَبِيلِهِ وَالْمُضَادَّةِ بِأَهْوَانِهِ» .

## التمسك بحبل الله:

واعتصم بحبل الله فهو أوثق الحبال بالالتجاء الى حضرة الأحديّة والاعتراف بالعجز والقصور في كل لحظة بل وفي كل نفس.

لأن هذا العدو الخطير يتربص بك بأنواع الوسوس والطاعات ويزين لك أعمالك فلا يغرنك أبداً تزيينه الطاعات لك؛ إذ قد يفتح لك تسعة وتسعين باباً من الخير ليظفر بك ويوقعك في كمينه في الباب المئة؛ لذا عليك أن تثبت على مخالفته والصد عن سبيله ومواجهة أهواءه ورغباته.

الهي! أمنا من شر هذا العدو الخطير، واجعل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم، ولا تحرمننا من لطفك وكرامتك حتى نصل الى مقام قربك ووصالك، الهي! ولا ترد المحتاجين عن بابك ولا تقطع رجاء الراجين بك، فلا معبود لنا سواك ولا أمل لنا بلطف أحد غيرك، فاذا ما طردت المستجدين لرحمتك عن دار محبتك

لأضعنا الدنيا والآخرة.

العارف الالهي الفيض الكاشاني يقول:

(تفضل على هذا العاشق الولهان بالنظر اليه والعطف واللفظ به لأنه المحتاج اليك، واعطف عليه ما استطعت لما يتكبده هذا العاشق من ألم العشق لكي يغتنم هذه الفرصة من العطف، وانظر اليها في كل جهة لحاجة المحتاجين الى هذه اللطف بعد عمر من الحاجة، فما أن يرى هذا العاشق نور وجهك الكريم حتى يصيبه الدهول من هذه العظمة ويسعى ما استطاع التعم بالنظر اليك، فأنا لازلت أرجو واصلك وأخشى الهجران فلا تطرد قلبي عنك وخذ روعي اليك، ولا تعذبني بنار فراقك والطف علي بوصلك وارحم حزني وبكائي عليك لأنه ليس لي أحد سواك، وتفضل على هذا العاشق حتى يحترق هذا الغم، فالي متى أضل أحترق بعذاب فراقك).



الباب

(٤٠)

في بيان العجب



قال الصادق عليه السلام:

الْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِمَّنْ يُعْجَبُ بِعَمَلِهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي بِمِ يَخْتَمُّ لَهُ ؟  
فَمَنْ أُعْجِبَ بِنَفْسِهِ فِي فِعْلِهِ فَقَدْ ضَلَّ عَنْ مَنَهْجِ الرَّشَادِ وَأَدَّعَى مَا لَيْسَ  
لَهُ ؛ وَالْمُدَّعَى مِنْ غَيْرِ حَقٍّ كَاذِبٌ وَإِنْ أَخْفَى دَعْوَاهُ وَطَالَ دَهْرُهُ .  
فَإِنَّ أَوَّلَ مَا يَفْعَلُ بِالْمُعْجَبِ نَزَعَ مَا أُعْجِبَ بِهِ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ عَاجِزٌ حَقِيرٌ  
وَيَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْعَجْزِ لِتَكُونَ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَوْكَدَ كَمَا فَعَلَ بِإِبْلِيسَ .  
وَالْعُجْبُ نَبَاتٌ ، حَبُّهَا الْكِبْرُ ، وَأَرْضُهَا النِّفَاقُ ، وَمَاؤُهَا الْغَىُّ ، وَأَغْصَانُهَا  
الْجَهْلُ وَوَرَقُهَا الضَّلَالَةُ ، وَثَمَرُهَا اللَّعْنَةُ وَالْخُلُودُ فِي النَّارِ . فَمَنْ اخْتَارَ الْعُجْبَ  
فَقَدْ بَذَرَ الْكُفْرَ ، وَزَرَعَ النِّفَاقَ ؛ وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يُثْمِرَ (بِأَنْ يَصِيرَ إِلَى النَّارِ) .

«الْعَجَبَ كُلُّ الْعَجَبِ مِمَّنْ يُعْجَبُ بِعَمَلِهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي بِمِ يَخْتَمُّ لَهُ؟»

## العجب وآثاره:

في هذا الفصل يشير الامام الصادق عليه السلام الى أحد الرذائل الأخلاقية المذمومة جداً وهي العجب ويبين آفاتها وأضرارها.

اذ يقول عليه السلام في القسم الاول:

العجب كل العجب ممن يعجب بعمله ويستحسنه ويوليه أهمية كبرى، رغم أنه لا يعلم عاقبة هذا العمل وخاتمته، السعادة أم الشقاء!.

والحق، أن يعجب الانسان من الأفراد المعجبين بأنفسهم وبأي شئ يعجبون، أيعجبون بأنفسهم وهم لا يملكون منها شيئاً؛ بل هم ليسوا أكثر من حفنة تراب لا قيمة لها تفضل عليها الله بلطفه فوهبها الروح والحياة حتى أصبح قادراً على العيش في هذه الدنيا، بل حياتهم لاتدوم للحظة واحدة بدون عناية الله ولطفه. أيعجبون بعملهم وهذا العمل شعاع من الحياة التي بدورها شعاع من قيومية حضرة الحق تعالى.

أيعجبون بالمال وهو في الحقيقة أمانة عندهم وليس ملكاً لهم؛ لأن جميع ملكيتهم اعتبارية، والمالك الحقيقي لكل ما في الوجود هو شخص واحد فقط وهو الله تعالى.

ان منشأ العجب عند هؤلاء التعمساء والعاجزين ليس سوى الجهل وعدم الاطلاع والغفلة والبعد عن العقلانية، وكل من يقع في آفة العجب يجب أن يعلم أنه يسير في طريق خطير جداً قد يوقعه في خطر الابتعاد عن الوقائع، ولن تثمر إلا عن المرارة والألم وهو العذاب الالهي في يوم القيامة.

فالنظر على نحو الاستقلال للنفس والعمل والمال والعلم وارضاء النفس والعجب بها واستحسانها انما هو عمل شيطاني لن تكون عاقبته سوى الخزي في الدنيا والنار في الآخرة.

العجب يبعد الانسان عن أولياء الله:

يتضمن العجب أحياناً مراحل خطيرة جداً منها اعتماد الانسان على العقل أو العلم فقط، مما يؤدي الى ابتعاد الانسان عن القادة الالهيين وأئمة الحق يعني الأنبياء والأولياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام فيجلب الشقاء والخزي للانسان في الدنيا والآخرة.

فاذا أردتم خير الدنيا والآخرة لا تقولوا أبداً، عملي، ثروتي، شخصيتي، عقلي، رأيي؛ بل ليكن جميع وجودكم مترنماً بهذه الحقيقة:

«الْعَبْدُ وَمَا فِي يَدِهِ كَانَ لِمَوْلَاةً».

فاذا ما أدرك الانسان هذه الحقيقة على نحو الشهود سيوصد باب القلب أمام جميع الرذائل خاصة صفة العجب المدمومة والمستهجنة.

العارف الالهي الفيض، يقول:

(هنيئاً لهذا القلب الذي لا يفكر بأحد سوى الله فارتاح ضميره من وساوس الشيطان، وهنيئاً لمن ضحى بنفسه لأجل الحق حتى بلي جسده من شدة

الاخلاص لله، وهذا الفناء في ذات الله قد جعل من الانسان لا يرى سوى الله، فلنتقي القلب من كل ما هو غير الله ولنفصل القلب عن هذا العالم ولنكتفي بعشق الله تعالى والتمسك بأهل بيت النبي ليرشدونا الى الطريق المستقيم الذي يوصلنا للحق).

الهروب من العجب الى ذكر الله:

حول عظمة التوجه للحق تعالى والانقياد اليه، يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذُّكْرَ جِلَاءً لِلْقُلُوبِ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوُقُورَةِ، وَتَبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ، وَتَنفَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ، وَمَا بَرِحَ اللَّهُ - عَزَّتْ آلَاؤُهُ - فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ، وَفِي أَرْمَانِ الْفَتْرَاتِ، عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ، وَكَلَمَهُمْ فِي ذَاتِ عَقُولِهِمْ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقْظَةٍ فِي الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْئِدَةِ، يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ، وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ، بِمَنْزِلَةِ الْأَدَلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ، مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ، وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ، وَمَنْ أَخَذَ يَمِينًا وَشِمَالًا ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ، وَحَذَرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، فَكَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، وَأَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ.

فَلَوْ مَثَلْتَهُمْ لِعَتْبَلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةَ، وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةَ... لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدًى، وَمَصَابِيحَ دُجَى، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ...»

المقصود من هذه العبارات النورانية التي نقلناها عن امام العارفين أمير

المؤمنين عليهم السلام أن كل الشخص يتعد عن العجب بنفسه ولا يرى لنفسه مالأً وعلماً  
الآ من عند الله تعالى، ولا يرى أحداً سوى الله، ولا يجد لنفسه بدأً سوى ابداء  
الخشوع والتواضع للحق، سيصبح قلبه محلاً لتجليات الأنوار ووجوده مظهراً  
للأسماء والصفات. نعم، هذه فائدة تطهير النفس من آفة العجب اضافة الى ما  
تؤول اليه من خير الدنيا والآخرة.

وفي كل الأحوال عليكم أن تدركوا أن الله تعالى هو مصدر كل ماهو خير وحسن،  
ولا تعتبروا أبداً أنكم مصدر ما تعملوه من خير، ولا تدعوا ملكيتكم لأي شيء، ولا  
تقولوا لما تعلموه أنه من علمكم، وتجنبوا العجب لأنه أسوء حتى من ارتكاب الذنب؛  
لأن الذنب يطهر بماء التوبة، لكن يصعب جداً تطهير القلب من العجب.

فالعجب يفسد الطاعات ويبعد العبادات عن قبول الحق تعالى، ويوصل الى  
الانسان الى حد الكفر فيستصغر الذنوب مهما عظمت حتى يستسهل ارتكابها!  
فالمعجب بنفسه يغتر في كل لحظة بنفسه وبربه ويرى نفسه في أمان من مكر  
الحق وعذابه حتى يتصور لنفسه منزلة رفيعة عن الحق تعالى، وأحياناً يصل  
الانسان الى أسوء من هذه المرحلة فيمن بايمانه وعمله على الله تعالى.

والاعجاب بالنفس أو العقل أو العمل أو الرأي أو العلم، تبعد الانسان عن  
الاستفادة من علم الآخرين، ويحرمه من استشارتهم وسؤالهم وموعظتهم  
ونصيحتهم، فالعجب صفة خطيرة جداً لا يمكن احصاء آفاتها وأضرارها.  
وقد صرح القرآن الكريم في كثير من الآيات أن الله تعالى لا يحب أهل العجب.

### العجب في الروايات:

في الدعاء العشرين من الصحيفة السجادية، نقرأ:

«وَعَبَدْنِي لَكَ، وَلَا تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ»<sup>١</sup>.

وقال الامام الرضا عليه السلام:

إن رجلا في بني إسرائيل عبد الله أربعين سنة ثم قرب قربانا فلم يقبل منه، فقال لنفسه: ما آتيت إلا منك وما الذنب إلا لك، قال: فأوحى الله تبارك وتعالى إليه ذمك لنفسك أفضل من عبادتك أربعين سنة.<sup>٢</sup>

وقال الامام الصادق عليه السلام:

أتى عالم عابدا فقال له: كيف صلاتك؟ فقال: مثلي يسأل عن صلاته؟ وأنا أعبد الله منذ كذا وكذا، قال: فكيف بكاؤك؟ قال: أبكي حتى تجري دموعي، فقال له العالم: فإن ضحكك وأنت خائف أفضل من بكائك وأنت مدل، إن المدل لا يصعد من عمله شيء.<sup>٣</sup>

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «فِي حَدِيثٍ مَجِيءٍ إِبْلِيسَ إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ: فَقَالَ لَهُ مُوسَى: «فَأَخْبِرْنِي بِالذَّنْبِ الَّذِي إِذَا أُذْنِبُهُ ابْنُ آدَمَ اسْتَحْوَذَتْ عَلَيْهِ، قَالَ: إِذَا أُعْجِبْتَهُ نَفْسُهُ، وَاسْتَكْثَرَ عَمَلَهُ، وَصَغُرَ فِي عَيْنِهِ ذَنْبُهُ»<sup>٤</sup>.

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام «فِي وَصِيَّتِهِ لِابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ: «إِيَّاكَ وَالْعُجْبَ وَسُوءَ الْخُلُقِ وَقِلَّةَ الصَّبْرِ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ لَكَ

١- الصحيفة السجادية: ٩٤؛ مستدرک الوسائل: ١٤٢/١، الباب ٢١، الحديث ٢١٠.

٢- الكافي: ٧٣/٢، باب الاعتراف بالتقصير، الحديث ٣؛ وسائل الشيعة: ٢٣٢/١٥، الباب ١٧، الحديث ٢٠٣٥٧.

٣- الكافي: ٣١٣/٢، باب العجب، الحديث ٥؛ بحار الأنوار: ٣٠٧/٦٩، الباب ١١٧، الحديث ٢.

٤- الكافي: ٣١٤/٢، باب العجب، الحديث ٨؛ بحار الأنوار: ٣١٢/٦٩، الباب ١١٧، الحديث ٨.



على هذه الخصال الثلاث صاحب، ولا يزال لك عليها من  
الناس مجانب، وألزم نفسك التودد<sup>١</sup>.  
وعن أبي عبد الله عليه السلام: «من دخله العجب هلك»<sup>٢</sup>.

عيسى والشخص المعجب:

قال الامام الصادق عليه السلام:

اتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضا، إن عيسى بن مريم كان من شرايعه السيح  
في البلاد، فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير  
اللزوم لعيسى عليه السلام، فلما انتهى عيسى إلى البحر قال: بسم الله، بصحة يقين منه  
فمشى على ظهر الماء فقال الرجل القصير حين نظر إلى عيسى عليه السلام: جازه بسم  
الله بصحة يقين منه فمشى على الماء ولحق بعيسى عليه السلام، فدخله العجب بنفسه،  
فقال: هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء فما فضله علي،  
قال: فرمس في الماء فاستغاث بعيسى فتناوله من الماء فأخرجه ثم قال له: ما قلت  
يا قصير؟ قال: قلت: هذا روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء فدخلني  
من ذلك عجب، فقال له عيسى: لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك  
الله فيه فمقتك الله على ما قلت فتب إلى الله عز وجل مما قلت، قال: فتاب الرجل  
وعاد إلى مرتبه التي وضعه الله فيها، فاتقوا الله ولا يحسدن بعضكم بعضا<sup>٣</sup>.

١- الخصال: ١٤٧/١، الحديث ١٧٨؛ بحار الأنوار: ٢٩٧/٧٠، الباب ١٣٥، الحديث ٦.

٢- الكافي: ٣١٣/٢، باب العجب، الحديث ٢؛ وسائل الشيعة: ١٠١/١، الباب ٢٣،  
الحديث ٢٤١.

٣- الكافي: ٣٠٦/٢، باب الحسد، الحديث ٣؛ بحار الأنوار: ٢٥٤/١٤، الباب ١٨، الحديث ٤٩.

وقال الامام الصادق عليه السلام:

دخل رجلان المسجد أحدهما عابد والآخر فاسق فخرجا من المسجد والفاسق صديق والعابد فاسق وذلك أنه يدخل العابد المسجد مدلا بعبادته يدل بها فتكون فكرته في ذلك وتكون فكرة الفاسق في التندم على فسقه ويستغفر الله عز وجل مما صنع من الذنوب<sup>١</sup>.

وروي عن الامام الصادق عليه السلام:

قال الله عز وجل لداود عليه السلام يا داود بشر المذنبين وأنذر الصديقين قال: كيف ابشر المذنبين وأنذر الصديقين؟ قال: يا داود بشر المذنبين أني أقبل التوبة وأعفو عن الذنب، وأنذر الصديقين ألا يعجبوا بأعمالهم فإنه ليس عبد أنصبه للحساب إلا هلك<sup>٢</sup>.

وينقل أبو حمزة الثمالي عن الامام السجاد عليه السلام، أنه قال:

سمعت علي بن الحسين عليه السلام وهو يقول: عجا للمتكبر الفجور الذي كان بالامس نطفة وهو غدا جيفة، والعجب كل العجب لمن شك في الله وهو يرى الخلق، والعجب كل العجب لمن أنكر الموت وهو يموت في كل يوم وليلة، والعجب كل العجب لمن أنكر النشأة الاخرى وهو يرى النشأة الاولى، والعجب كل العجب لمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء!<sup>٣</sup>.

(عليكم اغتنام فرصة هذا العمر لفعل ماتستطيعوه من خير وعمل حسن، لان

١- الكافي: ٣١٤/٢، باب العجب، الحديث ٦؛ بحار الأنوار: ٣١١/٦٩، الباب ١١٧، الحديث ٦.

٢- الكافي: ٣١٤/٢، باب العجب، الحديث ٨؛ بحار الأنوار: ٣٢١/٦٩، الباب ١١٧،

الحديث ٣٧.

٣- الأمالي، الطوسي: ٦٦٣، الحديث ١٣٨٧؛ بحار الأنوار: ١٤٢/٧٥، الباب ٢١، الحديث ٤.

كل شيء آيل للفناء والزوال حتى الرئاسة بل وكل هذا العالم، ولا يبقى ولا يدوم سوى الله ملك الملك الأزلي القديم الذي لا تتغير أحواله ولا يتغير ملكه، وهذا العمر يستحق البكاء أسفاً على الغفلة فيه ولم يبق منه إلا القليل من الأيام، فلو لم تمنح الأم رضعتها الأولى لطفلها لما تمكن من الاستمرار في الحياة، لذا ينبغي على الانسان معالجة عطش القلب قبل فوات الأوان ومجيئ الموت...).

### العجب مرض خطير:

قال أبو حامد الغزالي حول هذا الموضوع:

اعلم أن علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده، وعلة العجب الجهل المحض، فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط، فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق وإصلاحهم؛ فإن العجب بهذا أغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه.

فنعقول: الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب إنما يعجب به من حيث إنه فيه فهو محله ومجراه، أو من حيث إنه منه وبسببه وبقدرته وقوته؛ فإن كان يعجب به من حيث إنه فيه وهو محله ومجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل، لأن المحل مسخر ومجرى لا مدخل له في الإيجاد والتحصيل، فكيف يعجب بما ليس إليه؟

وإن كان يعجب به من حيث إنه هو منه وإليه وباختياره حصل وبقدرته تم، فينبغي أن يتأمل في قدرته وإرادته وأعضائه وسائر الأسباب التي بها يتم عمله أنها من أين كانت له؟

فإن كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي أن يكون إعجابه بجود الله وكرمه وفضله، إذ أفاض عليه ما لا يستحق وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فمهما برز الملك لغلمانه ونظر إليهم وخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجماله ولا لخدمته، فينبغي أن يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وإثاره من غير استحقاق وإعجابه بنفسه من أين وما سببه؟ ولا ينبغي أن يعجب بنفسه.

نعم يجوز أن يعجب العبد فيقول: الملك حكم عادل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر إلا لسبب، فلولا أنه تفتن في صفة من الصفات المحمودة الباطنة لما اقتضى الإيثار بالخلعة ولما آثرني بها، فيقال: وتلك الصفة أيضاً هي من خلعة الملك وعطيته التي خصصك بها من غيرك، من غير وسيلة، أو هي عطية غيره؟ فإن كانت من عطية الملك أيضاً لم يكن لك أن تعجب بها، بل كان كما لو أعطاك فرساً فلم تعجب به. فأعطاك غلاماً فصرت تعجب به وتقول: إنما أعطاني غلاماً لأنني صاحب فرس فأما غيري فلا فرس له، فيقال: وهو الذي أعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس والغلام معاً أو يعطيك أحدهما بعد الآخر! فإذا كان الكل منه فينبغي أن يعجبك جوده وفضله لا نفسك.

وأما إن كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد أن تعجب بتلك الصفة، وهذا يتصور في حق الملوك ولا يتصور في حق الجبار القاهر ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع المنفرد بإيجاد الموصوف والصفة، فإنك إن أعجبت بعبادتك وقلت: وفقني للعبادة لحيي له، فيقال: ومن خلق الحب في قلبك؟ فتقول: هو، فيقال: فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك إذ لا وسيلة لك ولا علاقة، فيكون الإعجاب بجوده إذ أنعم بوجودك

ووجود صفاتك ووجود أعمالك وأسباب أعمالك! فإذا لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه! لأن كل ذلك من فضل الله وإنما هو محل لفيضان فضل الله تعالى وجوده، والمحل أيضاً من فضله وجوده.

واعلم ان البعض بلغ بهم الجهل حداً حتى أعجبوا بما ليس لهم ولا ضمن قدرتهم كقدرة الجمال والنسب فهو من أشد أنواع الجهل، اذ يمكن ان يعجب العالم والعاقد بما حصل عليه من عبادة أو علم، لكن العجب بنسب السلاطين الظلمة وأعاونهم دون نسب الدين والعلم. وهذا غاية الجهل، وعلاجه أن يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله وأنهم المفقوتون عند الله تعالى، ولو نظر إلى صورهم في النار وأنتانهم وأقدارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب إليهم.

ثم ذكر فائدة النسب فقال ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ ثم بين أن الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأْتُمْ﴾ ولما قيل لرسول الله من أكرم الناس؟ من أكيس الناس؟ لم يقل: من ينتمي إلى نسبي ولكن قال «أكرمهم أكثرهم للموت ذكراً وأشدهم له استعداداً».

وإنما نزلت هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على الكعبة: فقال الحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن أسيد: هذا العبد الأسود يؤذن على الكعبة؟ فقال تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأْتُمْ﴾!

ولما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾<sup>١</sup>.

ناداهم بطناً بعد بطن، حتى قال "يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عمّة رسول الله «اعملا لأنفسكما فإني لا أغتني عنكما من الله شيئاً» فمن عرف هذه الأمور وعلم أن شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبائه التواضع اقتدى بهم في التقوى والتواضع، وإلا كان طاعناً في نسب نفسه -بلسان حاله- مهما انتمى إليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والإشفاق.

فاعلم أن كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله، والنسيب أيضاً جدير بأن يرجوها لكن بشرط أن يتقي الله أن يغضب عليه، فإنه إن يغضب عليه فلا يأذن لأحد في شفاعته، لأن الذنوب منقسمة إلى ما يوجب المقت فلا يؤذن في الشفاعة له، وإلى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة، كالذنوب عند ملوك الدنيا فإن كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملك، فمن الذنوب ما لا تنجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى:

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾<sup>٢</sup>.

فالانهماك في الذنوب وترك التقوى اتكالاً على رجاء الشفاعة يضاھي انهماك المريض في شهواته اعتماداً على طبيب حاذق قريب مشفق من أب أو أخ أو غيره، وذلك جهل لأن سعي الطبيب وهمته وحذقه تنفع في إزالة بعض الأمراض لا في كلها، فلا يجوز ترك الحمية مطلقاً اعتماداً على مجرد الطب، بل للطبيب أثر على الجملة ولكن في الأمراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج.

١- الشعراء ٢٦: ٢١٤.

٢- الأنبياء ٢١: ٢٨.

فهكذا ينبغي أن تفهم عناية الشفعاء من الأنبياء والصلحاء للأقارب والأجانب، فإنه كذلك قطعاً، وذلك لا يزيل الخوف والحذر، ويوجب مقت الله وغضبه، كما قال الحق تعالى:

﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾!

كلام الملا عبد الرزاق اللاهيجي في مسألة العجب:

قال الملا اللاهيجي:

مهما سعى الانسان وجهد في عبادته لن يصل الى عبادة ابليس، فهذا الشقي اللعين قد عبد الله لآلاف السنين لكن عاقبة عمله وخاتمة قد انتهت به الى الشقاء الأزلي واللعة الدائمة الأبدية. ان وجود مثل هذا العدو الخطير الذي يتربص بالانسان ليكره ويغدر به في جميع الأوقات حتى في مرض الموت ووقت الاحتضار ويسعى لسلب الايمان منه، يتطلب من الانسان أن يسعى قدر الامكان للاعتماد على عمله الناقص والحذر بشدة من هذا العدو؟!!

وقد نقلوا عن العلامة الحلي عليه رحمة الخفي والجلي أنه في وقت الاحتضار كانوا يلقنوه كلمات الفرج، لكنه كان يقول: لا، فتعجب ابنه واضطرب بشدة من حاله، فاستغاث بمقام الأحذية وطلب منه أن يستفيق الشيخ من غيبوبته حتى يستفهم عن حاله، فما أن أفاق الشيخ حتى سأله ابنه: كلما أنطقتك الشهادتين، ترد: لا، فما السبب؟

فأجاب الشيخ: عندما كنت تنطقني الشهادتين، كان الشيطان اللعين يلقني عكس ذلك، فكنت اقول له: لا، وليس لك، فاذا كان العلامة بجلال قدره

ومنزله لم يتخلص من شر الشيطان حتى في هذا الوقت، فكيف بحال الآخرين وماذا يمكن أن يحل بهم!؟

اذن، يجب أن نعرف أن أغلب الصفات الرديئة والمذمومة كالظلم والجور والبغي والغضب وأمثالها إنما هي من فروع ونتائج الكبر، وتنتج عن العجب والكبر وهما من الصفات المهلكة ويجب عيئاً على الجميع السعي لازالتها، والأدوية القادرة على استئصال جذور الكبر من النفس الأمارة يتركب من أصلين، هما:

الأصل الأول: معرفة عيوب النفس وذاتها وحقارتها.

الأصل الثاني: معرفة حضرة الربوبية والعظمة والكبرياء ونفوذ قدرته تعالى. وكل من يدرك أسرار وحقائق هذين الأصلين، ستظهر عليه بلا شك علامات التواضع والانكسار والخضوع ويغلب عليه الخوف والخشية، ويتصف بالحكمة والحياء والرحمة والرأفة، فإذا كان طائر همة هذا الانسان يعجز عن الطيران في فضاء عالم الملكوت والجبروت ليستفيض من بحار المكاشفات من سبحات أسرار الذات والصفات الالهية، ينبغي عليه استحضار الأصل الأول وهو معرفة عيوب النفس وآفاتنا وعدم الغفلة عنه باعتباره أسهل الأسباب وأقربها، وقد سعى الله تعالى الى تنبيه طالبه المنهج الهداية والمستعدين لقبول الفيض، فذكر لهم في القرآن المجيد آيات تتضمن نفحات عناية مراتب بداية ونهاية النفوس الانسانية، حيث قال:

﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ \* مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ \* مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ  
فَقَدَرَهُ \* ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ \* ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ \* ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾<sup>١</sup>.



حيث تتضمن هذه الآية الشريفة اشارة واضحة الى كيفية المراتب الاولى والوسطى والأخيرة في أحوال النفوس البشرية؛ لذا ينبغي على العقل أن ينظر بنور البصيرة الى دقائق أسرار هذه الآيات ومشاهدة أحوال نفسه الأولى والوسطى والأخيرة.

أما الأولى فيعلم أن آلافاً من الدهور والأعصار قد سبقته، وان وجوده الوهمي انما كان في كتم العدم المنعدم، ولا أثر له من اسم أو رسم في عالم الوجود، فأى شئ أحقر من أن يكون العدم سابقاً لوجوده؟.

ثم أمر الحكيم بقدره «كن فيكون» فخلق وجوده وانشأه من التراب فكان أخس وأحقر الموجودات، ثم خلق من التراب نطفة، وخلق من النطفة علقه، وخلق من العلقه مضغعة، فجعل من المضغعة عظاماً ثم كسى العظام باللحم والجلد. هذه بداية أحوال الانسان التي خلقه الله فيها من العدم المحض وأرذل الأشياء، وخلقه من أخس الأشياء وهو التراب حتى يعلم أن فطرته الاولى كانت جماداً ميتاً لم يكن فيه لا حياة ولا سمع ولا بصر ولا حس ولا حركة ولا نطق ولا علم ولا قدرة، فقدم تعالى نقائص صفاته على مكارم أوصافه، كتقديم الموت على الحياة والجهل على العلم والعجز على القدرة وكذلك الضلالة على الهداية، حيث قال تعالى:

﴿مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ \* مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾<sup>١</sup>.

حتى يطلع الإنسان على حقارة نشأته ومرتبته الأولى، ليشكر الله على عموم نعمته وشموله باحسانه.

وبعد الاتصاف بالصفات الخسيسة، أشار تعالى الى ثبوت محاسن الأوصاف عند الانسان، فقال:

### ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾<sup>١</sup>

حتى يعلم أنه كان موجوداً ميتاً بلا حياة ومعدوماً بلا اسم أو رسم، فمن الله تعالى عليه بنعمة الحياة، وبعد أن كان أصماً منّ عليه بنعمة السمع، وبعد العمى منّ عليه بالبصر، وبعد الخرس منّ عليه بنعمة التكلم، وبعد الضعف منّ عله بالقوة، وبعد الضلالة منّ عليه بالهداية حتى يصل الى اليقين في معرفة حضرة الصمدية ويجب عليه الالتزام برعاية آداب العبودية ويحصن نفسه من الوقوع في رذيلة الكبر والعجب، ويتعد عن الظلم والجور بحق العاملين عنده، ويدرك أن تمام العز والثناء والبقاء لله وحده جل وعلا، ومع كل هذا النقص والخسة والضعف والحقارة لو كان قد فوّض له أمور المعيشة في حال حياته أو كان مختاراً في الاستمرار بوجوده، لكان لعجبه وطغيانه جهماً، لكن الحاكم والملك لم يترك زمام الاختيار بيده ولم يجعل مفتاح المراد في قبضة همته؛ بل جعل وجوده هدفاً لسهام البليات ومقهور تصرف الحوادث والآفات ومعرضاً لأنواع الامراض الهائلة والأسقام المهلكة والطبائع المتضادة، فلم تكن له القدرة على جذب النفع لنفسه ولا دفع الضرر عنها، ولا القوة على كسب الخير أو منع الشر عنها، عقله في خطر الاختلاس في كل زمان وروحه في خطر الاختطاف في كل آن، أسير النفس والهوى في حال الصحة مصاباً بالآلام والعناء في وقت المرض، وهذه هي المرتبة الوسطى لحال الانسان.

العارف الالهي الحاج الميرزا حبيب الله الخراساني، يقول حول هذا الموضوع:  
 (اجتمعت في النفس المتناقضات فنصف من الأرض ونصف من السماء،  
 ونصف من الشيطان ونصف من الملائكة، وتعلق كل جزء منها في مختلف بقاع  
 الأرض من الروم الى الصين، فخلقت على هذه الهيئة التي اجتمعت فيها الأضداد  
 كأنها الحد المشترك بين العالمين، فمن أين جاءت هذه الأضداد رغم أنها في  
 الأصل نفس واحدة، اذ قد ابتليت بالوهم والشك وحب السلطة والمقام، فهذا  
 الخليل لم يطلب المساعدة من جبرئيل حتى وهو بين لهيب النار، وقد نطق الكثير  
 باسم الحق وانا واحد منهم أيضاً).

وأما المرتبة الأخيرة من حاله، فقد أشار إليها الحق جل وعلا بقوله:

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ \* ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾<sup>١</sup>

أي بعد انقضاء مدة حياته، تسترد منه جميع قواه الظاهرة والباطنة التي كانت  
 وديعة وأمانة عنده فيعود الى حالته الأولية الجمادية، فيغطون جيفته الكريهة في  
 ظلمة التراب، ويصبح هذه الجسد الذي تنعم بأنواع النعمة والرفاه طعمة للديدان  
 والأفاعي، ويبقى هذا الجسد الناعم أسيراً في ظلمة حبس طبقات التراب، ويقيد  
 جناح همته بساحل الفناء، ثم تمر عليه آلاف الدهور والعصور والقرون وهو  
 لا يزال قابلاً تحت التراب ولا أثر لاسمه في دفتر الوجود؛ بل لا يتذكره أحد من  
 الموجودات، وليت حاكم المشيئة قد نساه أيضاً ولم يجعله قاضي العدل في  
 معرض السؤال، ولم يسلط عليه الملائكة الغلاظ والشداد، ولم يسمع صوت  
 غضب نار جهنم، ولم يتحمل ألم أثقال السلاسل والأغلال ولم يذق مرارة

شراب الصديد والزقوم؛ بل يجمعون أشلاء أعضائه المتفرقة ويرفعونه عرباناً حيراناً من التراب، فيقرأون عليه سوء أفعاله في المحشر وموقف الفرع الأكبر، فان لم يحضى هذا العبد والعياذ بالله بقطرة من بحار رحمة الغفار، لتعرض هذا المسكين للعذاب الأبدي.

فمن كانت أحواله الأولى والوسطى كما سمعت، ويصدق به في آخرها مثل هذا الخطر، كيف يمكن أن يسعد أو يفرح بشئ في حياته؟!

وجميع الأنبياء والأولياء قد انفصلوا عن رغباتهم الجسدية خوفاً من هذا الخطر رأوا خلاصهم في الموت والعدم، حتى ان خاتم الأنبياء عليه وآله الصلاة والسلام رغم كل هذا المقام والقرب من الله يقول لهضرة الأحذية «ما عبدناك حق عبادتك» فان كان هذا حال ساحة النبوة وسرور صفوف ميدان الولاية، فكيف بحال من هم أمثالنا أليس من الأولى أن يغلب علينا الخوف والخشية، فمع كل هذه المراتب كيف يمكن للانسان أن يعجب بحاله أو يتخلل الى الكبر الى نفسه؛ بل من الأولى به أن يقضي تمام عمره بالنحيب والبكاء على ما فرط وفات والاكتفاء بالأكل من علف الفلاة.

(ان كنت تريد الوصول الى الكمال فالكمال يتحقق بتربية النفس وان تعرفها صفاتها جيداً، وزين قلبك بتحمل الآلام والصعاب وكحل عينك برؤية فضائل الأخلاق، فان كنت ترغب بالوصل والتقرب الى الله عليك التحلي بصفات الأولياء وأهل القرب، وتعامل برفق وحسن مع الجميع الآ مع النفس الامارة بالسوء، فإنا من فطرت على التعليم ان كنت تحمل صفات آدم فاسع الى تعلم الاسماء الالهية كما فعل أبوك آدم، وقبل أن تنصح الآخرين بتحمل الأثم والمصائب عليك أولاً معالجة نفسك وتربيتها على ذلك).

«فَمَنْ أَحَبَّ بِنَفْسِهِ فِى فِعْلِهِ فَقَدْ ضَلَّ عَنْ مَنَهِجِ الرَّشَادِ وَأَدْعَى مَا لَيْسَ لَهُ؛  
وَالْمُدْعَى مِنْ غَيْرِ حَقٍّ كَاذِبٌ وَإِنْ أَخْفَى دَعْوَاهُ وَطَالَ دَهْرُهُ فَإِنَّ أَوَّلَ مَا  
يَفْعَلُ بِالْمُعْجَبِ نَزَعَ مَا أَحَبَّ بِهِ لِيَسْتَلِمَ أَنَّهُ عَاجِزٌ حَقِيرٌ وَيَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ  
بِالْمَعْجَزِ لِتَكُونَ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَوْ كَذًا كَمَا فَعَلَ بِإِبْلِيسَ».

### نتيجة العجب:

يقول الامام الصادق عليه السلام في هذا القسم من الرواية:

كل من يعجب بنفسه في فعله ويتفاخر به على الآخرين، بلا شك سيضل عن منهج الحق والرشاد وادعى ما ليس فيه، لأن الكبر والسيادة من مراتب الله وصفاته البعيدة عن كل نقص وعيب، وليست من صفات أهل الامكان المعيوبه بأكثر العيوب والموسومة بأكثر النقائص، لذا من يدعى بمثل هذه الدعوى يكون كاذباً حتى وان أخفى دعواه أو مر عليها الدهر وطال، وستعرض للعقوبة والعذاب على هذه الدعوى الباطلة والأثم القبيح ما لم يتب عنها ويعود عن هذا الاعتقاد الفاسد ويشهد على نفسه بالمعجز والنقص.

ينقل البعض عن ابن السماك أنه كان يعاتب نفسه ويلومها كل يوم، فيقول:

«يَا نَفْسُ نَقُولِينَ قَوْلَ الرَّاهِدِينَ، وَنَعْمَلِينَ عَمَلَ الْمُنَافِقِينَ، وَفَى

الْجَنَّةِ تَطْمَعِينَ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ إِنَّ لِلْجَنَّةِ أَقْوَاماً آخَرِينَ وَلَهُمْ  
أَعْمَالٌ غَيْرُ مَا تَعْمَلُونَ».

(ان من يروم الوصل والقرب الى الله عليه تربية النفس وتعليمها على تحمل  
الألم والمصاعب، فالانسان يصبح كالحيران من فرط الغوص في ملذات هذه  
الدنيا حتى لا يتذوق من معاني الانسانية شيئاً، لأن كل داء قابل للدواء الأ داء  
العشق لا دواء له، فلن نجد قائداً ومعلماً مثل موسى في تربية نفسه واضطراره  
للعمل في الرعي؛ لان غيوم الرحمة لن تمطر على الانسان ما لم يتذوق ألم العشق  
ويهمر الدموع أملاً في الوصل).

ان أول ما يفعله الله القادر بصاحب العجب هو أن يسلبه المال والعلم والحسن  
والشهرة والقدرة التي كانت تمثل أسباب عجبه، حتى يدرك هذا الانسان عجزه  
وحقارته وفقره وان هذه الكمالات انما كانت خاضعة لقدرة أخرى، فهي الأولى  
بالكبر وليس ذلك الانسان العاجز الذليل، ولم يكن سلبه لهذه الكمالات إلا من  
باب اتمام الحجة حتى يدفعه الى ترك الرذيلة وملازمة الخضوع والخشوع لله  
تعالى. كما حدث مع ابليس اللعيس اذ سلب الله تعالى منه كل كمالاته بسبب  
كبره وعجبه، لكنه لم يتعص ولم يعتبر من ذلك فلم يخضع لحضرة الحق فحلت  
عليه اللعنة الأبدية.

«وَالْعُجْبُ نَبَاتٌ، حَبُّهَا الْكَبِيرُ، وَأَرْضُهَا النَّفَاقُ، وَمَاؤُهَا الْغَيُّ، وَأَغْصَانُهَا  
الْجَهْلُ وَوَرَقُهَا الضَّلَالَةُ، وَثَمَرُهَا اللَّعْنَةُ وَالْخُلُودُ فِي النَّارِ. فَمَنْ اخْتَارَ  
الْعُجْبَ فَقَدْ بَذَرَ الْكُفْرَ، وَزَرَعَ النَّفَاقَ ; وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يُثْمَرَ بِأَنْ يَصِيرَ  
إِلَى النَّارِ».





الباب

(٤١)

في آداب الأكل



قال الصادق عليه السلام:

قِلَّةُ الْأَكْلِ مَحْمُودٌ فِي كُلِّ قَوْمٍ لِأَنَّ فِيهِ مَصْلَحَةٌ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ.  
وَالْمَحْمُودُ مِنَ الْمَأْكُولَاتِ أَرْبَعٌ: ضَرُورَةٌ، وَعَدَّةٌ، وَقُتُوحٌ، وَقُوتٌ. فَالْأَكْلُ  
الضَّرُورِيُّ لِلْأَصْفِيَاءِ، وَالْعَدَّةُ لِلْقَوَامِ الْأَتْقِيَاءِ، وَالْقُتُوحُ لِلْمُتَوَكِّلِينَ، وَالْقُوتُ  
لِلْمُؤْمِنِينَ.

وَلَيْسَ شَيْءٌ أَضَرَّ عَلَى قَلْبِ الْمُؤْمِنِ مِنْ كَثْرَةِ الْأَكْلِ، وَهِيَ مُورِثَةٌ  
لِشَيْئَيْنِ: قَسْوَةِ الْقَلْبِ وَهَيْجَانِ الشَّهْوَةِ.

وَالْجُوعُ إِدَامُ الْمُؤْمِنِينَ، وَغِذَاءُ لِلرُّوحِ، وَطَعَامٌ لِلْقَلْبِ، وَصِحَّةٌ لِلْبَدَنِ. قَالَ  
النَّبِيُّ ﷺ: مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءٌ أَشْرَّ مِنْ بَطْنِهِ.

وقال داود عليه السلام: تَرَكَ لُقْمَةَ مَعَ الضَّرُورَةِ إِلَيْهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قِيَامِ عِشْرِينَ لَيْلَةً.

وقال النبي ﷺ: أَلْمُؤْمِنُ بِأَكْلٍ فِي مَعًا وَاحِدٍ، وَالْمُنَافِقُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ.

وقال النبي ﷺ: وَيَلُّ لِلنَّاسِ مِنَ الْقَبْقَبِيِّينَ. فَقِيلَ: وَمَا هُمَا يَا رَسُولَ

اللَّهِ؟ قَالَ: الْبَطْنُ وَالْفَرْجُ.

وقال عيسى بن مريم عليه السلام: مَا مَرِضَ قَلْبٌ أَشَدَّ مِنَ الْقَسْوَةِ، وَمَا اعْتَلَّتْ

نَفْسٌ بِأَصْعَبٍ مِنْ بُغْضِ الْجُوعِ، وَهُمَا زَمَامَا الطَّرْدِ وَالْحِذْلَانِ.

﴿قُلْ الْإِنَّمَالِ مَحْشُورَةٌ فِي كُلِّ قَوْمٍ لِرَبِّهِمْ فِيهِ سُلْطَانٌ بَاطِنٌ وَالظَّاهِرُ﴾

### الغذاء وشروطه الظاهرية والباطنية:

بعد باب الأشربة والأطعمة من أهم الأبواب وأكثرها تفصيلاً في الإسلام ويستكنكم ملاحظة تفاصيل أكثر عن موضوع الأطعمة والأشربة في كتاب «أولين دانستگاه و آخرين پیامبر» حيث بين أنواع الغذاء الحلال والحرام وآثارها وشروطها الظاهرية والباطنية.

ولا نحتاج في هذا القسم الى توضيح مفصل لهذه المسألة، لذا سنكتفي بالتطرق الى قسم من هذه الأصول.

أول ما أمرت به الشريعة في باب الأطعمة هو ان يكون الطعام والشراب حلالاً؛ لأن الحلال له آثار الهية وأنوار ملكوتية تترك تأثيراتها الايجابية في القلب والنفس والعمل.

فحسب القواعد الالهية يعمل الغذاء الحلال على تحفيز الانسان نحو العبادة وتحصيل النورانية، في حين يعمل الغذاء الحرام على دفع الانسان نحو الذنب والضلال والظلام.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾

فعندما يكسب الإنسان القوة والطاقة من الغذاء الحلال، سيتحرك نحو العبادة والطاعة التي ستقبل بفضل رَحْمَةِ ولطفه. وستجلى هذا القبول بالجنة لأنها المكان الأبدي لأهل الطاعة.

ولو دققتم في حياة الأنبياء والأولياء لوجدتم أنهم كانوا يكسبون رزقهم الحلال من عملهم المشروع، ومنه يوفرون لأنفسهم الغذاء الحلال وبواسطته يصلون إلى أفضل مراتب العبادة والطاعة، ومنها يحصلون على أفضل الآثار في الدنيا ويحصلون على أحسن الثواب في الآخرة.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ

وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>١</sup>

والسالكون في طريق الحق يوصون عباد الله وأهل الطاعة والعبادة، بأن تكون نيتهم عند الجلوس على سفرة الغذاء هي كسب القوة والطاقة لأداء آداب الطاعة والعبادة لله تعالى، وبلا شك تكون هذه النية وهذا الأكل جزء من العبادة.

### آداب الأكل:

قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ لابنه الامام الحسن عَلَيْهِ:

يا بني لا تطعمن لقمة من حار ولا بارد ولا تشربن شربة ولا جرعة الا وانت

تقول قبل أن تأكله وقبل أن تشربه:

﴿اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِي أَكْلِي وَشُرْبِي السَّلَامَةَ مِنْ وَعْكَهِ وَالْقُوَّةَ

بِهِ عَلَى طَاعَتِكَ وَذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ فِيمَا بَقِيَتْهُ فِي بِلَدِي، وَأَنْ

تُشَجِّعُنِي بِقُوَّتِهَا عَلَى عِبَادَتِكَ، وَأَنْ تُلْهِمَنِي حُسْنَ التَّحَرُّزِ مِنْ مَعْصِيَتِكَ، فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ أَمِنْتُ وَعَكَهْ وَغَائِلَتَهُ»<sup>١</sup>.

وقد أوصى الاسلام المسلمين بعد أن يحصلوا على الغذاء بالطريق الحلال، أن يتشاركوه مع أخوانهم الآخرين من ضيف أو مسكين أو أسير أو فقير أو يتيم أو عجوز أو مريض، لأن الله يبارك الغذاء الذي تتكاثر عليه الأيدي.

عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطَّعَامُ إِذَا جَمَعَ أَرْبَعَ خِصَالٍ فَقَدْ تَمَّ.

إِذَا كَانَ مِنْ حَلَالٍ، وَكَثُرَتِ الْأَيْدِي، وَسُمِّيَ فِي أَوْلَاهِ وَحَمْدِ اللَّهِ فِي آخِرِهِ»<sup>٢</sup>.

وجاء في كثير من الروايات التوصية بالأكل على الأرض لأنه أقرب للتواضع، حتى ان الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلما جلبوا له الطعام كان يضعه على الأرض ثم يأكل منه.

اثنتا عشرة خصلة في مائدة الغذاء:

عن الامام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قال: قال الحسن بن علي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: في المائدة اثنتا عشرة خصلة يجب على كل مسلم أن يعرفها: أربع منها فرض، وأربع سنة، وأربع تأديب، فأما الفرض: فالمعرفة، والرضا والتسمية والشكر. وأما السنة: فالوضوء قبل الطعام، والجلوس على الجانب الأيسر، والاكل بثلاث أصابع، ولعق

١- مكارم الأخلاق: ١٤٣؛ المحجة البيضاء: ١٢/٣، كتاب آداب الأكل؛ بحار الأنوار: ٣٨٠/٦٣، الباب ١١، الحديث ٤٧.

٢- الكافي: ٢٧٣/٦، باب الإجتماع الأيدي الناس، الحديث ٢؛ بحار الأنوار: ٣١٤/٦٣، الباب ٢، الحديث ٢.

الأصابع، وأما التآديب: فالأكل مما يليك وتصغير اللقمة، وتجويد المضغ، وقلة النظر في وجوه الناس<sup>١</sup>.

### معرفة الطعام في القرآن:

ان مسألة معرفة الغذاء تعد من المسائل المهمة جداً التي أكدت عليها الروايات والأخبار كثيراً، وهذه التأكيد يستند على أحد آيات القرآن الكريم التي يقول فيها تعالى:

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾<sup>٢</sup>.

النظر يشتمل على الرؤية والتحقيق العلمي وهو يختلف عن الرؤية فقط، والحالات التالية تقع ضمن مجال النظر:

يجب ان يعلم أن هذا الغذاء جاء من طريق جلال وليس من حرام حتى يعتمد الجميع على أحدهم الآخر، ولاتتحول الأمور الاجتماعية خاصة التجارية الى حالة من الفوضى.

ويجب النظر الى هذا الغذاء المتكون من المواد الدهنية والسكرية والبروتينية كيف يتحول الى مواد قابلة للتحلل، وماذا يفعل في معدة الانسان وأمعائه، ولماذا ينقذه من الفساد والضياع والضعف، وماذا يحصل لو تحول قسم منه الى ضفر وقسم آخر الى شعر ثم يصل الى ما يستهلكه اللحم والعظم ثم يتحول الى دم، ووريد وعصب وعين وأذن وغيرها، والخلاصة يجب على المسلمين أن يحصلوا

١- من لا يحضره الفقيه: ٣/٣٥٩، باب الأكل والشرب...، الحديث ٤٢٧٠؛ وسائل الشيعة: ٤٣١/٢٤،

الباب ١١٢، الحديث ٣٠٩٨٤.

٢- عيس ٨٠: ٢٤.

على معرفة بعلم الوظائف والأعضاء.

ويجب أن ينظر الانسان الى غذائه؛ أي ينظر أثناء الأكل الى طعامه وما فيه حتى لا يتعرض لسوء الهضم.

وانتهوا الى طعامك أن لا يحتوي على نواة أو شعر أو أشياء غير قابلة للهضم.

وانظروا الى طعامكم حتى لا يتأذى ضيفكم ويتناول طعامه برغبة وشهية.

وانظروا ماذا تأكلون وماذا يأكل جاركم، وهل كثرة الطعام عندكم تجعلكم

تحيرون في الاختيار، في حين قلته عنده تجعله يحترار ماذا يقول لعياله وأطفاله؟

وانظروا الى طعامكم وكيف يطبخ في بلادكم، وكيف يتم قطف الرز

والحنطة عندكم، وما هو وضع التصدير والاستيراد في بلادكم؟

وانظروا مما يتكون طعامكم وما هي الوظائف التي يقوم بحيث تفيدكم

وتلائم مع طبيعة وتركيب جسمكم، أي ينبغي أن تحصلوا على معرفة في علم

الفيزياء والكيمياء والأحياء.

وينبغي معرفة كيف يساعد وجود الماء والتراب والشمس معاً على تكوين

الغذاء وصناعته.

وكيف ولماذا ظهر فصل الربيع، وكيف يتم الاستفادة من أيام أخرى لتهيئة

الغذاء وتكوينه.

وانظروا أن لا يتقصر في طعامكم عنصر الكالسيوم المهم في تقوية العظام،

وأن لا يؤدي نقص العناصر الأخرى فيه الى أضرار في بدن النساء المحوامل أثناء

العماليات الجراحية الخاصة بوضع الأطفال.

وهل يؤدي طعامكم الى اطالة عمركم وسلامتكم، أم يترك على بدنكم آثاراً

سلبية؟



تأثير الغذاء على الجوارح والجوانح:

كتبوا حول النملة أنها:

إذا ما رأت نقصاً في عدد (الجنود أو الخازنات أو العاملات) ستعمل على سد هذا النقص بتوليد هذا العدد من خلال تناول غذاء خاص، واليوم نطرح هذه النظرية على البشر وهل يمكنه توليد أفراد يتصفون بالشجاعة والذكاء من خلال تناول نوع خاص من الغذاء؟

أما في الإسلام فقد تم حل هذا الموضوع قبل أربعة عشر قرناً، إذ بين أن الإنسان بإمكانه اختيار صفات خاصة لأولادهم من خلال تناول بعض الأغذية الخاصة بها.

فالغذاء يؤثر في طول الإنسان، وهذا ما تم إثباته في الدول الإسكندنافية التي يتميز مواطنوها بطول القامة، وكذلك اختبروا ذلك على بعض الأفراد من السيخ والبوذيين، كانوا يجلسون الى جانب بعضهم البعض في مدرسة في إحدى مدن الهند، فاكتشفوا أن علة طول القامة عند السيخ يعود الى طبيعة غذائهم.

ويضم جسم الإنسان غداً صغيرة لها تأثيرات كبيرة جداً على حياته، منها الغدد الدرقية التي تؤثر كثيراً على نشاط الإنسان وفعاليته فيظهر شخصاً بليداً خاملاً يميل الى العزلة والانطواء، ولا يعتني بنظافة نفسه، حيث تظهر هذه الأعراض عندما يفقد الغذاء لكميات كافية من اليود.

وكل غدة في جسم الإنسان لها تأثيرها الخاص وترتبط بها وظيفة معينة من وظائف البدن، ولما كان الغذاء يمكن أن يؤثر على كل واحدة من هذه الغدد والأعصاب، لذا يمكن أن يترك تأثيراً كبيراً على شخصية الإنسان وصفاته.

فقد أرجع علماء التغذية وعلماء النفس الطبائع والصفات السيئة عند هتلر الى

تناوله كميات كبيرة من الحلويات، فقد ذكروا في الكتب التي تحدثت عن حياته ولعه الشديد بتناول الحلويات، كما جاء ذلك في كتب سقوط الرايخ الثالث، والمفاوضات السرية لهيتلر وغيرها.

ونحن نعلم أن برنامجه تغذيته على السكريات قد أدى الى تقليل مخزونه من الفيتامينات خاصة المجموعة B مما أدى الى اتلاف العناصر المهدئة للأعصاب التي يدخل في تركيبها فيتامينات المجموعة B، ولعله كان السبب في هيجانه وفقدانه السيطرة على أعصابه.

أما ايفان المرعب «ايفان الرابع» حاكم روسية فكان مشهوراً في صباه بالعدل والانصاف، لكنه ما أن تسلم مقاليد الحكم حتى بدأ يفقد تدريجياً توازنه الروحي والنفسي وتحول الى طاغية يعيش على دماء الابرياء، وقد أرجعوا السبب في ذلك الى نوعية غذائه حيث كان في طفولته بعد فقدانه لوالده يتناول غذاءً بسيطاً، لكن بعد وصوله السلطة كان يفرط في تناول الغذاء خاصة الحلويات والمواد الدسمة بحيث ظهرت عليه في الأربعين من عمره علامات الشيخوخة وزادت قسوته وطغيانه حتى قتل ولده؛ لأنه دافع عن زوجته في قبال اعتراض والده على لباسها الذي كان قد اعتبره غير لائق، وفي النهاية توفي في الحادية والخمسين من عمره. ويوجد الكثير من أمثال هؤلاء المشاهير الذين سببوا المآسي الكثيرة للمجتمع بسبب برنامجهم الغذائي الخاطيء.

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾!

فعليكم النظر الى نوعية طعامكم، فان كنتم ترغبون في الضحك عليكم

الاكثار من تناول الزعفران، ولترقيق القلب وزيادة البكاء عليكم الاكثار من أكل العدس، ولتقليل الحزن والغم عليكم أكل العنب الحلو، ولزيادة صفات الشجاعة أكثر من أكل البطيخ الحلو.

وانظروا الى غذاء أطفالكم لما يتركه من تأثيرات حتمية على صفاتهم النفسية والمعنوية، فاذا ما تناولوا باستمرار الغذاء الحرام والنجس فسيترك تأثيراً سلبياً على صفاتهم وسلوكهم الأخلاقي؛ لذا يمكن القول ان اختيار الغذاء المناسب يؤثر كثيراً على سعادة الانسان وشقائه.

ويمكن اليوم استعمال بعض الأغذية كأدوية لعلاج بعض الأمراض، حيث تم افتتاح مراكز متخصصة لهذا الغرض في أوروبا وامريكا، كما يؤكد القرآن الكريم أيضاً على هذا الأسلوب.

وقد قالت امرأة ابراهيم عليه السلام للملائكة: اني امرأة عقيم، وكان الحديث حول أكل عجل مشوي سمين، لذا ينبغي على العلماء التحقيق في مدى تأثير أكل لحم العجل على معالجة العقم عند النساء والكشف عن علته وأسبابه الخاصة. وعليكم النظر في غذائكم من جهة الكمية والكفية، ومعرفة طاقة معدتكم لاستقبال مقدار معين من الغذاء يناسبها.

فهل انتم مستعدون لجمع جميع الطعام الموجود في المائدة من خبز وحساء ولحم ورز وحلويات وغيرها، ووضعه في اناء واحد ثم تمعنوا النظر اليه لدقائق معدودة قبل الأكل ومقارنته مع قابلية معدتكم وقدرة استيعابها، ثم أبدأوا بعد ذلك بالأكل؟!.

واتبها الى كيفية غذائكم لأن نسيج المعدة ظريف ورقيق جداً وسريع التأثير، فهل ستعمدون الى ملأ معدتكم بالتوابل المؤذية والطفيليات؟

كما يؤثر الغذاء كثيراً على سلامة الانسان وجماله وصفات وجهه، حتى قيل في الماضي أن الانسان يهتم كثيراً من بين جميع الحسنات والصفات الجيدة بأمرين يقدمهما على كل الامور الاخرى وهما: الصحة والجمال وكلاهما يرتبط بشكل مباشر بكمية الغذاء وكيفيته. وتشير الاحصائيات الدقيقة أن ٧٥٪ من الشعب الامريكى ممن تجاوزوا سن الخمسين مبتلون بسبعة أو ثمانية أمراض تعود الى برنامجهم السئ في التغذية؛ أي أصبحت معدتهم كما قال رسول الله ﷺ:

﴿الْمَعْدَةُ بَيْتُ كُلِّ دَاءٍ﴾!

وانظروا الى التأثيرات التي يتركها نوع التغذية على زيادة عدد سكان العالم، وما يؤديه ذلك من صراعات وحروب.

وانظروا الى التأثيرات الحتمية لسوء التغذية في الموت والهلاك الجماعي خاصة للأطفال، وما تؤديه شحة الغذاء والقحط من عجز وموت فردي وجماعي على الافراد والمجتمعات.

ويعتمد بعض الأطباء أن سوء التغذية ونوعها تعد أحد أسباب الحمق والسفه، كما أثبت علم الطب في الوقت الحاضر وجود اثنين وعشرين مورداً من الاضطرابات الدماغية تعود في أسبابها الى تحول المواد الغذائية وتبدلها بصورة غير طبيعية.

وقد يأتي اليوم الذي يتمكن فيه أحد العلماء من تحويل الأطفال العادين الى رجال وشفصصيات مهمة، كما يفعل ذلك النحل عندما يقوم بتربية ملكة الخلية بواسطة نوع خاص من الغذاء.

اذن، يجب أن ينظر الانسان الى غذاءه؛ بأن يعلم ماهو الغذاء المطلوب

وكيف يطبخ وكيف ينبغي أن يؤكل، ومع ماذا يأكله، وفيم يأكله، وماهو الوضع المناسب للأكل، وبأي عضو يأكل، وماهو المقدار الذي يأكله وغيرها؟ .  
 فعلى الانسان ان ينظر الى غذاءه، ويعرف مدى مطابقته مع الواقع ويسعى للاطمئنان من انتخابه الغذاء المناسب الذي يتلائم مع احتياجات جسمه ويفيد صفاته الروحية وينفع مجتمعه.

### الأكل بالمقدار المناسب:

بند الاهتمام بشروط الغذاء، ينبغي الآن التطرق الى مسألة الأكل قدر الحاجة التي جاءت في عبارات الشرع والطب والحكمة تحت عنوان قلة الأكل.  
 وقد جاءت في القرآن الكريم آية مهمة تعرضت الى موضوع الأكل والشرب، التي وصفها أمير المؤمنين عليه السلام بأنها جمعت كل الأمور الطيبة.  
 وقد أدى تطبيق المسلمين لهذه الآية في الصدر الاول للاسلام الى معالجة الكثير من الأمراض وتجنب أمراض أخرى.  
 وقد بلغت صحة المسلمين وسلامتهم حدًا، بحيث عندما أرسل أحد الشخصيات طبيباً الى المدينة لمعالجة الناس، اشتكى الطبيب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلة مراجعة الناس له، فبين له الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ان السبب يعود لتطبيقهم العملي لهذه الآية، اذ قد طلبت من الناس أن لا يأكلوا طعاماً ما لم يكونوا بحاجة اليه لذلك قل بينهم المرضى، فقال الطبيب: لقد جمعتم كل الطب في هذه الآية وهي:

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾!

اذ يمكن القول ان هاتين الكلمتين قد جمعت كل ما يرتبط بموضوع الغذاء والتغذية.

المرحوم الملا أحمد النراقي رضوان الله عليه في «معراج السعادة» يقول حول هذا الموضوع عبارات جميلة جداً:

ان حد الاكل والشرب هو أن يكون الطعام والشراب حاملاً للشخص لا أن يكون الشخص حاملاً له، فلو كان الانسان حاملاً بل حاملاً لأكله وشربه لكان قد أسرف فيه<sup>١</sup>.

وقد قال الله تعالى:

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾، فلو خالفنا الامر الالهي وأسرفنا في الأكل والشرب، فهذا يعني أننا خالفنا أهم الأوامر الموضوعية من قبل صانع وخالق الخلق وأهملنا قابلية وطاقة الجهاز الهضمي وأهملنا أهم التوصيات الغذائية، مما سيؤدي الى تعرضنا الى كثير من الآلام والأمراض التي توصل اليها العلم أخيراً، وكشف كيف يمكن أن يؤدي هذا الاهمال الى اصابة الانسان بمختلف الآلام والأمراض.

الم يقل جميع الأطباء والعلماء أن: عمرنا هو نفس عمر شراييننا، واذا تمكنت الأوردة من ايصال الدم جيداً الى جميع أعضاء البدن وتمنحها الغذاء اللازم، لتمكن الانسان العيش فترة طويلة جداً تكون معظمها في مرحلة الشباب.

ان ما يؤدي الأوردة ويمنعها من أداء وظيفتها بشكل جيد هو زيادة كمية كلسترول البلازما، حيث كانوا يعتقدون سابقاً أن زيادة كمية الكلسترول يؤدي

فقط الى الأخلال في أيض الدهون وبالتالي ترسبها على جدران الشرايين. حيث يشعر بعض الأفراد ممن بلغوا الخمسين من عمرهم ببعض الاضطرابات في بدنهم كالصداع والاضطراب في الرؤية وخدر بعض الأعضاء وصعوبة الحركة. كما يشكون من نسبة ذكائهم وذاكرتهم لكنهم عادة مايراجعون الطبيب بسبب الصداع أو الاضطرابات في الكبد فيطلب منه الاطباء الفحص عن نسبة الكلسترول في الدم، فاذا صح التشخيص وكان نسبة الكلسترول عالية يوصي بمراقبة الأنسجة الدموية للمريض.

وتوجد مادة الكلسترول في جميع أعضاء الجسم باستثناء العظام والأسنان، وتكون نسبتها أعلى في الغدد الكلوية ومادة الدماغ البيضاء، أما في الدم فتبلغ نسبتها حوالي ١٨ غرام لكل لتر.

ويعتبر وجود الكلسترول في الأعضاء أحد الوسائل الدفاعية والمضادة للسم، وقد أثبتت التحليلات المخبرية أن النسيج الذي تقل فيه نسبة الكلسترول تقل عنده قابلية الدفاع ضد سم أفعى الكوبرا بمقدار ٢٠-٣٠ مرة.

وتعد الكلسترول وسيلة لحمل ونقل الحوامض الدهنية، كما تساعد كثيراً في المحافظة على تعادل نسبة الماء في الجسم وغيرها.

وتوجد الكلسترول بنسبة عالية في بيوض الطيور خاصة البط، والقلب والمخ، وبعد أن تعرفنا باختصار على مادة الكلسترول ينبغي التطرق الى المواضيع الثلاث التالية:

- ١- الأحماض الموجودة في الغذائية تكون جميعها من نوع الأحماض العضوية وأهمها: حامض الخليك، حامض اللينيك، حامض الأوكساليك، وحامض الطرطريك.
- ٢- يوجد حامض الخليك في جميع الأغذية تقريباً.

٣- يصنع الكبد مادة الكلسترول من حامض الخليك.

وبعد هذه النقاط الثلاثة، تكونوا قد تعرفتم على كل ما ينبغي معرفته في هذا القسم من الآثار السلبية التي يتركها كثرة الأكل على أعضاء الجسم خاصة الأنسجة الدموية. وقد قيل أيضاً أن زيادة الكلسترول يكون غير مهم في بعض الموارد، حيث يمكن أن تتجمع في الطبقة الخارجية للجلد بهيئة أكياس ناعمة أو تظهر على الجلد بهيئة حبيبات صغيرة صفراء اللون.

وأحياناً تتجمع مادة الكلسترول في كيس الصفراء فتؤدي الى تكون الحصى فيها، لكن العوارض والتأثيرات الخطيرة للكلسترول تكمن في ترسبها على الجدار الداخلي للأوردة الدموية، مما يؤدي في البداية الى تصلب جدرانها وتضييق مجراها فيسبب ببطء انتقال الدم وعدم وصول الغذاء الكافي للأنسجة، مما يزيد من نسبة الاصابة بالسكتة الدماغية أو القلبية.

وفي عام ١٩٦٤م توصل أحد الأطباء الى اكتشاف طبي مهم جداً حصل بموجبه على جائزة نوبل في الطب، يبين فيه أن الكبد يصنع مادة الكلسترول من حامض الخليك وينقلها مباشرة الى الدم.

ولما كان حامض الخليك يتوفر في جميع المواد الغذائية تقريباً، لذا يمكن القول أن كثرة الأكل يؤدي الى الاصابة بمرض تصلب الشرايين والجلطة القلبية وفي النهاية يؤدي الى الموت السريع، لأنه يزيد من كمية حامض الخليك في الجسم الذي يدخل في تركيب مادة الكلسترول التي ترسب على الجدار الداخلي للأوردة الدموية. وعلى ضوء هذا الاكتشاف الطبي نستنتج أن الانسان كلما قلل من كمية غذائه كلما قلل من نسبة الكلسترول في الدم وزاد من طول عمره، وهذا ما أشار اليه الامام علي عليه السلام:



﴿أَلَا وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُدُوًّا﴾<sup>١</sup>!

نعم، حسب قول الامام الصادق عليه السلام في بداية الرواية المذكورة في باب الأكل:

«قَلَّةُ الأَكْلِ مَحْمُودَةٌ فِي كُلِّ قَوْمٍ لِأَنَّ فِيهِ مَصْلَحَةٌ البَاطِنِ وَالبَاطِنِ وَالبَاطِنِ».

تكون قلة الأكل محمودة عند جميع الشعوب والاقوام؛ لأنها تتضمن مصلحة باطن الانسان وظاهره.

## آثار قلة الأكل:

قلة الأكل أو الأكل قدر الحاجة تورث السلامة وتعالج الكثير من الأمراض مما يزيد طول العمر، وتعد بالنسبة لأهل العبادة والعاشقين لعمل الخير عملاً ممدوحاً وبرنامجاً روحياً مهماً.

وإذا ما أردنا التطرق للآثار المعنوية لقلة الأكل فهي كثيرة جداً لدرجة أنها تحتاج الى بحث مستقل لايفائها تماماً، لكن يمكن تلخيصها بعبارة واحدة فنقول: اذا كان مصدر الأكل قدر الحاجة حلالاً فيعمل على تجلي نور الحق واطهار الكثير من الصفات الايجابية في وجود الانسان، ويشير الشاعر سعدي الى هذا المعنى:

(عليكم بقلة الأكل لأنها تؤدي الى تجلي نور المعرفة الالهية)

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «إِذَا شَبِعَ البَطْنُ طَغَى»<sup>١</sup>.

١- الكافي: ٢٧٠/٦، باب كراهية الأكل، الحديث ١٠؛ المحجة البيضاء: ١٥٠/٥، كتاب كسر الشهوتين.

وعنه عليه السلام: «ما من شيء أبغضُ إلى الله من بطن مملوء»<sup>١</sup>.

وقال نبي الاسلام صلى الله عليه وآله:

«إن الله يباهي الملائكة بمن قل مطعمه في الدنيا، يقول: انظروا إلى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصبر وتركهما، اشهدوا يا ملائكتي: ما من أكلة يدعها إلا أبدلته بها درجات في الجنة»<sup>٢</sup>.

وقال صلى الله عليه وآله أيضاً:

«لا تميموا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزرع يموت إذا كثرت عليه الماء»<sup>٣</sup>.

وعن اسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

إن أقرب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة من طال جوعه و عطشه و حزنه في الدنيا، هم الأحياء الأتقياء الذين إن شهدوا لم يعرفوا و إن غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الأرض و تحف بهم ملائكة السماء، نعم الناس بالدنيا و نعموا بطاعة الله، افترش الناس الفرش الوثيرة، و افترشوا الجباة و الركب، ضيعوا الناس فعل النبيين و أخلاقهم و حفظوها هم، تبكي الأرض إذا فقدتهم و يسخط الله تعالى على كل بلدة ليس فيها منهم أحد، لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف، أكلوا العلق و لبسوا الخرق شعثا غيرا يراهم الناس فيظنون أن بهم داء و ما بهم داء و يقال: قد خولطوا و ذهب عقولهم و ما ذهب عقولهم و لا خولطوا و لكن نظر القوم بقلوبهم إلى أمر الله الذي أذهب عنهم الدنيا فهم عند أهل الدنيا

١- الكافي: ٢٧٠/٦، باب كراهية الأكل، الحديث ٤١؛ المحجة البيضاء: ١٥٠/٥، كتاب كسر الشهوتين.

٢- المحجة البيضاء: ١٤٧/٥، كتاب كسر الشهوتين.

٣- المحجة البيضاء: ١٤٧/٥، كتاب كسر الشهوتين.

يمشون بلا عقول، عقلوا حيث ذهبت عقول الناس، لهم الشرف في الدنيا ولهم الشرف في الآخرة، يا أسامة إذا رأيتهم في بلدة فاعلم أنهم أمان لأهل تلك البلدة، ولا يعذب الله تعالى قوما هم فيهم، الأرض بهم فرحة، و الجبار عنهم راض، اتّخذهم لنفسك إخوانا عسى أن تنجو بهم و إن استطعت أن يأتيك الموت و بطنك جائع و كبداك ظمآن فافعل فإنك تدرك بذلك شرف المنازل و تحلّ مع النبيين و يفرح بقدم روحك الملائكة و يصلّي عليك الجبار<sup>١</sup>.

١- المحجة البيضاء: ١٤٧/٥، كتاب كسر الشهوتين.

«قال داود عليه السلام: تَرَكَ لَفْمَةَ مَعَ الضَّرُورَةِ إِلَيْهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قِيَامِ  
عِشْرِينَ لَيْلَةً».

«قال النَّبِيُّ ﷺ: وَيَلُ لِلنَّاسِ مِنَ الْقَبَقِيِّينَ. فَقِيلَ: وَمَا هُمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟  
قال: الْبَطْنُ وَالْفَرْجُ.»

## آفات الشبع:

قال لقمان لابنه:

يا بني إذا امتلأت المعدة:

١- نامت الفكرة

٢- وخرست الحكمة

٣- وقعدت الأعضاء عن العبادة.

وقال بعض الأعاظم:

الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه إلا لمن أحب.

وقالوا أيضاً:

«لم ير الأكياس شيئاً أنفع من الجوع للدين والدنيا!».

وجاء في كلام العرفاء الالهيين:

يورث الشبع أضراراً ثلاث:

١- التكاسل عن العبادة

٢- لا يسلم من الوقوع في الحرام

٣- الجزع عند المصيبة وعدم الانصاف بالنسبة للحق.

ان هلاك الناس في حرصهم على الدنيا، وعلّة الحرص البطن والشهوة، وسبب غريزة الشهوة بلا شك هي البطن، والجوع يقضي على الحرص وشهوة البطن ويخمد الغريزة الجنسية؛ لأن الحرص وشهوة البطن والفرج باب من أبواب جهنم.

لذا ينبغي على الانسان القناعة بمقدار حاجته، والقناعة بما يحتاجه من سائر الشهوات، فيحضى في هذه الحالة بالحرية والاستغناء عن الناس، والراحة من الألم والتعب، والاستعداد للعبادة لنيل نعيم الآخرة، ويصبح مصداقاً للآية الكريمة:

﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾!

نعم، رجال الطريق الحق يربون أنفسهم بقلّة الاكل والجوع والقناعة في الأمور المادية، لستمروا في سلوك طريق العشق الالهي للقاء المحبوب ووصال المعشوق والوصول الى مقام القرب من حضرة الحق.

عارف المعارف الالهية، الخاكي خراساني، يقول:

(لا يتيسر للانسان نيل سعادة الدنيا والآخرة الا بتطبيقه لأمر ثلاثة، أولها الجوع الدائم وثانيها الجود وثالثها ذكر الحق، فبذكر الحق الدائم يصل الانسان الى اليقين في جميع مقاصد الحق، وبالجوع يصل الانسان الى فضائل الأخلاق

وحسن الصفات، وبدونه لا يمكن للإنسان الوصول إلى مقام القرب الإلهي والعشق حتى لو سعى لذلك مئات السنين، فعلى السالك في طريق أن يستمد من الجوع القوة على التحليق في فضاء العشق الإلهي والوصول إلى تجليات الفيض الإلهي، وكلما قل من كثرة الأكل كلما اقترب من فضائل الأخلاق.

\* \* \*

### أنواع الغذاء:

وفي الرواية السابقة قال الامام الصادق عليه السلام:

والمحمود من المأكول أربعة: ضرورة و عذة و فتوح و قوت،

١- فالضرورة للأصفياء.

٢- و العذة لقوام الأنقياء، ليكون مقدمة على أداء وظائفهم وتكاليفهم الإلهية.

٣- و الفتوح للمتوكلين.

٤- و القوت للمؤمنين.

### الشبع والجوع:

وليس شيء أضرّ لقلب المؤمن من كثرة الأكل و هي مورثة شيتين:

١- قسوة القلب

٢- هيجان الشهوة

و الجوع إدام للمؤمن، و غذاء للروح، و طعام للقلب، و صحّة للبدن.

قال رسول الله ﷺ: «ما ملأ ابن آدم وعاءَ أشْرَ من بطنه!».



و قال داود عليه السلام: «ترك لقمة مع الضرورة إليها أحب إليّ من قيام عشرين ليلة»<sup>١</sup>.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «المؤمن يأكل بمعنى واحدة و المنافق يأكل بسبعة أمعاء»<sup>٢</sup>.

وقال أيضاً:

«ويل للناس من القبّيين، فقيل: وما هما يا رسول الله، قال: الحلق والفرج»<sup>٣</sup>.

و قال عيسى ابن مريم عليه السلام: «ما أمرض القلب بأشدّ من الفسوة، و ما اعتلت نفس بأصعب من نغض الجوع و هما ذماما الطرد و الخذلان»<sup>٤</sup>.

فما أشدّ الخطر الناشئ من الابتعاد عن الحق تعالى، و ما مقدار السعادة و الكرامة الناشئة عن القرب منه تعالى، و الأول انما يحصل نتيجة الحرص و شهوة البطن، و الثاني يحصل عن القناعة و قلة الأكل.  
يقول عماد فقيه كرمانى:

(عليك استجداء فضل الله و رحمته و افعّل أي شئ الا معصية الله و مخالفته، و لا تقنع بسلطان الدنيا بل اسع للوصول الى سلطان السماء، و لا تتبع النفس لأنها تامرك بالسوء و اعتمد على عليه السلام و كرمه و لطفه، و لا تغتر بما تفضل به عليك و تب

١- المحجة البيضاء: ١٥١/٥، كتاب كسر الشهوتين.

٢- المحجة البيضاء: ١٥١/٥، كتاب كسر الشهوتين.

٣- المحجة البيضاء: ١٥١/٥، كتاب كسر الشهوتين.

٤- مستدرك الوسائل: ٢١٢/١٦، الباب ١.

الى الله من كل ذنب وغرور، وعليك باطاعة أمر الله والابتعاد عن معصيته لأنها  
توجب سخط الله وغضبه واطلب رضاه بالتوبة من كل ذنب ومعصية واسع لأن  
تنتقل للقاء الله بصحيفة بيضاء ولا تلقاء بصحيفة سوداء، ولا تحرم نفسك من كثر  
الخلوة في ظلمة الليل بذكر الله لأنه سيكون لك عوناً يوم اللقاء).

الباب

(٤٢)

في غض البصر



قال الصادق عليه السلام:

مَا اغْتَنَمَ أَحَدٌ بِعَيْنٍ مَا اغْتَنَمَ بِغَضِّ الْبَصْرِ، لِإِنَّ الْبَصَرَ لَا يُغَضُّ عَنْ  
مَحَارِمِ اللَّهِ، إِلَّا وَقَدْ سَبَقَ فِي قَلْبِهِ مُشَاهَدَةُ الْعَظْمَةِ وَالْجَلَالِ.

سئل أمير المؤمنين عليه السلام: بما ذا يُستعانُ على غَضِّ الْبَصْرِ؟ قال: بِالْخُمُودِ  
تَحْتَ سُلْطَانِ الْمُطَّلَعِ عَلَى سِرِّكَ.

وَالْعَيْنُ جَاسُوسُ الْقَلْبِ وَبَرِيدُ الْعَقْلِ، فَغَضُّ بَصْرِكَ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِدِينِكَ  
وَيَكْرَهُهُ قَلْبُكَ وَيُنْكِرُهُ عَقْلُكَ.

قال النبي صلى الله عليه وآله: غَضُّوا أَبْصَارَكُمْ تَرَوْا الْعَجَائِبَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «قُلْ  
لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ».

وقال عيسى بن مريم للحواريين: إِيَّاكُمْ وَالنَّظَرَ إِلَى الْمَخْدُورَاتِ فَإِنَّهَا  
بَذْرُ الشَّهْوَةِ وَبَابُ الْقَسْوَةِ.

وقال يحيى بن زكريا عليه السلام: الْمَوْتُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَظَرَةٍ بَغَيْرِ وَاجِبٍ.  
وقال عبد الله بن مسعود لرجل نظر إلى امرأة قد عاها في مرضها: لَوْ  
ذَهَبَتْ عَيْنَاكَ لَكَانَ خَيْرًا لَكَ مِنْ عِيَادَةِ مَرِيضِكَ.

وَلَا تَتَوَقَّرُ عَيْنٌ نَصِيبَهَا مِنْ نَظَرٍ إِلَى مُخْدُورٍ إِلَّا وَقَدْ انْعَقَدَ عُقْدَةٌ عَلَى  
قَلْبِهِ مِنَ الْمُتَيْبَةِ، وَلَا تَنْحَلُّ إِلَّا بِأَحْدَى الْحَالَتَيْنِ: إِمَّا بِبُكَاءِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ  
بِتَوْبَةٍ صَادِقَةٍ، وَإِمَّا بِأَخْذِ حَظِّهِ مِمَّا تَمَنَّى وَنَظَرَ إِلَيْهِ وَفَآخِذُ الْحَظِّ مِنْ غَيْرِ

تَوْبَةٌ مَّصِيرُهُ إِلَى النَّارِ، وَأَمَّا التَّائِبُ الْبَاكِي بِالْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ عَنْ ذَلِكَ  
فَمَا وَاهُ الْجَنَّةُ وَمُنْقَلَبُهُ إِلَى الرِّضْوَانِ.

\* \* \*

«مَا اغْتَنَّم أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا اغْتَنَّمَ بِغَضِّ الْبَصْرِ، لِإِنَّ الْبَصَرَ لَا يُغْضَى عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، إِلَّا وَقَدْ سَبَقَ فِي قَلْبِهِ مُشَاهَدَةُ الْعَظَمَةِ وَالْجَلَالِ».

يشير الامام الصادق عليه السلام في هذا الفصل الى اهم المسائل المرتبطة بالعين، ويحذر الانسان من حرمة النظر الى محارم الله والآثار المترتبة على غض البصر. نعم، غض البصر عن محارم الله والشهوات الشيطانية يفتح أبواب عليه السلام أمام قلب الانسان حتى يصل الى حالة البصيرة. وقد اعتبر القرآن المجيد التقوى منشأ البركات والفيوضات الالهية، ودعا عباد الله الى مراقبة جميع حركاتهم وسكناتهم.

وقد بين الامام في بداية الرواية:

«مَا اغْتَنَّمَ أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا اغْتَنَّمَ بِغَضِّ الْبَصْرِ، سِوَاءَ عَنِ الْمَحَارِمِ أَوْ عَنِ الْأَوْلَادِ حَسَنِي الْوَجْهِ وَالْمَظْهَرِ؛ لِأَنَّ النَّظَرَ إِلَيْهِمْ يَحْرُكُ الشَّهْوَةَ، أَوْ غَضَّ الْبَصْرِ عَنِ مَالِ النَّاسِ الَّذِي لَمْ يَحْظَ بِهِ الْإِنْسَانُ، لِإِنَّ الْبَصَرَ لَا يُغْضَى عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، إِلَّا وَقَدْ سَبَقَ فِي قَلْبِهِ مُشَاهَدَةُ الْعَظَمَةِ وَالْجَلَالِ».

فتصوروا الحال التي ستعترى الانسان الذي يغض بصره عن محارم الله

وينشغل بمشاهدة أنوار عظمة الله وجلاله، وكيف سيتحول وجوده الى وجود يمتلأ بالنور الالهي.

وقبل البدء بشرح الحديث، ينبغي التطرق باختصار الى مقالة في أهم الكتب العلمية حول تركيب العين، حتى ندرك أولاً عظمة هذا العضو، وثانياً نتعرف على الأحكام والتوصيات الاسلامية التي تدعوا للمحافظة على هذا العضو من النظر الى المحرمات، ونتعرف على الآثار التي يكتسبها الانسان نتيجة لالتزامه بهذه الأحكام.

### العين مظهر لعظمة قدرة الله:

ينبغي الاطلاع على المكونات الأساسية لعين الانسان ودراستها بدقة، حيث تتكون من الأجزاء التالية: تجويف العين، كرة العين، العضلات الخارجية للعين، الجفون، الملتحمة والجهاز الدمعي.

تجويف العين: وهو عبارة عن تجويف مخروطي الشكل يحاط بعظام الجمجمة والوجه، أما العظام التي تؤلف جدار تجويف العين فهي: عظم الجبهة، الفك العلوي، عظم الوجنة، العظم الاسفيني، عظم المصفاة، العظم الدمعي وعظم الحنك، ويتميز جدار تجويف العين بالرقعة الشديدة مما يعرضه للانكسار بسهولة. كرة العين: ويتم المحافظة عليها من الاعلى بواسطة الطبقة العلوية لتجويف العين والحاجب ومن الداخل بواسطة قاعدة الأنف.

وتغطي ثلاثة أرباع المنطقة الخلفية لكرة العين بواسطة كبسولة تنون، كما يوجد فيها عدد من الألياف العضلية المستقيمة في غطاء تجويف العين منها عضلة مولر، التي ترتبط بواسطة ألياف الصدر والظهر للجهاز العصبي، ويمكن



أن يكون عملها لمنع انسحاب كرة العين نحو الخلف.

في سندروم هورنر الذي يتعرض فيه عصب عضلة مولر للاصابة والضرر تسحب كرة العين الى داخل تجويف العين بواسطة العضلات الخارجية لكرة العين. العضلات الخارجية لكرة العين: تبدأ العضلات الخارجية لكرة العين من قمة تجويف العين وتلتصق على كرة العين (طبقة الصلبة)، وتغطي هذه العضلات بعدد من الأغشية تحتوي على زوائد تتصل بجدار تجويف العين.

وتشمل على أربعة عضلات في الجهة اليمنى هي: العلوية، السفلية، الداخلية والخارجية، اضافة الى عضلتين مائلتين هما العضلة المائلة العلوية والمائلة السفلية، حيث تسيطر هذه العضلات على حركات العين بالاتجاهات المختلفة، ويوجد عصب يربط بين العضلات المتقابلة والمتخالفة وأحياناً تلاحظ حركات بين اثنتين أو أكثر من العضلات.

وتعمل العضلات اليمنى لكرة العين الى تحريك العين الى الجهات حسب اسمها. أما العضلة المائلة العلوية فهي تمر من بين حلقة غضروفية في الزاوية الداخلية العلوية لتجويف العين حتى تلتصق بالنصف الخلفي لكرة العين، وهذا الالتصاق لغرض سحبها الذي يؤدي الى انحناء كرة العين نحو الداخل، وبالنتيجة تتجه العين نحو الأسفل والخارج.

العضلة المائلة السفلية، توجه كرة العين نحو الأعلى والخارج فتديرها نحو الخارج. وتعمل العضلتان المائلة العلوية واليمنى السفلية مع بعضهما، كذلك تعمل العضلتان المائلة السفلية واليمنى العلوية مع بعضهما.

العضلة الرافعة للجفن العلوي تبدأ من خلف تجويف العين حتى تصل الى الأمام وتلتصق على الجفن العلوي، وتعمل هذه العضلة على تحريك الجفن

العلوي نحو الأعلى والخلف.

الجفون: هي أغشية متحركة تقع أمام كرة العين ويطلق على الفراغ الفاصل بينهما الفاصل الجفني، ويتصل الجفن العلوي والسفلي مع بعضهما في الزوايا الخارجية والداخلية للعين.

وتتكون صفحة الغشاء من مجموعة أنسجة متصلة ومتراكمة مع بعضها لتشكيل الجفن، وتوجد فيها غدد سباسة المعروفة باسم غدد ميوميوس.

الرموش: هي شعيرات سوداء في حافة الجفون، وتوجد غدد سباسة مع الجفون في حين توجد الغدد العرقية في الجلد بين الرموش.

الملتحمة: غشاء مخاطي يغطي سطح الجفون ويميل أيضاً على قسم من كرة العين.

وهي غشاء شفاف رقيق يتكون من نسيج صلب على شكل ألياف متراكمة رقيقة، وتحتوي على خلايا كأسية يترشح منها مخاط ودموع، وتدرجياً بعد أن يصل النسيج الى الجفن يتحول الى نسيج مترابك.

الأغشية اللبناوية في قاطع مخصوص تتحد مع شبكة ضخمة من النسيج المترابك المحتوي على ألياف من مادة الكولاجين وألياف ارتجاعية.

ويطلق على صابة الملتحمة وتعرضها للالتهاب أسم ورم الملتحمة.

الجهاز الدمعي: ويشمل الغدة الدمعية وقنواتها، وتشبه الغدة الدمعية في شكلها وحجمها ثمرة اللوز.

ويترشح عن الغدة الدمعية الدموع التي تجري في القنوات الدمعية حتى تصب في ملتحمة العين.

وتنتقل الدموع بشكل طبيعي في القنوات الدمعية التي تبدأ من حافة الجفون

العلوية والسفلية قرب الزاوية الداخلية حتى تخرج من العين، وتساعد الدموع على تلطيف القرنية وجعلها رقيقة ونظيفة ورطبة.

وتتكون الطبقة الدمعية الرقيقة من ثلاث طبقات، الطبقة الداخلية التي تتكون بواسطة غدد الغشاء المخاطي للمتحمة، والطبقة الوسطى وتتألف بشكل رئيسي من الماء وتتكون بواسطة الغدد الدمعية، والطبقة الخارجية الدهنية وتتكون بواسطة غدد سباسه وحافات الجفون.

أغشية كرة العين: يتألف جدار كرة العين من ثلاثة أغشية هي: الصلبة، المشيمية والشبكية.

الصلبة: تتكون من نسيج ضام قوي غير شفاف لحماية العين ويحتوي هذا النسيج على مجموعة من الأغشية الكولوجينية والليفية المفترشة بين الأغشية الأخرى والأغشية الارتجاجية.

وتكون نسبة الماء فيها أكثر من القرنية، وتمثل الطبقة الغشاء الخارجي للكرة العين لحمايتها وتثبيتها.

وتتحول الصلبة في الأمام من نسيج ضام قوي الى نسيج شفاف يمثل القرنية التي يتم المحافظة على رطوبتها بواسطة الدموع، وكمية الماء فيها أقل من الصلبة، ويجب أن تكون القرنية شفافة حتى تسمح بعبور الضوء من خلالها حتى يصل الى المستقبلات الضوئية داخل كرة العين.

المشيمية: وهي الغشاء الأوسط لكرة العين وتحتوي على أوعية دموية كثيرة وتقوم بتوصيل الغذاء ونقله الى شبكية العين.

ثم يحصل تغيير في شكلها حتى يتكون الجسم الهدبي الذي يمثل القسم السميك من المشيمية ويتألف من مجموعة من العضلات تتحكم بتنظيم عمل

عدسة العين لرؤية المسافات المختلفة حسب بعد الجسم عن العين.  
القزحية: وهي الجزء الملون من العين، ويوجد في وسط القزحية دائرة  
سواداء يطلق عليها أسم الحدقة.  
تتألف القزحية من مجموعتين من العضلات هي العضلات الدائرية المعروفة  
باسم اسفنكتر، والعضلات الشعاعية المعروفة بالعضلات الموسعة للحدقة.  
ويتلخص عمل القزحية بتنظيم مقدار الضوء الداخل الى العين، وتؤلف عضلة  
الجسم الهدبي والعضلات المقلصة والموسعة العضلات الداخلية لكرة العين.  
فعندما يدخل الضوء الشديد الى القزحية أو يقترب الانسان من جسم معين،  
فاذا تقلصت هذه العضلات يقل تحدب العين أما إذا ارتخت يزيد تحدب  
العدسة وبذلك يتركز الضوء على الشبكية من أجل الإبصار على حسب بعد  
الجسم عن العين.  
وتوجد في محيط القرنية عند التقاطع مع السطح الأمامي للحدقة تجويف  
يسمى قناة شليم التي تساعد على تخلية السائل المخاطي لكرة العين من الغرفة  
الخلفية وإرساله إلى الجسم من خلال الشريان في مجرى الدم.  
أما عدسية العين فتعمل على انكسار أشعة الضوء لتنظيم الصورة على  
الشبكية، وعندما يتقدم الانسان في السن تضعف قابلية العدسية على انكسار  
الضوء، وتتألف العدسية من مجموعة من البروتينات الشفافة التي تستمر طيلة  
عمر الانسان.  
الشبكية: وتمثل الطبقة الداخلية لكرة العين وتتكون من قسمين، الخارجي  
يحتوي على أنسجة تلتصق بغشاء المشيمة، والداخلي يحتوي على الألياف  
العصبية البصرية.

ويوجد قرب مركز الشبكية داخل كرة العين بقعة صفراء بيضوية اللون تسمى المقلة، ويوجد بالقرب من مركزها نتيجة لشفافية الشبكية ورقتها بقعة صغيرة تسمى بالنقرة التي تحتوي على أكبر تركيز للخلايا المخروطية في العين والمسؤولة عن الرؤية المركزية.

توجد في الشبكية عشرة طبقات سنذكر أسماءها حتى تتضح طبيعة تركيبها ونبين العلاقة بين العناصر البصرية والخلايا البصرية المحافظة.

يطلق الخلايا العصبية البصرية فيها اسم خلايا مولر، حيث تستقبل الشبكية الضوء الواقع عليها وتحوله الى اشارات كهربائية تنتقل الى الألياف العصبية البصرية التي تتجمع في القرص البصري. كما ينبغي أن نعرف أن أشعة الضوء تخترق جميع طبقات الشبكية حتى تصل الى المستقبلات الضوئية الحساسة.

#### طبقات الشبكية:

طبقات الشبكية العشرة هي:

- ١- الطبقة الطلائية الصبغية التي تلتصق بالمشيمية.
- ٢- طبقة العصبيات والمخاريط للمستقبلات الضوئية.
- ٣- الغشاء المحدد الخارجي الذي يتكون من زوائد منخلية الشكل تعبر من خلالها ألياف مولر وتتم بواسطتها المحافظة عليها.
- ٤- الطبقة النووية الخارجية: النويات الخارجة من العصبيات والمخاريط
- ٥- الطبقة الضفيرية الخارجية:
- ٦- الطبقة النووية الداخلية: نواة الخلايا العصبية البصرية ونواة خلايا مولر والشرايين الدموية.

٧- الطبقة الضفيرية الداخلية:

٨- طبقة الخلايا العقدية:

٩- طبقة ألياف العصب البصري: الخلايا العقدية بدون غلاف ميلين وبدون غلاف شوآن أو نورولم، الأوعية الدموية والبصرية.

١٠- الغشاء المحدد الداخلي: يوجد بالقرب من الجسم الزجاجي ويمثل الألياف المتصلة بخلايا مولر.

وتعمل الشبكية على تحويل الضوء الى اشارات كهربائية تنتقل عن طريق الألياف العصبية البصرية.

كان هذا جزءاً بسيطاً جداً من عظمة خلق العين وتركيبها بارادة حضرة الحق تعالى، فان أردنا شكر الله على عظمة نعمه التي من بها علينا، يجب العمل بأوامره ونواهيه فيما يتعلق بمسألة العين، وذلك بالنظر الى كل ما سمح به لنا على اعتباره مظراً من مظاهر عظمته، وتجنب النظر الى كل ما نهانا عنه، وهذا الالتزام بالأوامر والنواهي الالهية في النظر سيجعلنا نرتقي مراتب الكمال وننعم بوصال القرب الالهي، ويعمل على نقاء باطننا وتصفية روحنا ويجعل قلوبنا أهلاً للنظر الى عظمته وجلاله، أما اذا تجاوزنا حدود المحرمات الالهية ونظرنا الى ما لا ينبغي النظر اليه نكون قد حكمنا على أنفسنا بالهلاك وسوء العاقبة وخسران الدنيا والآخرة.

مسألة النظر في القرآن:

الظاهر ان النظر يشير الى نوع من التفكير والفكر، لكن ينبغي القول أن: الفكر لا يخلو من ارتباط بالحواس خاصة العين والأذن، فالانسان ينظر أولاً الى الأشياء ثم يفكر فيما رآه، ويسمع ثم يفكر فيما سمعه. وخلاصة الأمر أن التفكير يحتاج

في كثير من الأمور وفي أغلب الأوقات الى ما يحركه وغالباً ما يكون هذا المحرك هو مشاهدات العين واكتشافاتها، وعلى ضوء ما تقدم نبين مسألة النظر في آيات القرآن المجيد، فكتاب الله يدعو الناس للنظر في ملكوت السماوات والأرض وعاقبة الماضيين ونعم الله حتى يتمكنوا من الوصول الى الحقائق الملكوتية وكسب آلاف الدروس والعبر من مظاهر عالم الوجود لتكون عوناً لهم في سيرهم نحو الكمال.

ولتذكير الناس بصاحب العالم وخالقه والابتعاد عن الغفلة والسعي لآعمار حياتهم الاخروية، يقول الله تعالى في القرآن المجيد في سورة الأعراف:

﴿أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>١</sup>.

الملكوت في عرف القرآن وكما تشير له الآية الاخيرة من سورة يس<sup>١</sup>، هو عبارة عن باطن وطرف كل شئ يتجه نحو الله تعالى، والنظر الى هذا الطرف يلازم اليقين، كما يظهر هذا التلازم بوضوح في الآية الكريمة:

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾<sup>٢</sup>.

اذن غرض الآية هو توبيخ المشركين والكفار على اعراضهم وابتعادهم عن

١- الأعراف ٧: ١٨٥.

٢- ﴿فَسَبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، يس ٣٦: ٨٣.

٣- الأنعام ٦: ٧٥.

الوجه الملكوتي للأشياء، ولماذا نسوا ذلك ولماذا لم ينظروا فيه حتى يدركوا حقانية دعوة رسول الله ﷺ.

وخلاصة معنى هذه الآية، لماذا لم ينظروا ويتدبروا في خلق السموات والأرض وجميع مخلوقات الله، لذا كان عليهم النظر الى خلق الله لكن ليس من الجهة تقابل الأشياء وتؤدي بهم الى كشف خواصها الطبيعية، بل من الجهة التي تقابل الله تعالى ويؤدي تفكير الانسان بها الى ادراك أنها ليست وجودات مستقلة بحد ذاتها؛ بل متعلقة بالغير ومحتاجة الى الرب الذي يدير أمور كل شئ وهو رب العالمين. ويصبح معنى الجزء التالي: ألم يفكروا باحتمال اقتراب أجلهم لعلهم يتوقفوا عن الاستمرار في غيهم وضلالهم، لأن نسيان الموت هو الذي يدفع الناس عادة نحو الانشغال بملذات الدنيا والابتعاد عن السعي لآعمار الآخرة، حيث لا يعلم الانسان الى ماسيؤل اليه مصيره بعد الموت، و لو كان يدرك جهله بموعد أجله ولعله اقترب منه جداً، لدفعه ذلك حتماً للنهوض من نوم غفلته، والابتعاد عن الانغماس في الشهوات والملذات والتمسك بطول الامل والتمنيات طويلة الأمد.

وكان الأولياء والعاشقون للحق تعالى ينظرون ويتدبرون في ملكوت الأشياء ويتذكرون الموت دائماً، لذا كانوا يعيشون حياة الهية وفي جو يختلف عما كان يعيشه الآخرون، وكانوا يسيرون في غمرة العشق للوصول الى القرب الالهي، ولم يشعروا بغم أو حزن سوى من ألم فراق المحبوب، ولو لم يظهر في الحياة لما كان للانسانية والحياة الطبيعية أي معنى، اذ كان وجودهم ملئ بالدروس والعبر والموعظة والنصيحة للآخرين.

وكانوا دائماً يحذرون بني آدم من خطر الانغماس في الماديات وملذات



الدنيا لأنه يؤدي الى هلاكهم وشقائهم.

يقول الميرزا محمد تقي حجة الاسلام:

(عليكم التفكير الدائم بالموت والفناء وعدم التفكير بالماديات، فمادت حاضراً في الوجود ستبقى دائماً محتاجاً للطف الله ورحمته لذا عليك التفكير بالفناء والموت لتتزين بفضائل الأخلاق، وتحرك نحو الحقيقة قدر المستطاع بتطهير النفس والابتعاد عن المعصية وعدم النظر للمحارم، وطهر قلبك بالنظر في الغيب والشهود وابتعد عن الأنا وحب النفس، واطلب المعرفة حتى تبعد عن نفس ظلام الجهل وتنقذ نفسك من الغرق في بحر الضلال، وتحلى بالقناعة حتى تحصن نفسك من منة الآخرين وتحول الى درويش في محبة الله، فالحرص على الدنيا يزيد من الغم والحزن فابتعد عن الحرص حتى لا تصبح أسيراً للحزن).

النظر الى نعم الله:

يريد القرآن المجيد من خلال دعوة الناس الى النظر في نعم الله والتدبر فيها أن يفتح باب التفكير ويوجه القلوب نحو حضرة الحق تعالى محبوب المحبين ومعشوق العاشقين والمدير الحكيم لعالم الوجود، لهذا يقول:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾!

نمو النباتات ونضوجها:

تشير بداية الآية الشريفة الى واحدة من أهم النعم الألهية والتي يمكن اعتبارها أساساً للنعم الآخري، وهي نمو النباتات والأشجار ونضوجها وثمرها، فيقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾.

وانما قال من السماء؛ لأنها أصل جميع مصادر المياه على الأرض مثل الينابيع والأنهار والقنوات والآبار العميقة حيث تتكون جميعها من مياه الأمطار؛ لذا نجد قلة الامطار تؤثر في كل شيء، ولو استمر الجفاف وقلة الأمطار فانه سيؤدي الى جفاف كل شيء.

ثم يشير الى آثار نزول المطر، فيقول تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾. وفي تفسير ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ذكروا احتمالين:

الاحتمال الأول:

المراد منه جميع أنواع وأصناف النباتات التي تنمو بواسطة مصدر واحد للسقي وتنبت في أرض واحدة، وهذا من عجائب خلق الله، اذ كيف يمكن لجميع هذه النباتات والأشجار المختلفة في خواصها وصفاتها والمتضادة أحياناً، أن تنمو في أرض واحدة وتسقى من مصدر واحد للماء.

الاحتمال الثاني:

يراد منه النباتات التي يحتاجها الجميع، أي النباتات التي تتغذى عليها وتستفاد منها الطيور والأنعام والحشرات وحيوانات البحر والصحراء، والعجيب ان الله خلق غذاءاً يحتاجه الجميع من أرض واحدة ومصدر واحد للماء، أي مثلاً نصنع في المطبخ من مادة معينة آلاف الأنواع من الغذاء ولمختلف الأذواق.

والأعجب من ذلك ان نباتات الصحراء والنباتات البرية الاخرى ليست هي الوحيدة التي تنمو ببركة مياه الأمطار؛ بل حتى النباتات الصغيرة جداً بين أمواج البحر والتي تعد غذاءً أساسياً للأسماك، هي الأخرى تنمو بواسطة ضوء الشمس وقطرات المطر.

ثم تشرح الآية هذه الجملة وتذكر موارد مهمة عن النباتات والأشجار التي تنمو على ماء المطر، فتذكر أولاً: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾. أي أخرجنا بواسطة من الأرض ساقاً خضراء للنباتات تسر الناظرين، ومنها أخرجنا حبيبات متراكبة مع بعضها كما في سنابل القمح والذرة. وبواسطة أخرجنا من طلع النخل بعد تشققها مجموعة من الأغصان الرفيعة والجميلة التي تحمل ثمار التمر، فتدلى الى الأسفل بسبب ثقل هذه الثمار التي تحملها.

كذلك أخرجنا منه: ﴿جَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾، ثم تشير الآية الى احدى عجائب الخلق وهي كون بعض هذه الأشجار ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾. وبالنظر للآية ١٦٥ من نفس السورة<sup>١</sup> التي ذكر فيها وصف المتشابه وغير المتشابه للزيتون والرمان، نستنتج أن الوصف في الآية يشير أيضاً الى هاتين الشجرتين.

فهاتان الشجرتان تشابهان كثيراً في الشكل الخارجي وفي تركيب الأغصان والاوراق، لكنهما يختلفان تماماً في ثمارهما من جهة الطعم والخاصية، فإلحدهما مادة دهنية قوية ومؤثرة، والأخرى ذات مادة حامضية أو سكرية

١- ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

تختلف تماما عن الاخرى. وقد يحدث أحيانا أن تنمو هاتان الشجرتان في أرض واحدة وتسقيان من مصدر واحد وتنضجان في ظروف متشابهة؛ أي تختلفان عن بعضهما كثيرا وتشابهان كثيرا.

ثم تتطرق الآية الى ثمار الأشجار من بين جميع أجزاء الشجرة، فتقول:

﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

وعند مطالعة ما جاء في علم النبات عن كيفية تكون الثمار ونضجها ندرك الأهمية التي أولاها القرآن الكريم للثمار؛ لأن تكون الثمار يشبه تماما ولادة الطفل في عالم الحيوان.

حيث تنتقل نطفة الذكر بوسائل خاصة (مثل الرياح أو الحشرات وأمثالها) من أكياس خاصة حتى تقع على الجزء الأنثوي للنبات، فتحصل عملية اللقاح ويندمجان مع بعضهما فتتكون البيضة والبذرة الأولى ثم تحيطها أنواع المواد الغذائية بما يشبه اللحم في الحيوان.

النظر الى حبيبات الرمان:

تفاوت هذه المادة الغذائية تفاوتاً كبيراً من جهة التركيب ومن جهة الطعم والخواص الغذائية والطبية.

فأحيانا بعض الثمار كالرمان والعنب تحتوي على مئات الحبيبات التي تعد كل واحدة منها جنيناً وبذرة مستقلة لنمو الاشجار والنباتات، وتتميز بتعقيد تركيبها وتداخلها مع بعضها البعض.

ولو فتحنا رمانة واحدة وأخرجنا منها حبة صغيرة ثم وضعناها مقابل أشعة

الشمس أو الضوء وأمعنا النظر فيها، لوجدنا أنها تتكون من أقسام صغيرة جداً متراكبة مع بعضها البعض وكأنها قناني صغيرة جداً ممتلئة بماء الرمان ومنظمة الواحدة الى جانب الأخرى.

ويمكن أن تتضمن حبة الرمان الواحدة المئات من هذه القناني الصغيرة جداً، وتحاط أطرافها بقشر خفيف هو نفس القشر الشفاف الذي يحيط بحبة الرمان، وحتى يكتمل هذا التركيب تجمع هذه الحبيبات الصغيرة مع بعضها وفق شكل هندسي خاص ثم تحاط أطرافها بقشر أبيض اللون وسميك نسبياً، ثم تحاط من الخارج بقشر سميك وقوي يحتوي على سائل خاص من الجهتين أحيط بجمعها، حتى يمنع من نفوذ الهواء والجراثيم ويحافظ عليها من الضربات المختلفة، ويقلل كثيراً من تبخير كمية الماء في الحبيبات، وهذا التركيب الدقيق لا يختص بحبة الرمان فقط؛ بل يوجد أيضاً في ثمار أخرى كالبرتقال والليمون، لكنه أدق وأجمل في حبيبات الرمان والعنب.

والظاهر أن البشر قد استفاد من هذا التركيب الدقيق في التوصل الى كيفية نقل المائعات من نقطة الى نقطة أخرى، حيث رتبوا في البداية مجموعة من القناني الصغيرة تفصل بينها مادة شفافة ناعمة ثم توضع في صندوق صغير من الكارتون، ثم تجمع هذه الصناديق الصغيرة وتنظم في صندوق أكبر وهكذا حتى تتحول بمجموعها الى حمل كبير ينقل الى المقصد.

والأعجب في هذا الموضوع والأجمل هو كيفية تنظيم وتركيب حبيبات الرمان في الغلاف الداخلي بحيث تحصل منه على حصتها من الماء والمواد الغذائية، وهذا مانشاهده بالعين المجردة فقط، فلو دققنا بتركيب هذه الحبيبات تحت المجهر لشاهدنا أشياء عجيبة جداً تبين دقة وجمال هذا التركيب، فكيف

يمكن لشخص ينظر الى هذه الثمرة بعين الباحث عن الحقيقة ويعتقد أن خالقها لا يحضى بشئ من العلم!؟

وما كانت استفادة القرآن من جملة «انظروا» للأمر بالتدقيق في هذا الجزء من النبات الأ للتنبيه على هذه الحقائق.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى تحتاج الثمرة لطبي مراحل عديدة بعد ظهورها حتى تصل الى مرحلة النضوج، وهذه المراحل جديرة بالملاحظة أيضاً؛ لأن المختبرات الموجودة في داخل الثمرة مشغولة دائماً وتعمل باستمرار على تغيير تركيبها الكيميائي، حتى تصل الى المرحلة الأخيرة فتقوم بتثبيت تركيبها الكيميائي، وكل مرحلة من هذه المراحل في حد ذاتها دليل واضح على عظمة الله وقدرته.

لكن ينبغي الانتباه ان القرآن الكريم يبين أن أهل الايمان الباحثين عن الحقيقة الذين ينظرون بعين الحق هم الذين ينظرون لهذه المسائل ويدققون فيها، اذ لا يمكن رؤية أي من هذه الحقائق بعين اللجاج والعداوة أو اللامبالاة والتساهل. فطريق الأولياء وعاشقي الحق ومنهجهم، يكمن في التمسك بالأنبياء والارتواء من عين الوحي والنظر بعين الحقيقة الى الموجودات في هذا العالم للوصول الى مقام القرب الالهي.

فيحصل القلب في هذا المسير على الصفاء والنقاء، وتتهذب النفس، وتتصل الروح بعالم القدس، وتتناغم حركات الأعضاء والجوارح مع مشاعر عشق المحبوب، مما يؤدي الى كسب رضا المعشوق، فتفتح أمامهم جميع أبواب السعادة.

النظر الى نطفة الانسان:

لتنبيه الانسان الى وجود الحق تعالى وقدرته الأزلية، يأمر القرآن الكريم

الانسان بالنظر والتدبر في النطفة التي خلق منها وكيف خلق، حتى يدرك مدى ضعف وحقارة المادة التي اعتمدت عليها عملية خلقه المتضمنة لكل أنواع الكمال والقابليات؟

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ \* خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ \* يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾<sup>١</sup>.

وتدل كلمة دافق على وجود مادة متدفقة داخل هذه النطفة، بحيث يعد استعمالها في القرآن الكريم من المعجزات المهمة جداً.

نعم، هذه المادة الضعيفة المهينة عندما تنمو وتتطور في الجانبين المادي والمعنوي بما يتلائم وينسجم مع القواعد الالهية، تصبح مصدراً لا ينضب من الكرامات والصفات والحقائق، ونوراً يملأ ظلمة الحياة المادية ويتألق فيها الى الأبد!

\* \* \*

النظر الى الماضين:

يدعو القرآن الكريم الانسان بشدة للسياحة والسفر في البلاد المختلفة لاكتساب الدروس والعبر من حياة الماضيين وآثارهم وماتركوه عنهم من آثار وخرابات، حتى يتذكروا حال الشعوب والأقوام والدول القديمة وقدرتهم السياسية والمالية والعسكرية وما آلت اليه أوضاعهم بعد طول مجد وعز في الماضي، وما كانوا عليه من تكذيب لآيات الحق والحقائق الالهية واسراف وتبذير وظلم وفساد وطغيان، لأنهم لم يتصوروا أبداً بعد كل هذا الظلم والطغيان سيقعون يوماً ما بين يدي مالك الارض والسماء، ليحل يوم الانتقام منهم وترغم

أنوفهم بتراب المذلة عندما يتعرضون لعذاب الله الشديد!!

نعم، ينبغي التفكير والتدبر بأحوال وأوضاع الماضين التي ذكرت في كتب التاريخ وخاصة ما جاء في الكتب الدينية، حتى يحصنوا أنفسهم من الوقوع في مثل أخلاق أولئك الفاسدين وسلوكهم وحالاتهم، وبالتالي يتجنبوا التعرض للعذاب والانتقام الالهي الشديد.

قال تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾<sup>١</sup>.

قال تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>٢</sup>.

قال تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾<sup>٣</sup>.

قال تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ﴾<sup>٤</sup>.

قال تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾<sup>٥</sup>.

وبعد أن تعرفتم على مسألة خلق العين في القرآن الكريم وتركيبها والوظائف الايجابية التي يقوم بها هذا العضو المهم والحساس، نتطرق الآن الى بحث وظائف هذا العضو المهم في الروايات والأخبار.

### العين في الروايات:

فيما يتعلق بالعين، توجد روايات مهمة منقولة عن أمير المؤمنين عليه السلام

١- الأعراف ٧: ٨٤

٢- الأعراف ٧: ١٠٣.

٣- الرزخرف ٤٣: ٢٥.

٤- الصافات ٣٧: ٧٣.

٥- يونس ١٠: ٣٩.



تحمل المضامين التالية:

«الْعُيُونُ مَصَانِدُ الشَّيْطَانِ»<sup>١</sup>.

«الْعَيْنُ رَائِدُ الْفِتَنِ»<sup>٢</sup>.

«الْقَلْبُ مَصْحَفُ الْبَصَرِ»<sup>٣</sup>.

«مَنْ غَضَّ طَرْفَهُ أَرَا حَ قَلْبَهُ»<sup>٤</sup>.

«مَنْ غَضَّ طَرْفَهُ قَلَّ أَسْفُهُ وَأَمِنَ تَلَفَهُ»<sup>٥</sup>.

«نِعْمَ صَارِفُ الشَّهَوَاتِ غَضُّ الْأَبْصَارِ»<sup>٦</sup>.

«مَنْ عَقَّتْ أَطْرَافَهُ حَسَنْتْ أَوْصَافُهُ»<sup>٧</sup>.

ونقلت روايات مهمة في هذا المجال عن نبي الاسلام ﷺ والأئمة

الطاهرين عليهم السلام تحمل المضامين التالية:

«غَضُّوا أَبْصَارَكُمْ تَرَوْنَ الْعَجَائِبَ»<sup>٨</sup>.

١- غرر الحكم: ٢٦٠، الحديث ٥٥٦٠؛ مستدرك الوسائل: ٢٧١/١٤، الباب ٨١، الحديث ١٦٦٨٧.

٢- غرر الحكم: ٦٠، الحديث ٦٦٧.

٣- نهج البلاغة: الحكمة ٤٠٩؛ بحار الأنوار: ٣٢٨/٦٨، الباب ٨٠، الحديث ٢٥.

٤- غرر الحكم: ٢٦٠، الحديث ٥٥٥٥؛ مستدرك الوسائل: ٢٧١/١٤، الباب ٨١، الحديث ١٦٦٨٧.

٥- غرر الحكم: ٢٦٠، الحديث ٥٥٥٧؛ مستدرك الوسائل: ٢٧١/١٤، الباب ٨١، الحديث ١٦٦٨٧.

٦- غرر الحكم: ٢٦٠، الحديث ٥٥٥٦.

٧- غرر الحكم: ٢٥٦، الحديث ٥٤٢٨.

٨- مصباح الشريعة: ٩، الباب ٣؛ بحار الأنوار: ١٠١، ١٠٤، الباب ٣٤، الحديث ٥٢.

«إِيَّاكُمْ وَفُضُولَ النَّظْرِ فَإِنَّهُ يَبْذُرُ الْهَوَى وَيُولِدُ الْعَقْلَةَ»<sup>١</sup>.  
 «لَيْسَ فِي الْبَدَنِ شَيْءٌ أَقْلَ شُكْرًا مِنَ الْعَيْنِ، فَلَا تُعْطَوْهَا سُؤْلِهَا  
 فَتَشْغَلَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ»<sup>٢</sup>.  
 «عَمَى الْبَصَرَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ النَّظْرِ»<sup>٣</sup>.  
 «إِذَا أَبْصَرْتَ عَيْنَ الشَّهْوَةِ عَمَى الْقَلْبُ عَنِ الْعَاقِبَةِ»<sup>٤</sup>.

الامام صادق عليه السلام يقول لعبد الله بن جندب:

قال عيسى بن مريم لأنصاره:

«إِيَّاكُمْ وَالنَّظْرَةَ فَإِنَّهَا تَزْرَعُ فِي الْقَلْبِ الشَّهْوَةَ وَكَفَى بِهَا  
 لِصَاحِبِهَا فِتْنَةً، طُوبَى لِمَنْ جَعَلَ بَصْرَهُ فِي قَلْبِهِ وَلَمْ يُجْعَلْ  
 بَصْرُهُ فِي عَيْنِهِ»<sup>٥</sup>.  
 «مَنْ أَطْلَقَ نَاطِرَهُ أَتَعَبَ خَاطِرَهُ (حَاضِرَهُ) مَنْ تَتَابَعَتْ لِحَظَاتُهُ  
 دَامَتْ حَسْرَاتُهُ»<sup>٦</sup>.  
 «كُلُّ قَوْلٍ لَيْسَ لِلَّهِ فِيهِ ذِكْرٌ فَلَغَوْ، وَكُلُّ صَمْتٍ لَيْسَ فِيهِ فِكْرٌ  
 فَسَهْوٌ، وَكُلُّ نَظَرٍ لَيْسَ فِيهِ اعْتِبَارٌ فَلَهْوٌ»<sup>٧</sup>.

١- عدة الداعي: ٣١٣؛ بحار الأنوار: ١٩٩/٦٩، الباب ١٠٥، الحديث ٢٩.

٢- الخصال: ٦٢٨/٢، الحديث ١٠؛ بحار الأنوار: ٣٥/١٠١، الباب ٣٤، الحديث ٢٠.

٣- غرر الحكم: ٢٦٠، الحديث ٥٥٥٠؛ بحار الأنوار: ٢٨٦/٧٤، الباب ١٤، الحديث ١.

٤- غرر الحكم: ٣٠٥، الحديث ٦٩٧٨.

٥- تحف العقول: ٣٠٥؛ بحار الأنوار: ٢٨٣/٧٥، باب ٢٤، حديث ١.

٦- جامع الأخبار: ٩٣، الفصل ٥١؛ بحار الأنوار: ٣٨/١٠١، الباب ٣٤، الحديث ٣٣.

٧- الارشاد: ٢٩٧/١؛ بحار الأنوار: ٤٢١/٧٤، الباب ١٥، الحديث ٤٠.

«لِكُلِّ عَضْوٍ مِنْ ابْنِ آدَمَ حَظٌّ مِنَ الزَّنا، فَالْعَيْنُ زِنَاهُ النَّظْرُ»<sup>١</sup>.  
 «مَنْ مَلَ عَيْنَهُ مِنْ حَرَامٍ مَلَ اللَّهُ عَيْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ النَّارِ إِلَّا  
 أَنْ يَتُوبَ وَيَرْجِعَ»<sup>٢</sup>.

«اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَى امْرَأَةٍ ذَاتِ بَعْلِ مَلَاتْ عَيْنَهَا  
 مِنْ غَيْرِ زَوْجِهَا أَوْ غَيْرِ ذِي مَحْرَمٍ مِنْهَا»<sup>٣</sup>.  
 «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْظُرُ امْرَأَةً أَوْ لَ رَمَقَةً ثُمَّ يَغْضُ بَصَرَهُ إِلَّا أَحْدَثَ  
 اللَّهُ تَعَالَى لَهُ عِبَادَةً يَجِدُ حَلَاوَتَهَا فِي قَلْبِهِ»<sup>٤</sup>.

«النَّظْرُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِيْهَامِ إِبْلِيسَ فَمَنْ تَرَكَهَا خَوْفًا مِنَ اللَّهِ  
 أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيْمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ»<sup>٥</sup>.

«مَنْ نَظَرَ إِلَى امْرَأَةٍ فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ أَوْ غَمَضَ بَصَرَهُ لَمْ  
 يَرْتَدَّ إِلَيْهِ بَصَرُهُ حَتَّى يُزَوِّجَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ»<sup>٦</sup>.

نعم، غض البصر عن الحرام وعن محارم الله يفتح المجال للولوج نحو الفضاء  
 المعنوي للملكوت الالهي، مما يقرب الانسان من الالتقاء بجمال وعظمة

١- جامع الأخبار: ١٤٥، فصل ١٠٧؛ بحار الأنوار: ٣٨/١٠١، الباب ٣٤، الحديث ٣٥.

٢- الأمالي، الشيخ صدوق: ٤٢٩، المجلس السادس والستون، الحديث ١؛ بحار الأنوار: ٣٢/١٠١،

الباب ٣٤، الحديث ٣.

٣- ثواب الأعمال: ٢٨٦؛ وسائل الشيعة: ٢٣٢/٢٠، الباب ١٢٩، الحديث ٢٥٥٠٩.

٤- كنز العمال: ١٣٠٥٩؛ ميزان الحكمة: ٦٣٢٢/١٣، النظر، الحديث ٢٠٢٨٢.

٥- جامع الأخبار: ١٤، الفصل ١٠٧؛ بحار الأنوار: ٣٨/١٠١، الباب ٣٤، الحديث ٣٤.

٦- من لا يحضره الفقيه: ٤٧٣/٣، باب النوادر، حديث ٤٦٥٦؛ بحار الأنوار: ٣٧/١٠١، الباب ٣٤،

الحديث ٢٨.

المحبوب، عندها ستزهدون بكل ملذات الدنيا وزبرجها ومظاهرها المخادعة، ولن تفكروا في شئ سوى السعي نحو لقاء أنوار العظمة والوصول الى مقام القرب الالهي.

قصة البصير الذي يرى بنور الحق:

نجد من الضروري أن نتذكر هنا قصة البصير الذي فقد عينيه في جبهات الحق ضد الباطل، رغم فقدانه البصر لكنه ظل يدافع عن الحق الى آخر لحظات عمره، وكانت مواقفه أفضل من مواقف آلاف الأفراد المبصرين.

وهذا الرجل المجاهد الكريم هو عبد الله بن عفيف الذي أدرك رسول الله ﷺ الذي أمتلأ قلبه عشقاً لرسول الله وآل بيته عليهم السلام.

وكان من خيار الشيعة وزهادها وكانت عينه اليسرى ذهبت في يوم الجمل، والأخرى في يوم صفين في ركاب أمير المؤمنين علي عليه السلام، وكان يلزم المسجد الأعظم، فيصلي فيه إلى الليل.

وكان قد بقي في الكوفة مشغولاً بعبادة الله بقلبه النير ليل نهار، ويملاً قلبه الحزن والألم لعدم تمكنه من نصرة الامام الحسين عليه السلام في كربلاء، لكن الله جعل عاقبته مع أنصار سيد الشهداء عليه السلام وخلد اسمه بين الشهداء والصالحين.

وتنقل الروايات قصة استشهاده على النحو التالي:

بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام وأسر أهل بيته، خرج عبد الله بن عفيف كعادته الى مسجد الكوفة، فأحس بدخول مجموعة من الناس الى المسجد، فعلم أنه ابن زياد وأعوانه.

ثم إن ابن زياد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال في بعض كلامه الحمد لله

الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين وأشياعه، وقتل الكذاب ابن الكذاب.  
فما زاد على هذا الكلام شيئا حتى قام إليه عبد الله بن عفيف الأزدي وكان  
من خيار الشيعة وزهادها، فقال: يا ابن مرجانة إن الكذاب ابن الكذاب أنت  
وأبوك، ومن استعملك وأبوه، يا عدو الله أتقتلون أبناء النبيين، وتتكلمون بهذا  
الكلام على منابر المؤمنين؟

فغضب ابن زياد ثم قال: من هذا المتكلم؟ فقال: أنا المتكلم يا عدو الله تقتل  
الذرية الطاهرة التي قد أذهب الله عنهم الرجس، وتزعم أنك على دين الاسلام؟  
واغوثاه أين أولاد المهاجرين والأنصار لا ينتقمون من طاغيتك اللعين ابن اللعين  
على لسان محمد رسول رب العالمين؟

فازداد غضب ابن زياد حتى انتفخت أوداجه وقال: علي به، فبادر إليه  
الجلالوزة من كل ناحية ليأخذه، فقامت الاشراف من الأزدي من بني عمه  
فخلصوه من أيدي الجلالوزة وأخرجوه من باب المسجد وانطلقوا به إلى منزله.  
فقال ابن زياد: اذهبوا إلى هذا الأعمى أعمى الأزدي، أعمى الله قلبه كما أعمى  
عينه، فانتوني به فانطلقوا فلما بلغ ذلك الأزدي اجتمعوا واجتمعت معهم قبائل اليمن  
ليمنعوا صاحبهم قال: وبلغ ذلك إلى ابن زياد فجمع قبائل مضر وضمهم إلى  
محمد بن الأشعث وأمرهم بقتال القوم قال: فاقتلوا قتالا شديدا حتى قتل بينهم  
جماعة من العرب.

ووصل أصحاب ابن زياد إلى دار عبد الله بن عفيف، فكسروا الباب واقتحموا  
عليه فصاحت ابنته: أذاك القوم من حيث تحذر، فقال: لا عليك ناوليني سيفي  
فناولته إياه فجعل يذب عن نفسه.

ويقول: أنا ابن ذي الفضل عفيف الطاهر، عفيف شيخي وابن أم عامر كم

دارع من جمعكم وحاسر، وبطل جدلته مغادر

وجعلت ابنته تقول: يا أبت ليتني كنت رجلاً أخاصم بين يديك اليوم هؤلاء  
الفجرة قاتلي العترة البررة، وجعل القوم يدورون عليه من كل جهة وهو يذب  
عن نفسه، فلم يقدر عليه أحد وكلما جاؤوا من جهة قالت: يا أبه قد جاؤوك من  
جهة كذا حتى تكاثروا عليه وأحاطوا به، فقالت بنته: واذا له، يحاط بأبي وليس له  
ناصر يستعين به، فجعل يدير سيفه ويقول:

أقسم لو يفسح لي عن بصري ضاق عليكم موردي ومصدري

فما زالوا به حتى أخذوه، ثم حمل فادخل على ابن زياد فلما رآه قال: الحمد

لله الذي أخزأك، فقال له عبد الله بن عفيف: يا عدو الله! وبماذا أخزاني الله؟

فقال ابن زياد: يا عدو الله ما تقول في عثمان بن عفان؟ فقال: يا عبد بني علاج

يا ابن مرجانة - وشمته - ما أنت وعثمان إن أساء أم أحسن، وأصلح أم أفسد،

والله تعالى ولي خلقه، يقضي بينهم وبين عثمان بالعدل والحق، ولكن سلني عن

أبيك وعنك وعن يزيد وأبيه، فقال ابن زياد: والله لا سألتك عن شيء أو تذوق

الموت.

فقال عبد الله بن عفيف: الحمد لله رب العالمين أما إنني قد كنت أسأل الله

ربي أن يرزقني الشهادة قبل أن تلدك أمك وسألت الله أن يجعل ذلك على يدي

ألعن خلقه وأبغضهم إليه، فلما كف بصري يئست من الشهادة، والآن الحمد لله

الذي رزقنيها بعد اليأس منها، وعرفني الإجابة منه في قديم دعائي فقال ابن زياد:

اضربوا عنقه! فضربت عنقه وصلب في السبخة.

وقد أنشد قصيدة بليغة في ٢٩ بيتاً، يذم فيها بني أمية ويمدح أهل البيت والامام

الحسين عليه السلام ويدعو الناس للتأثر لدم الحسين عليه السلام ويذم عدم وفاء الناس له.

وبعد أن أمر ابن زياد بقتل عبد الله بن عفيف، أمر بسجن ابنته صفية، فبقيت في السجن حتى أنقذها رجل بأسم طارق بأمر من سليمان بن الصرد، فتزوجها محمد بن سليمان فانجبت ستة أولاد كانوا جميعاً من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام.<sup>١</sup>

(هو قلب ممتلئ بجمال الحق في كل آن لا في الخيال ولا في الغم والحزن، واينما تولوا فثمة وجه الحق فهو موجود في كل مكان وجهة، وقلب العاشق يكشف عن نفسه أمام الناس ويتضح ما في داخله كأنه أوراق في كتاب مفتوح يمتلي بحب الحق، وما الدموع التي تسيل على الوجه الأجواب لما يعتصر القلب من الحزن والشوق للمحبوب، فقلبي مثل الكتاب الذي أمتلأت أوراقه بالحزن على فراق المحبوب، فلو صددتني عنك لملأت الدنيا حزناً وبكاء على فراق المحبوب وطلباً في الوصال).

### غض البصر عن الحرام:

بعد شرح وتوضيح الجملة الأولى من رواية الامام الصادق عليه السلام، لانتحاج بقية الرواية الى توضيح لأنها تضمنت أخباراً وروايات نقلاً عن النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام و... وكانت على النحو التالي:

قال الامام الصادق عليه السلام:

سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «بِمَاذَا يُسْتَعَانُ عَلَى غَضِّ الْبَصَرِ؟»  
 قَالَ: بِالْخُمُودِ تَحْتَ سُلْطَانِ الْمُطَّلَعِ عَلَى سِرِّكَ.  
 وَالْعَيْنُ جَاسُوسُ الْقَلْبِ وَبَرِيدُ الْعَقْلِ، فَعُضُّ بَصْرِكَ عَمَّا لَا

يَلِيْقُ بِدِينِكَ وَيَكْرَهُهُ قَلْبُكَ وَيُنْكِرُهُ عَقْلُكَ».

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «غَضُّوا أَبْصَارَكُمْ تَرَوْا الْعَجَائِبَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ»<sup>١</sup>.  
وَقَالَ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ: «إِيَّاكُمْ وَالنَّظَرَ إِلَى الْمَخْدُورَاتِ فَإِنَّهَا بَذْرُ الشَّهْوَةِ وَنَبَاتُ الْقَسْوَةِ».

القلب هو الحاكم والمسيطر على العين كباقي القوى الظاهرية الأخرى، والقلب يخضع لسيطرة وحكومة ونفوذ الله تعالى الذي يسيطر على جميع القوى المادية والمعنوية في العالم.

فاذا كان القلب خاضعاً خاشعاً أمام عظمة الله وسلطته ومطيعاً لأوامره، فحتماً لن تخرج حكومته وأوامره عن دائرة رضا الله وأوامره، أما لو خضع قلب الانسان لسلطة الشيطان ونفوذهم فحتماً ستخرج حكومته على بقية الجوارح كالعين والاذن واللسان واليد والقدم عن دائرة رضا الله ويغلب عليها الأهواء الشيطانية وتخضع لسيطرة واردة وحكومة جنود ابليس.

وبالإضافة الى كون العين تعد وسيلة لظهور الصفات القلبية وآلة للادراك والاحساس، فانها توجب الظلام والعمتة وامتدادا لحجاب القلب وسبباً لزيادة الفسق والفجور والانغماس في الشهوات؛ أي النظرة الاولى تحصل تبعاً لمقتضى الباطن وأوامر القلب وارادته، وفي الوقت ذاته تعمل هذه النظرة على وصول مقام الاقتضاء والقوة الباطنية الى مرتبة الفعلية وتعمل على تهيجها وتقويتها.

نعم، اذا خضعت الأهواء والشهوات والرغبات والغرائز والاحتياجات لحكومة



القلب وارادته، وخضع القلب بدوره لحكومة مقام الحق وارادته، فستعمل جميع أعضائه جوارحه ضمن دائرة عظمة العبودية والخشوع للحق تعالى، فيصبح الانسان حينها ملكا في العالمين حتى لو كان فقيراً لا يملك شيئاً، أما اذا خضعت الاميال والغرائز لحكومة القلب لكن القلب خضع لتصرف وسيطرة حكومة الشيطان، لخسر الانسان الدنيا والآخرة ولأصبح ذليلاً فيهما حتى لو أمتك السلطة الظاهرية على العالم.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا عليه السلام: «أَلَمَوْتُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَظْرَةٍ بَغَيْرِ وَاجِبٍ».

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ لِرَجُلٍ نَظَرَ إِلَى امْرَأَةٍ قَدْ عَادَهَا فِي مَرَضِهَا: «لَوْ ذَهَبَتْ عَيْنَاكَ لَكَانَ خَيْرًا لَكَ مِنْ عِبَادَةِ مَرِيضِكَ. وَلَا تَوَفَّرُ عَيْنٌ نَصِيْبَهَا مِنْ نَظَرٍ إِلَى مُحْذَرٍ إِلَّا وَقَدْ انْعَمَدَ عُقْدَةً عَلَى قَلْبِهِ مِنَ الْمُتْنِيَةِ، وَلَا تَنْحَلُّ إِلَّا بِأَحْدَى الْحَالَتَيْنِ: إِمَّا بِبُكَاءِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ بِتَوْبَةٍ صَادِقَةٍ، وَإِمَّا بِأَخْذِ حَظِّهِ مِمَّا تَمَنَّى وَنَظَرَ إِلَيْهِ وَفَأَخْذِ الْحَظِّ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ مَصِيرُهُ إِلَى النَّارِ، وَإِمَّا التَّائِبُ الْبَاكِي بِالْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ عَنْ ذَلِكَ فَمَأْوَاهُ الْجَنَّةُ وَمُنْقَلَبُهُ إِلَى الرَّضْوَانِ».

الهي! أبعد عيوننا عن النظر الى الأمور الظاهرية واجذبها نحو النظر الى باطن العالم وحقيقة الوجود، الهي! يكفيننا ما ذقناه من مرارة النظر الخاطى وما جرنا اليه

نحو الهلاك والخسران، وانقذ عيوننا من النظر الى ما حرمت حتى تتحرر جميع  
أعضائنا وجوارحنا من الخطأ والأسر.

الهي! اذا ما جذبت عيوننا نحو النظر الى جلالك وعظمتك، فسيهب نسيم  
عشقك على أجواء قلوبنا، فينتعش القلب بلطافة هذا النسيم ويهيم بحبك ويفنى  
في أسمائك وصفاتك، وسننعم بخير الدنيا والآخرة. يارب القلب! لا تحرمننا من  
نور عشقك، لأننا بدون عشقك وحبك نعجز عن نيل سعادة الوصال ومقام القرب  
الالهي.

الباب

(٤٣)

في آداب المشي



قال الصادق عليه السلام:

إِنْ كُنْتَ عَارِفًا عَاقِلًا فَقَدِمَ الْعَزِيمَةَ الصَّحِيحَةَ وَالنِّيَّةَ الصَّادِقَةَ فِي حِينِ قَصْدِكَ إِلَى أَىِّ مَكَانٍ أَرَدْتَ، وَأِنَّهُ النَّفْسَ عَنِ التَّخَطُّى إِلَى مَحْذُورٍ، وَكُنْ مَتَفَكِّرًا فِي مَشِيكَ وَمُعْتَبِرًا بِعَجَائِبِ صَنِعِ اللَّهِ أَيْنَمَا بَلَغْتَ، وَلَا تَكُنْ مُسْتَهْزِئًا وَلَا مُتَجَبِّرًا فِي مَشِيكَ، وَغَضُّ بَصْرِكَ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِالذِّينِ، وَأَذْكَرِ اللَّهَ كَثِيرًا.

فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْخَيْرِ: إِنَّ الْمَوَاضِعَ الَّتِي يُذَكِّرُ اللَّهُ فِيهَا وَعَلَيْهَا تَشْهَدُ بِذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِلَى أَنْ يُدْخِلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ. وَلَا تُكْثِرِ الْكَلَامَ مَعَ النَّاسِ فِي الطَّرِيقِ فَإِنَّ فِيهِ سُوءَ الْأَدَبِ. وَأَكْثَرُ الطَّرِيقِ مَرَايِدُ الشَّيْطَانِ وَمَنْجَرُهُ فَلَا تَأْمَنُ كَيْدَهُ، وَأَجْعَلْ ذَهَابَكَ وَمَجِيئَكَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَالسَّعَى فِي رِضَاهُ فَإِنَّ حَرَكَاتِكَ كُلَّهَا مَكْتُوبَةٌ فِي صَحِيفَتِكَ.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾!

وقال عز وجل أيضاً: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمَانُهُ طَائِرَةٌ فِي عُنُقِهِ﴾!

«إِنْ كُنْتَ عَارِفًا عَاقِلًا فَقَدِّمِ الْعَزِيمَةَ الصَّحِيحَةَ وَالنِّيَّةَ الصَّادِقَةَ فِي حِينِ  
قَصْدِكَ إِلَى أَىِّ مَكَانٍ أَرَدْتَ».

## المشي الالهي:

في بداية هذه الرواية التي تخص باب المشي نحو مقصد معين أو حسب قول  
بعض المختصين تخص السفر سواء الطويل أو القصير منه، يقول الامام  
الصادق عليه السلام:

«إِنْ كُنْتَ عَارِفًا عَاقِلًا فَقَدِّمِ الْعَزِيمَةَ الصَّحِيحَةَ وَالنِّيَّةَ الصَّادِقَةَ  
فِي حِينِ قَصْدِكَ إِلَى أَىِّ مَكَانٍ أَرَدْتَ».

أي قبل المشي عليك التفكير وتقديم العزيمة الصحيحة والنية الصادقة  
وتحديد المقصد والهدف والغاية، وهل في ذهابك رضا الله تعالى أم غضبه  
وسخطه، بدافع الخير ام بدافع الشر المحض، للصالح والاصلاح أم للفساد  
والافساد، لاعلاء كلمة الحق والقضاء على الباطل أم للانحراف عن طريق الحق  
ونصرة الباطل؟

اذ ينبغي الانتباه أن الكثير من أهل الايمان خرجوا من بيوتهم بقصد الفساد  
فلم يرجعوا إلا وهم كفار، والكثير منهم خرجوا بهدف الشر المحض فخسروا  
دنياهم وآخرتهم، فعليك الحذر أن لا تكون منهم، واسعى لأن تكون ضمن

أولئك الذين لا يقدمون قدماً ولا يخطون خطوة إلا في رضا الله، أحكموا أقدامهم في طريق الايمان ولم يسيروا الى نحو حضرة الحق، وكانت نيتهم خيراً وعزيمتهم صحيحة وقلوبهم ممتلى بعشق حضرة الحق، لم يبتغوا ولم يطلبوا سوى الخير ولم يسيروا إلا في طريق الخير.

فان كان مشي الانسان كما أوصى القرآن المجيد هوناً وليس مرحاً، فانه سيكسبه بمشييه رضا الخالق ويحقق الخير للمخلوق.

فالقرآن المجيد عندما يبين صفات عباد الرحمن يذكر مشيهم الالهي، ويقول:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾!

وتشير هذه الآية الى صفتين من صفات المؤمنين:

الاولى: المؤمنون يمشون على الأرض هوناً.

والهون كما جاء في مفردات الراغب يعني التذلل والتواضع، لذا فالظاهر أن المقصود من المشي على الأرض هو كناية عن حياتهم بين الناس وكيفية تعاملهم معهم.

اذن، المؤمنون يتواضعون ويتذللون أمام الحق تعالى وفي تعاملهم مع الناس أيضاً، لأن تواضعهم ليس مفتعلاً وانما هو جزء من صفاتهم وطباعهم وموجود في سويداء قلوبهم، وبالتالي لن يبتغوا التكبر على الله تعالى ولا يرغبوا في حياتهم الاستعلاء على الآخرين أو النظر لهم بغير حق نظرة الاستحقار والاستصغار، ولا يسعون أبداً لكسب العزة الوهمية عند أعدائهم بالتذلل أو

الخضوع لهم، وبالطبع انما يستنتج هذا المعنى فيما لو كان معنى كلمة الهون هي التذلل.

أما اذا كانت كلمة الهون تعني البطء والاعتدال فسيكون معنى الآية:  
المؤمنون لا يتكبرون ولا يتبخثون في مشيهم.

وقد أختار الكثير من المفسرين المعنى الثاني وجعلوا هذه الصفة للمؤمنين في قبال صفة التكبر والتبختر عند المنحرفين عن طرق الحق.

كما أمر الله تعالى عباده في سورة لقمان بالتواضع في مشيهم، فقال:

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾<sup>١</sup>.

أي لاتمش في الأرض كما يمشي أولئك المسرورين المرحين لأن الله لا يحب كل مختال فخور ومن يمشي مشي الخيلاء والتكبر، واذا ما اعتبروا الخيلاء بمعنى التكبر فلأن المتكبر يتصور نفسه كبيراً ويفتخر بما له من فضل على الآخرين.

وفي كل الأحوال، اذا كان المشي سواء بمعنى السفر أو العيش والتعامل مع الناس يتم لكسب رضا الله تعالى وخدمة الناس وتطبيق الأوامر الالهية، فسيكون مشياً صحيحاً ينم عن معرفة وعقلانية.

ولما كان هذا المشي يبتغي كسب رضا الله، فستدخل فيه حتماً الارادة الصحيحة والنية الصادقة.

الامام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة المتقين، يصف المتقين بأن:



«مَشِيَهُمُ التَّوَّاضِعُ»<sup>١</sup>.

العالم البصير المرحوم الهي قمشه اى يقول في توضيح هذه الجملة:  
 (عليك بالتحلي بالتواضع في تعاملك مع الناس والحديث معهم، واتخذ منه  
 سلوكا لك في الحياة وابتعد عن حب الأنا والتكبر لأنها آفة سترمي بك الى  
 الحضيض، وطهر نفسك من التكبر والخيلاء لأن جزاءه غضب الله وسخطه،  
 ولا تلبس لباس التكبر في تعاملك مع الناس لأن هذه الصفة ستجلب لك الذلة  
 والمهانة، وابتعد عن هذه الصفة لأنها صفة الشيطان وبها لن ترى رَبِّكَ وأطافه).

\* \* \*

١- نهج البلاغة: خطبه ١٩٣، بحار الأنوار: ٣١٥/٦٤، الباب ١٤، حديث ٥٠.

«وَأَنَّهُ النَّفْسَ عَنِ التَّخَطِّي إِلَى مَحْذُورٍ، وَكُنْ مُتَفَكِّرًا فِي مَشِيكَ وَمُعْتَبِرًا  
بِعَجَائِبِ صُنْعِ اللَّهِ أَيْنَمَا بَلَغْتَ، وَلَا تَكُنْ مُسْتَهْزِئًا وَلَا مُتَجَبِّرًا فِي مَشِيكَ،  
وَعُضَّ بَصْرَكَ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِالذِّينِ، وَادْكُرِ اللَّهَ كَثِيرًا».

### الرؤية الالهية في كيفية المشي:

في المشي، انه النفس عن تخطي حدود الله وابعدها عن الوقوع في الحرام،  
وكن متفكراً في مشينك واعرف مقصدك وغايتك ولأجل من تذهب؟ وأينما  
بلغت وعند كل مكان تفكر في عجائب صنع الله واعتبر منها، ولا تستهزئ بعباد  
الله ولا تتكبر عليهم، وعض بصرك عما لا يليق بالدين، واذكر الله كثيراً لأن ذكر  
الله دواء لكل ألم وداء ولا تغفل عن الحق تعالى لأن الغفلة تورث الهلاك  
والشقاء.

### التفكر في عجائب صنع الله:

لقد بينا في الأجزاء السابقة كل ما يرتبط بالنفس والتفكر والعبرة والذكر  
الكثير، لذا للاطلاع أكثر على كل من هذه العناوين يمكنكم مراجعة الاجزاء  
الخاصة بها.

ونشير هنا باختصار الى بعض عجائب صنع الله تعالى، ليكون عوناً لنا في

الوصول الى حضرة الحق.

(يا نسيم الصبا اجلبي معك عطراً من تراب طريق الحق حتى يزول الحزن  
والغم من القلب عندما يسمع بشارة المحبوب، واخبريني عن لسان الحق ما يزيد  
الروح عشقاً واخبريني عن عالم الأسرار ما يبعث السرور في القلب).

\* \* \*

الماء مادة الحياة:

الماء هو المادة التي يكثر وجودها بسهولة في جميع الموجودات البحرية  
والبرية والجوية، وبدونها تنعدم الحياة أيضاً.

وعندما يوجه عالم الفلك والنجوم جهاز التلسكوب نحو أحد الكواكب  
السيارة، فانما للبحث عن وجود آثار للماء والأوكسجين فيه أو لا؟

وهو محق تماماً في بحثه؛ لأن هاتين المادتين وبأي نسبة كانت تمثلان علامة  
الحياة في ذلك الكوكب وتجعل من الحياة فيه شبيهة بالحياة على الأرض.

وقد شاءت ارادة الحق تعالى أن يجعل الماء في كرتنا الأرضية حتى يمنحها  
الحياة ويصورها بصورتها ووضعها الحالي!

والأهم في ذلك أن الماء يعد أكثر مواد الكرة الأرضية اثاراً للاعجاب  
والحيرة، وكلما تعرفنا أكثر على خواصها كلما زدنا عجباً وحيرة.

ولم يسع إلا القليل من الناس الى التفكير والتدبر في خواص الماء، وهذا يبدو  
طبيعياً وليس عجبياً؛ لأن الماء موجود في كل مكان ويعتبر مادة عادية لا تثير فينا  
فضول البحث والتفكير، اذ يشغل الماء ثلاثة أرباع مساحة الكرة الأرضية،  
ويغطي الماء المتجمد (الثلج) خمس مساحتها، في حين يغطي البخار وقطرات

الماء الصغيرة نصف مساحتها، فبخار الماء موجود في الجو دائماً حتى في المناطق التي لا توجد فيها الغيوم.

فالماء ظاهرة عادية في الكرة الأرضية، بحيث يشكل ما نسبته ٧١٪ من جسم الانسان، والظواهر العادية لا تثير عادة في الانسان التعجب بحيث تدفعه للتفكير والتدبر فيها، في حين يفترض بنا النظر الى جميع الأشياء والعناصر كأمر غير عادية وننظر اليها بعين التفكير والتدبر والتدقيق واتخاذ العبر، حتى نتعرف أكثر على خالق هذا العالم وندرك جيداً علة وفلسفة النعمة في حياتنا، حتى نشكر الخالق على هذه النعم.

ان الخصائص المعروفة للماء تثير العجب والحيرة، فلا توجد أي مادة في الكرة الأرضية بكثرة الماء، ولا توجد أي مادة غير الماء يمكن أن تظهر في الحالات الثلاثة الجامدة والسائلة والغازية.

فالماء، يقوم بتنظيم الوضع الأقليمي للأرض، اذ لولا الماء لتجمد كوكبنا منذ فترة طويلة، ولأنعدمت الحياة فيها.

ويتميز الماء باستيعابه العالي للحرارة، فعندما تزداد حرارة الجو يقوم الماء بامتصاص الحرارة، وعندما تنخفض حرارة الجو يفقد الماء هذه الحرارة ويطلقها في الجو.

والطبقات الجوية التي تغطي كوكبنا تحافظ عليه من دخول البرد الشديد لجو الأرض وانخفاض درجات الحرارة.

وفي هذه الطبقات تشكل قطرات بخار الماء كطبقة من الأسفنج تحافظ على درجات الحرارة، لكن في المناطق الصحراوية التي تقل فيها نسبة تبخير الماء، نجد هذه الطبقات تتخلها المنافذ الكثيرة، ولولا وجود هذا الغطاء حول الأرض

لأرتفعت درجة حرارتها النهار ارتفاعاً شديداً بفعل حرارة الشمس، ولأنخفضت الحرارة بشدة في الليل، ولهذا السبب نلاحظ التغيير الشديد في درجات الحرارة في المناطق الصحراوية، وعلى كل حال لولا هذه الخاصية من خواص الماء لتعرضت الأرض الى الانجماد.

نحن نعلم أن جميع المواد تنقلص بفعل الانجماد الآ الماء يتمدد بالانجماد، اذ لو كان يتقلص لأصبح الثلج أثقل من الماء ولأنغمس فيه، ولتحول تدريجياً جميع الماء على سطح الأرض الى جليد، ولبقيت الأرض محاطة بطبقة شفافة جداً من الغازات التي تفتقد لبخار الماء.

ومن الخواص المهمة الأخرى للماء، هي تميزه بدرجة ذوبان وتبخير عالية جداً، ولهذا أصبح بإمكاننا العيش في درجات الحرارة العالية اذ بواسطة تبخير الماء وفقدان كمية كبيرة من الحرارة، يتمكن الانسان والحيوانات من المحافظة على درجة حرارة أجسامها أقل من درجة حرارة الجو.

فالماء يؤدي دوراً مهماً في حياتنا، اذ تستحيل الحياة بدونه.

نعم، يعتبر الماء احدى عجائب الخلق ويؤدي دوراً مهماً جداً في استمرار الحياة، وهو يمثل عند أهل البصيرة والسالكين في طريق الحقيقة آية عظيمة على وجود حضرة الحق، لأن عاشقي حضرة الحق لا ينظرون في مشيهم الى الأشياء والعناصر نظرة عادية؛ بل ينظرون لها نظرة كسب العبرة والموعظة ونظرة استكشاف الحقيقة والتقرب الى الله تعالى.

القلب نبض استمرار الحياة:

في اليوم الثامن عشر بعد الحمل يتكون جنين الانسان من خلايا صغيرة جداً

بمقدار حبة الحمص، ومن ذلك الحين يبدأ القلب عمله المنظم ويستمر حتى انتهاء حياة الانسان.

فالقلب هو العضو الوحيد في الجسم الذي لا يتوقف أبداً عن عمله، ويستمر في نبضه حتى في أضعف الناس وأكسلهم، اذ يبلغ عدد نبضات قلب الجنين بعمر ثلاثة أسابيع نبضة واحدة في الثانية، ثم تزداد عدد نبضات القلب بعد الولادة حتى تبلغ ١٤٠ نبضة في الدقيقة ولحسن الحظ يقل هذا العدد نتيجة النمو التدريجي للانسان حتى يبلغ عددها في الانسان البالغ عند الاستراحة ٧٦ نبضة في الدقيقة، وتصل عند بذل الجهد في العمل أو الحركة الى ١٥٠ نبضة في الدقيقة.

وهذا يعني أن قلب الانسان ينبض خلال مئة سنة بما يقارب خمسة آلاف مليون مرة، وهذا العدد يثير فينا حقاً التعجب والحيرة من عمل هذا العضو، وكيف لا يكل ولا يتعب ويستمر في أداء وظائفه مادام سالماً دون توقف الى آخر لحظة من حياة الانسان.

ان نسبة استهلاك ونتاج الطاقة في جسم الانسان أقل من نسبتها في الحيوانات ذات الدم الحار، حيث تتناسب هذه النسبة عكسياً مع حجم الجسم، اذ تحتاج الكائنات الصغيرة لكل غرام واحد من حجمها الى انتاج نسبة كبيرة من الطاقة أكثر مما تحتاجه الكائنات الأكبر منها حجماً.

ولما كان استهلاكها ونتاجها للطاقة كبيراً لذلك لا بد أن يكون عدد نبضات قلبها أكبر، وفي الواقع كلما كان الحيوان أصغر حجماً كلما كانت سرعة نبضات قلبه أكبر.

فمثلاً، يبلغ عدد نبضات القلب في الدقيقة الواحدة في بعض الحيوانات كالتالي: الحوت بوزن ١٥٠ طن ٧ مرات، الفيل بوزن ٣ طن ٤٦ مرة، القط بوزن

١،٣ كيلو غرام ٢٤٠ مرة، ونوع من الفئران بوزن ٨ غرام ١٢٠٠ مرة.  
 فكيف يتمكن القلب من العمل بهذه السرعة؟ ينبغي البحث عن اجابة هذا  
 السؤال في ارادة حضرة الحق وقدرته وعلمه وحكمته.  
 ويقوم القلب بواسطة الشرايين والأوعية الدموية بتوزيع المواد المختلفة الى  
 جميع أعضاء الجسم فيساعد في استمرار الحياة.  
 ان الوظيفة الأساسية للشرايين هي انتقال جميع المواد اللازمة الى كافة أعضاء  
 الجسم، حيث تنتقل بعض المواد وتحرك بنفسها مع جريان الدم، في حين تنتقل  
 المواد الأخرى كالغازات بواسطة كريات الدم الحمراء.  
 ويتضمن كل ميلتر مكعب من الدم على ٥،٤- ٥ مليون من كريات الدم  
 بحيث يبلغ مجموعها ما يقارب ٣٥٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠، أي ما يعادل أكبر قافلة  
 في العالم.

يبلغ حجم الكرية الحمراء الواحدة ٨ ميكرون، لكن اذا ما قمنا بترتيبها في  
 صف واحد الواحدة بعد الأخرى لالتفت حول خط الاستواء سبع مرات،  
 وبواسطة كريات الدم الحمراء لأكبر حيوان على الأرض يمكن تشكيل عدة  
 قوافل يبلغ طول كل واحدة منها ما يعادل المسافة بين الأرض والشمس!!  
 ويمكنكم مراجعة الكتب التي تبحث في مسألة القلب وعظمة عمله في  
 الجسم الكائنات الحية، حيث اختصت كتب كثيرة يبحث عمل هذا العضو نظراً  
 لأهميته ودوره المهم في حياة الكائنات الحية. نعم، القلب الذي يحافظ بأذن  
 حضرة الحق على استمرار الحياة هو أحد عجائب صنع الله تعالى، لذا على كل  
 انسان أن يفكر في مشيه بقلب كل كائن حي يراه في طريقه، ليرى من خلال  
 هذه المرأة الصافية جمال الخالق وعظمته.

بعض الحقائق عن الكائنات الحية:

تفاوت المحللات الصوتية والضوئية فيما بينها، حيث يتميز عدد قليل جداً من الحيوانات بقدرتها على اشعاع نور من أجسامها، لكن أغلبها يتميز بقابلية السمع، وتمتلك وسائل مختلفة لإصدار الأصوات حتى تملأ العالم بأصواتها. لا يمكننا هنا أن نوضح بالتفصيل مدى التطور والتكامل الحاصل في الجهاز الصوتي عند الحيوانات، لكن يمكننا الافتراض أن السبب في ظهور المحللات الصوتية هو سماع الأصوات التي تصدر عن الأعداء أو الصيادين. فبعد أن خلق حضرة الحق الأذن لهذه الحيوانات أدركت أن بإمكانها الاستماع إلى الحيوانات الأخرى بواسطة هذا العضو والحصول على معلومات مهمة جداً، فالحيوانات لا تستخدم هذه الأصوات للاطلاع على مكان العلف أو ما يخص أفراد العائلة فحسب، بل تستخدمها للاخبار عن كل ما يدور حوله.

أصوات الحيوانات:

للتواصل فيما بينها اكتسبت الحيوانات قابلية إصدار الأصوات. ونجد أفضل الأجهزة الصوتية عند الطيور والثدييات، حيث تستفيد أعضائها الصوتية من حركة الهواء لإصدار مجالات واسعة من الأصوات.

ولا تتمتع جميع الحيوانات بهذه النعمة الالهية، إذ خلق بعضها صماء فلجأت إلى وسائل مختلفة لإبداء عواطفها في هذا العالم المليء بالأصوات حتى تشارك في تنوع هذه الأصوات وتعددتها.

فمثلاً البوم يصدر صوتاً بواسطة ضرب مناقريه ببعضهما. فنحن نجد عند بعض الطيور مهارة عالية جداً في إصدار الأصوات بواسطة مناقيرها حتى كأنك



تسمع مقطوعة موسيقية.

صوت اللقلق يشبه كثيراً، حيث يعمل هذا الحيوان على تغيير نغمة وشدة الصوت بحيث يمكنه عزف لحن العشاق الاسبانيين. أما نقار الخشب فيتصور هذا الطائر أن منقاره لوحده لا يكفي لبيان مشاعره، فيعمد بمقدمة منقاره على النقر على جذوع الأشجار فيصدر أصواتاً موسيقية مختلفة.

ذكر طائر الحجل يصدر بتحريك جناحيه أصوات تشبه الضرب على الطبل بحيث تصل هذه الضربات أحياناً الى أربعين ضربة في الدقيقة الواحدة. أما الحشرات فلا تمتلك أعضاء صوتية وعادة ما تستفيد من الاحتكاك لاصدار الأصوات، فمثلاً الجراد يصدر الأصوات بواسطة حك ساقيه بجناحيه أو حك جناحيه ببعضهما.

الصرصر يمتلك مئة وخمسين منشوراً مثلثاً في أجزاء من جناحه مع أربعة أغلفة حيث يعمل من خلال تغييرها الى زيادة شدة صوته. لهذا الأذن في الحشرات ليست في الرأس، بل هي في الصرصر موجودة فوق مفصل الركبة، وفي الجراد في نهاية الساق.

أما الأسماك فتستفيد من الاحتكاك بين زعانفها الأمامية لاصدار الأصوات، فمثلاً سمك قنات يصدر الأصوات بواسطة حك أسنانه أو الضغط عليها. أما سمك البوري فيصدر صوتاً عجبياً خاصة في أسماك الغرنار البحرية المتطورة، حيث تصدر هذه الأسماك الصوت بواسطة الضغط على أكياسها الهوائية نتيجة لتقلص وتمدد عضلات خاصة تؤدي الى احداث تغيرات في جدران الكيس.

وقد فشل العلماء في البداية في كشف الاشارات والعلامات التي تبادلها الحيوانات فيما بينهما، لكن تمكنوا أخيراً من الوقوف على أسرار هذه الظاهرة العجيبة بواسطة الوسائل الحديثة التي استخدموها لتحليل أصوات هذه الحيوانات، حيث اكتشفوا أن هذه العلامات تعبر عن غايات متنوعة، منها لأحصاء عدد الحضور والغائبين من أفراد المجموعة، ومنها ما يختص بالتحذير من الخطر، والنوع الآخر لاعلام الآخرين بالعثور على الغذاء، والنوع الرابع علامات عاطفية لاستمالة الحبيب!!

أما التغريد المتسم بنغمات السرور والتناغي عند أغلب الطيور فهي لاعلان الوصول الى العش.

#### عواطف الحيوانات:

لا تبدي الحيوانات عواطفها لأبناء جنسها فقط، بل تبدي عواطفها حتى لأعدائها من الانسان والحيوانات الأخرى.

وقد سمع الجميع أو رأوا بأنفسهم الكثير من القصص عن وفاء الكلب وطاعة الحصان ودلال الهر وعلاقة الحمام بصاحبه. كما ان مسألة ترويض الحيوانات لا تقتصر على الانسان؛ بل حتى الأسد يتعامل بمحبة مع الغنم التي تمثل فريسته، كذلك نجد الكلب يعيش بسلام مع الثعلب أو الذئب في مكان واحد، والقط يأكل مع الفأرة في طبق واحد و...

وعند ملاحظة سلوك الحيوانات المفترسة وحركاتها ندرك أن طبيعة الافتراس ليست ذاتية فيها، وانما تلجأ اليها عند الحاجة لانقاذ نفسها من الجوع أو الموت.

مثلاً الأسد الملقب بملك الغابة وسيد الحيوانات عندما يشبع لا يؤذي أي حيوان آخر؛ لهذا نجد الحيوانات الأخرى التي تعد من فرائسه مثل الغزال وحمار الوحش تعلم بواسطة غرائزها متى يكون جائعاً فتلوذ بالفرار من أمامه ومتى يكون شعباً فتبقى مشغولة بالأكل والرعي قريباً منه.

ان ألفة الأسد أقوى الحيوانات وأشرسها، يعد دليلاً آخر على امكانية ترويض هذه الحيوانات المفترسة حتى تصبح أكثر ألفة من الهر اذا ما شعرت باللطف والعاطفة من الطرف الآخر، فهذه الحيوانات لا تلجأ الى الصيد إلا للمحافظة على نوعها واستمرارها في الحياة.

والانسان عادة ما يسعى لتنظيف محيطه من النفايات والأشياء الزائدة بحيث يعلو صوته بالاعتراض اذا ما لم يقوم عامل التنظيف بمهمته في رفع النفايات ليومين أو ثلاثة أيام، واذا ما انقضت هذه الحيوانات التي تعد من أهم عمال النظافة في العالم أو توقفت عن أداء وظيفتها في التخلص من نفايات الانسان، لأصبحت الحياة مستحيلة على وجه الأرض.

فمثلاً يهجم الأسد على قطع من حمير الوحش فسيضطر هذا القطيع الى الفرار؛ لأن الأسد خلق بصورة لا يمكنه فيها الجري بسرعة لفترة طويلة، لذا تجده يختار دائماً الحيوان الضعيف الذي يسهل صيده.

وعلى هذا الأساس، يصاد الأسد الحيوان الأضعف والأعجز الذي يجري في آخر القطيع، مما يعني التخلص من الحيوانات المريضة أو العرجاء أو الضعيفة والعاجزة من بين أبناء النوع الواحد، وهذا يساعد على الجيلولة دون انتشار المرض والآفات المختلفة للمحافظة على الأنواع السالمة في الحيوانات.

وبعد الصيد تحدث مواضيع مهمة جداً، اذ تتغذى الحيوانات الأخرى

كالضبع والثعلب وغيرها على بقايا غذاء الأسد، ثم تصل فرصة الأكل الى النسور والصقور، بعدها يأتي الدور على الحشرات التي تنظف تماماً ما يتبقى من جسد الفريسة بحيث لا يبقى منها سوى هيكلها العظمي الذي يتحول الى كوربونات الكالسيوم والفوسفات التي تنتقل الى الأرض، وعلى هذا الأساس لن تهذب أي ذرة من جسد هذه الفرائس هدرا ودون فائدة!

كما تنمو الأعلاف والحشائش التي تتغذى على دماؤها في نفس المنطقة، فتساعد هذه الحيوانات على تنظيف الطبيعة من التلوث، وتحول دون انتشار المرض والآفات بين الانسان والحيوان وتسيطر على الازدياد المضطرد لأنواع الحيوانات المختلفة.

والخلاصة، ان الانسان الذي يذبح الدجاج ليزين بها مائدة غذائه بشتى أنواع الأغذية، لا يرى نفسه عديم العاطفة والمحبة، كما انه يذبحه البقر أو الغنم يساعد نفسه وابناء نوعه وحتى الحيوانات الأخرى على البقاء والتغذية على هذه الحيوانات، ويرى في عمله مراعاة للانصاف والعاطفة، وفي الحقيقة هو تصور واعتقاد صحيح تماماً. وعلى هذا الأساس يكون عمل الحيوانات التي تصطاد الحيوانات أو الحشرات الأخرى عملاً صحيحاً ومنطقياً كعمل الانسان، ولا يمكن اعتباره بعيداً عن العاطفة والمحبة، خاصة اذا ما لاحظنا سلوكهم العاطفي في بعض الحالات التي تنم عن عاطفة ومحبة جياشة تثير اعجاب حتى أشد الناس عطفاً ومحبة.

فانس الكلب بالقطعة، والأسد بالحمل وعطف القط على الفأرة وتعاطف الغراب مع الكلب المجروح وأمثالها، ليست بالمواضيع الجديدة التي يمكن أن تحدث بتربية الحيوانات وتعليمها فحسب؛ بل هي جزء من طبائع الحيوانات

وصفاتها الخلقية، لهذا تظهر عليها بسرعة بفعل التعليم والتربية.

وتتجلى في مختلف أنواع الحيوانات ظاهرة التعاضد والتعاون فيما بينها، فمثلاً نلاحظ بعض العصافير تساعد صغار العصافير الأخرى في تغذيتها وتعليمها الطيران لكونها فقدت والديها، كما تتعاون الغربان مع بعضها ويساعد أحدهما الآخر، كذلك الحال بين اللقاق.

أما البطاريق فتنام على بيوض غيرها حتى تفقس ثم تعتني بهذه الصغار حتى تكبر وتعطف عليها وتحبها بشدة رغم كونها صغار غريبة عليها. كما يعيش الأيل والغزال والقرود في تجمعات مشتركة، حتى الحشرات تعيش مع بعضها حياة مشتركة، فمثلاً الفراش قد يتجمع أحياناً بأعداد هائلة كأنه غيوم متراكمة تغطي السماء.

ويمكن مشاهدة هذا التعاون والتعاطف بوضوح بين أفراد النوع الواحد في الحيوانات بما لا يقبل الإنكار، لكن ما يثير التعجب هو تعاطفها مع أعدائها. فنحن نشاهد العطف والمحبة التي تبديها أنثى الكلب لليث الأسود، حيث تعتني به كأنه صغيرها وترضعه من حليبها وتداعبه وتلاطفه، كما ان هذا الصغير عندما يكبر يبقى وفياً لها ويحترمها كأمه ولا يؤذيها أبداً.

وغم عدم وجود تجانس بين الطيور ودب الغابة، لكنها تلعب وتلاطف مع بعضها البعض ويبيدي كل منها حبه وعطفه للآخر. ومن كل هذا التعاون والتراحم بين هذه الحيوانات ندرك أن الحق تعالى قد زرع في نفوسها الألفة والمحبة والتعاون وخلق عند كل ذي قلب الرحمة والعطف على الآخرين، ليقوي أواصر التعاضد بين جميع الموجودات.

(ان كل هذا العطف والحب والالفة انما هو مظهر من مظاهر جمال الحق

تعالى، فتجليات حسنك وعشقتك ظهرت على جميع الموجودات حتى أصبحت كل الذرات تتغنى بحبك وعشق وصالك).

\* \* \*

وعلى كل حال كل ذرة في هذا العالم هي احدى عجائب الحق تعالى، لذا ينبغي علينا التفكير والتدبر في كل عنص من العناصر وفي كل شئ من الأشياء وفي كل موجود من الموجودات حتى نكتسب منها الدروس والعبر، وتتخذ الموعظة من جميع الحقائق والوقائع في عالم الوجود ونعتبر كل ما فيه مرآة تظهر جمال الحق تعالى. ان البحث والحديث في هذا الموضوع يتطلب عدة مجلدات حتى نستوفي حقه وما جاء في الصفحات السابقة انما هو جزء يسير جداً من عجائب هذا الخلق، وما خفي منها يضاهي بحراً عظيماً لم يتمكن أحد حتى الآن من ادراك أوله الا من أنار الله قلبه لرؤية هذه الحقائق وأجلسه على مائدة كرامته.

(عليك الابتعاد عن الغفلة عن مظاهر الحق وحقائق الخلق والا وقعت في وادي العبث واللهو ولانعقد لسانك عند لقاء الحق في الآخرة، ولخلا قلبك من حب وعشق الحق فويل لهذا القلب من الغم والحزن على ما فات ومر، ولأصبح كالعصفور الذي وقع في مخالب صياده، فهذه الغفلة ستؤدي بك الى الكفر وعدم الايمان فلا ينفع حينها الندم).

«فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْخَبَرِ: إِنَّ الْمَوَاضِعَ الَّتِي يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهَا وَعَلَيْهَا تَشْهَدُ  
بِذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِلَى أَنْ يُدْخِلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ».

### ذكر الله عند المشي:

في نهاية الجمل التي جاءت في أول الحديث، قال الامام الصادق عليه السلام:  
عليك الاكثار من ذكر الله تعالى عند المشي أو السفر، و الذكر الكثير لله لا  
يعني مجرد ترديد عبارات «سبحان الله» و «الحمد لله»؛ بل يعني الحذر عند  
الالتقاء بأي شئ أن لا يفوتك منه خيراً كثيراً، وأن تتجنب عند مواجهة الذنوب  
أن يصيبك منها شراً كثيراً.

ثم يقول عليه السلام في الجمل السابقة:

فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْخَبَرِ: «إِنَّ الْمَوَاضِعَ الَّتِي يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهَا  
وَعَلَيْهَا تَشْهَدُ بِذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِلَى أَنْ  
يُدْخِلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ».

«وَلَا تُكْثِرِ الْكَلَامَ مَعَ النَّاسِ فِي الطَّرِيقِ فَإِنَّ فِيهِ سُوءَ الْأَدَبِ. وَأَكْثَرُ الطَّرِيقِ  
مَرَاصِدُ الشَّيْطَانِ وَمَتَجَرَّةٌ فَلَا تَأْمَنُ كَيْدَهُ».

### الكلام أثناء المشي:

يوصي الامام عليه السلام بعدم الاكثار من الكلام مع الناس في الطريق حتى لا يؤدي  
الاكثار من الكلام الى قوع الانسان في محذور الباطل واللغو والغيبة والتهمة فهو  
من سوء الأدب ومن مراصد الشيطان ومكائده ومحل ربحه وتجارته، حيث  
يسعى هذا اللعين جاهداً لخداع هذا المتكلم والايقاع به في حباله، لذا عليك  
الحذر من مكائده وشروبه وعدم الوقوع في شركه فتحسر الدنيا والآخرة.

فويل للانسان الذي لا يلتزم بالبرامج الالهية، ويتعد عن التفكير والتدبر في  
خلق الله وحقائقه ووقائعه، ويصرف جل عمره في تلوين نفسه وروحه ليل نهار  
بأنواع الذنوب والآفات ولا يفكر في عاقبته وعاقبة الآخرين.

وكما صدح بلبل المعرفة الالهية المرحوم الهي قمشه اى:

(يا حسرة على نفسي مازالت تتخبط في غرور الافتخار باسمها وأسيرة  
لخيلاتها وأوهامها، فلم تنفع حتى الآن رياضات النفس ودروس السلوك في  
كبح جماح النفس وترويضها، ولم تكف النفس عن رغباتها وتمنياتها مما زاد  
من مرارة الدنيا لدي، ولازال قلبي مشغولاً بتمنياته وغارقاً في بحر الغم والحزن،



ولازلت أسعى واهماً في طلب الشهرة والتكبر، ولازلت أعاني من رغبات هذه الحواس الخمس فارتوي من كأس الحسرة والغم).

«وَأَجْعَلْ ذَهَابَكَ وَمَجِيئَكَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَالسَّعْيِ فِي رِضَاهُ، فَإِنَّ حَرَكَاتِكَ كُلَّهَا مَكْتُوبَةٌ فِي صَحِيفَتِكَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>١</sup>، وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ أَيْضاً: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾<sup>٢</sup>.

### رضا الحق في المشي:

اجعل مشيك وسفرك وذهابك وايابك في طاعة الحق والسعي لكسب رضا الله تعالى، اذ ان جميع حركاتك وسكناتك ستثبت في صحيفة أعمالك، وقد جاء في القرآن الكريم:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾  
وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ أَيْضاً: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾.

١- النور ٢٤: ٢٤.

٢- الاسراء ١٧: ١٣.

الباب

(٤٤)

في آداب النوم



قال الصادق عليه السلام:

نَمْ نَوْمَةَ الْمُتَعَبِّدِينَ وَلَا تَنْمَ نَوْمَ الْغَافِلِينَ، فَإِنَّ الْمُتَعَبِّدِينَ الْأَكْيَاسَ يَنَامُونَ  
اسْتِرْوَاحًا وَلَا يَنَامُونَ اسْتِبْطَارًا.

قال النبي ﷺ:

تَنَامُ عَيْنِي وَلَا يَنَامُ قَلْبِي؛ وَأَنْوَ بِنَوْمِكَ تَخْفِيفَ مَوْتِكَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ  
وَاعْتِزَالَ النَّفْسِ عَنِ شَهْوَاتِهَا.

وَاخْتَبِرْ بِهَا نَفْسَكَ؛ وَكُنْ ذَا مَعْرِفَةٍ، بِأَنَّكَ عَاجِزٌ ضَعِيفٌ لَا تَقْدِرُ عَلَى  
شَيْءٍ مِنْ حَرَكَاتِكَ وَسُكُونِكَ إِلَّا بِحُكْمِ اللَّهِ وَتَقْدِيرِهِ؛ فَإِنَّ النَّوْمَ أَخُ الْمَوْتِ  
فَاسْتَدِلَّ بِهَا عَلَى الْمَوْتِ الَّذِي لَا تَجِدُ السَّبِيلَ إِلَى الْإِتْبَاهِ وَالرُّجُوعِ إِلَى  
إِصْلَاحِ مَا فَاتَ عَنْكَ.

وَمَنْ نَامَ عَنْ فَرِيضَةٍ أَوْ سُنَّةٍ أَوْ نَافِلَةٍ فَاتَتْهُ بِسَبَبِهَا فَذَلِكَ نَوْمُ الْغَافِلِينَ  
وَسِيرَةُ الْخَاسِرِينَ، وَصَاحِبُهُ مَفْتُونٌ. وَمَنْ نَامَ بَعْدَ فَرَغِهِ مِنْ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ  
وَالسُّنَنِ وَالْوَاجِبَاتِ مِنَ الْحُقُوقِ فَذَلِكَ نَوْمٌ مَحْمُودٌ.

وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ لِأَهْلِ زَمَانِنَا هَذَا شَيْئًا إِذَا أَتَوْا بِهَذِهِ الْخِصَالِ أَسْلَمَ مِنْ  
النَّوْمِ لِإِنَّ الْخَلْقَ تَرَكَوْا مُرَاعَاةَ دِينِهِمْ وَمُرَاقِبَةَ أَحْوَالِهِمْ وَأَخَذُوا شِمَالَ  
الطَّرِيقِ.

وَالْعَبْدُ إِذَا اجْتَهَدَ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ كَيْفَ أَمَكَّنَهُ أَنْ لَا يَسْتَمِعَ إِلَّا مَا لَهُ مَانِعٌ مِنْ  
ذَلِكَ، وَإِنَّ النَّوْمَ خَيْرٌ مِنْ أَخْذِ تِلْكَ الْأَلَاتِ فِي مَعَاصِي اللَّهِ.

قال الله عز وجل:

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾<sup>١</sup>.  
 وَإِنَّ فِي كَثْرَتِهِ آفَاتٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى سَبِيلِ مَا ذَكَرْنَا، وَكَثْرَةُ النَّوْمِ يَتَوَلَّدُ  
 مِنْ كَثْرَةِ الشُّرْبِ، وَكَثْرَةُ الشُّرْبِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّبَعِ وَهُمَا يُثْقِلَانِ النَّفْسَ عَنِ  
 الطَّاعَةِ وَيُقْسِيَانِ الْقَلْبَ عَنِ التَّفَكُّرِ وَالخُضُوعِ.  
 وَاجْعَلْ كُلَّ نَوْمِكَ آخِرَ عَهْدِكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأذْكَرِ اللَّهَ بِقَلْبِكَ وَلِسَانِكَ،  
 وَخَفِ اطَّلَاعَهُ عَلَى سِرِّكَ، وَاعْتَقِدْ بِقَلْبِكَ مُسْتَعِينًا بِهِ فِي الْقِيَامِ إِلَى الصَّلَاةِ  
 إِذَا انْتَبَهْتَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَقُولُ لَكَ: نَمْ فَإِنَّ لَكَ بَعْدَ لَيْلٍ طَوِيلًا؛ يُرِيدُ  
 تَفْوِيتَ وَقْتِ مُنَاجَاتِكَ وَعَرْضِ حَالِكَ عَلَى رَبِّكَ، وَلَا تَغْفَلْ عَنِ الْإِسْتِغْفَارِ  
 بِالْأَسْحَارِ، فَإِنَّ لِلْقَانِتِينَ فِيهِ أَشْوَاقًا.

«نَمْ نَوْمَةَ الْمُتَعَبِّدِينَ وَلَا تَنْمَ نَوْمَ الْغَافِلِينَ، فَإِنَّ الْمُتَعَبِّدِينَ الْأَكْيَاسَ يَنَامُونَ  
اسْتِرْوَاحًا وَلَا يَنَامُونَ اسْتِبْطَارًا. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَنَامُ عَيْنِي وَلَا يَنَامُ قَلْبِي».

## نوم المتعبدين:

يقول الامام الصادق عليه السلام:

«نَمْ نَوْمَةَ الْمُتَعَبِّدِينَ وَلَا تَنْمَ نَوْمَ الْغَافِلِينَ، فَإِنَّ الْمُتَعَبِّدِينَ  
الْأَكْيَاسَ يَنَامُونَ اسْتِرْوَاحًا وَلَا يَنَامُونَ اسْتِبْطَارًا.

فهم يلجأون للنوم للضرورة ورفع الحاجة وللاستراحة  
واسترخاء الأعصاب، وليس طلباً للهوى واللذة.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَنَامُ عَيْنِي وَلَا يَنَامُ قَلْبِي».

نعم، نوم المتعبدين هو أفضل نوم وحقيقة يترتب عليها الثواب الالهي، في  
حين يعد نوم الغافلين أسوأ أنواع النوم ويجلب للانسان العذاب الالهي  
الأخروي.

فالمتعبدون انما يذهبون للنوم لرفع التعب الذي يصيهم نتيجة العبادة  
والمجاهدة والرياضة المستمرة والسعي التام لكسب رضا الله تعالى، وبيذلون كل  
ما في وسعهم في السير على الصراط المستقيم والاستمرار قدر الامكان في

سلوك طريق الحق للوصول الى مقام القرب الالهي.

أما نوم الغافلين فهو أسوء أنواع النوم؛ لأن تعب الغافلين الذي يدفعهم للنوم انما يعود لكثرة الذنوب وانشغالهم بالمعصية وظلم الناس، حتى قيل: الموت لهم أفضل من حياة مليئة بالمعصية والذنوب والظلم.

يقول العارف عماد فقيه:

(الهي يا من تربع حبك في قلبي حتى صار مسكنه، فلا تبعد نظرك ولطفك عني، الهي حتى وان حكم القضاء بانفصال روحي عن جسدي فالأمل برحمتك ولطفك يملأ قلبي، وشمس لطفك لا تغيب أبداً لأن حبك ينير قلبي، وكل شئ في قلبي يتغنى بحبك وكل شئ فداء لقربك، واتحمل كل الألم والآهات في سبيل وصالك وقربك، وباتت روحي تعيش في ظلام غم هجرك والابتعاد عنك وتنتظر روؤية وجهك الكريم، فروحي لن يروها كل ماء البحار وانما تكتفي بجرعة أو شربة من شراب لطفك وعطفك ورحمتك).

### الصورة الالهية للمتعبدين:

المتعبدون هم أولاً من أهل المعرفة، وقد اكتسبوا هذه المعرفة من القرآن الكريم والرسالة النبوية والامامة حتى توجهت قلوبهم بنورها، وثانياً هم من أهل العلم والسعي والرياضة والمجاهدة ولم يشعروا أبداً في هذا الطريق بالتعب والملل والكسل والضعف.

وهم يمثلون الصفحة المشرقة في كتاب الحياة الذي امتلأ بصور عبادتهم القلبية والبدنية والروحية والنفسية والمالية والقلمية. هم عشاق الجمال وطلب الكمال، وقمر الليل وشمس النهار، ومصداق الحقائق وطبور حديقة الملكوت.



وأصبح وجودهم الذي امتلأ إيماناً كبحر بلا ساحل تشرق عليه شمس تربية الحق، وترتفع منه غيوم عظيمة أينما تحل تمطر مطر الرحمة الالهية، حتى تنمو في فصل ربيعهم النباتات الخضراء وتفتح الزهور وتثمر الأشجار بشمار حلوة المذاق.

فما أن يعودوا الى بيوتهم حتى تراهم مع نساءهم أزواجاً أوفياء ومع أبنائهم آباء كاملين تملأهم الرحمة والعطف، واذا ما ذهبوا الى مكان عملهم وكسب رزقهم حتى تجدهم أهلاً للانصاف والصفاء والوفاء والضمير الحي، واذا مال بسوا لامة حربهم وتوجهوا الى جبهات الحق على الباطل لرأيتهم ليوث الوغى وأبطال الهيجا، واذا ساروا بين الناس كانوا أنواراً للهداية، وما أن يحل الليل حتى تجدهم من أهل العبادة والمناجاة.

وقد قضوا طيلة حياتهم في الجهاد الشرعي وجعلوا من دنياهم بوابة لدخول رحمة الحق وكسب رضا الله تعالى والورود الى نعيم الجنة.

### جهاد النفس:

قالوا في جهاد النفس عند السير والسفر:

اعلم انه لا يوجد أفضل من جهاد النفس ومخالفتها عند السفر وفي كل طريق يسلكه الانسان. واعلم أن كل شئ يحمل في طياته معاني الانسانية ويساعد في سلوك الانسان يكون من الحق تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾!

وهذه السبل تمثل سبل السعادة والكمال والكرامة والجنة وقام القرب الالهي.

فالانسان اذا ما فعل كل شئ في سبيل الله، سيمن الله عليه بكل أنواع الخير والبركات.

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ لِلَّهِ كَانَ اللَّهُ لَهُ»<sup>١</sup>.

(ان العاشقين ذوي القلوب الحية يتطعمون لشربة واحدة من كأس معرفة

الحق، حتى تحقق عبودية القلب والروح لسلطانه وقدرته).

فكل طريق يسلكه الانسان يكون فيه حتماً الطمع والهوى واطاعة النفس ورغباتها الأ طريق جهاد النفس، حيث يحيى الهوى في الطرق الأخرى لكنه يموت في طريق جهاد النفس؛ لأنه طريق عزل الولاية الانسانية وأسباب كشف أسرار الحقيقة.

ان روح الانسان وجسده لا يظهر من آفة الذنوب الأ في بحار جهاد النفس، ومن يغلق على نفسه طريق جهادها ستهجم عليه جيوش الأهواء وتتغلب عليه فسيصبح أسيراً للطمع والشهوة والغضب والرياء وستسيطر على جميع أحواله، وحينها سيبتغي في كل ما يفعله رضا الخلق، ومثل هذا الشخص لن يذوق حلاوة الايمان أبداً.

لكنه اذا ما سار منذ البداية في طريق جهاد النفس وتربيتها، وسعى الى مراقبتها وزين ظاهره بجهادها ستثمر شجرة الحقيقة في قلبه وتستأصل أشواك المعصية في نفسه، وتحصل فتوح الغيب. ويعد جهاد النفس فريضة على المبتدئين في طريق الارادة، حتى لا تملك النفس زمام أمره، فتجعل من الهوى مرآة نفسه، ويجري وراء أوهامه الفاسدة، وتظهر الباطل له بلباس الحق، وتملاً نفسه بالتعلق بالأهواء والملذات حتى تبعده عن عبادة الحق وطاعته، فيبتلى بأفة

الرياء والشك والشرك، حتى يقع في عبادة صنم النفس والشرك.  
 (كيف تصل الى علم الحق وانت مصاب بآفة التظاهر وحب الأنا، وكيف  
 تتمكن من الوصول الى قمة العلا وانت تسعى الى التكبر والتفاخر، وتنظر بعين  
 الكبر الى نفسك في حين تنظر الى الآخرين أقل شأناً منها، وما دمت ترغب  
 بالتظاهر والتفاخر فستظل حتماً تحمل صفات الخاسر المسكين، واتصافك  
 بالصفات السيئة التي تنتهك حرمة الآخرين سيكون وبالأعلى عليك، ومن يحمل مثل  
 هذه الصفات المذمومة سيكون بلاشك بعيداً عن الدين والتدين).

وجاء في الخبر:

سأل رجل رسول الله ﷺ قائلاً: يا رسول الله! أي الجهاد أفضل؟ فأجاب:

«إِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ»<sup>١</sup>.

وقال أحد العرفاء الكبار:

الحق سبحانه وتعالى لم يعطي لعبده أي عزّ حتى يدرك مدى حقارة نفسه  
 وذلك، حتى أن الشرع وصف النفس بأنها أعدى أعداء الانسان:

«أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ»<sup>٢</sup>.

واذلال هذا العدو وتحقيره يعني، اطاعة الحق تعالى والمحافظة على حرمة  
 المحبوب وكرامته.

العارف النيشابوري يقول:

(ان الساعين للغوص في حقيقة الأسرار يظلون حيارى في ما يرون، اذ يرون

١- وسائل الشيعة: ١٦٤/١٥، الباب ١، الحديث ٢٠٢١٦.

٢- بحار الأنوار: ٦٤/٦٧، الباب ٤٥، الحديث ١.

حالمهم مرة قرب العرش ومرة مضطربون في بحر الحيرة وانقلاب النفس،  
يسيرون تدريجياً في طريق الحق فيتحركون باستقامة على طريق العشق والقرب  
الالهي، حتى تجدهم يختصرون الزمان والمسافات ومتى ما حان الوقت يرتقون  
العلا الذي ارتقته الشمس منذ مئات القرون).

\* \* \*

#### فوائد جهاد النفس:

في جهاد النفس فوائد عدة منها، يزيل الرعونة والحمق، ويزيل التفاخر  
والتكبر، ويقضي على الرياء حتى تصبح جميع أعماله وأفعاله لكسب رضا الحق  
تعالى، ويبعد الغفلة عن الانسان حتى يسيطر على حواسه، ويقضي على الغيبة فيه  
حتى يكون حاضراً دائماً، ويكبح جماح الشهوة والغضب حتى يتحلى بالمروءة  
والشهامه، ويذهب عنه البخل حتى يتزين دائماً بالجود والكرم، ويبعده عن  
التكبر والخيلاء، ويوجد في نفسه حب التواضع ويزيد من همته حتى يتسم  
بحسن المحيا والصدق والثبات واستقامة القلب والصفات.

ولا يكتسب الانسان هذه الصفات الا بواسطة جهاد النفس، فهو عمل  
المتعبدين وديدنهم، لكن مثل هذا السير والسلوك يجلب تعب الجسد وضعفه  
وحتى يرفعون عن بدنهم هذا التعب والاعياء يلجأون للنوم الذي يكون جزءاً من  
العبادة وجهاد النفس. وما قصده الامام الصادق عليه السلام في كلامه أن نوم شيعته  
ينبغي أن يكون مثل هذا النوم حتى يستفيد من النوم والعبادة في رفع حالته  
المعنوية وكسب الثواب الأخروي.

\* \* \*

## العبودية الحقيقية:

قال البعض:

ان معنى العبودية الحقيقية يتجلى في الامتثال لجميع أوامر الحق تعالى وأداء التكاليف المنوطة بك بشرط وجوبها، أي شرط واجبها عدم التقصير وعدم تجاوز حدود أوامر الله وعدم تضييعها.

وقالوا أيضاً: شرط وجوبها أن تؤدي التكاليف المنوطة بك من قبل الحق تعالى، وأن لا يكون ذلك من طمع النفس، بل انظر الى هذا التوفيق الالهي بعين الفضل والشكر؛ أي ليكن أداؤك الواجبات الالهية امتثالاً لأمر الحق تعالى، لا لأجل الطمع، واذا ما جعلك الله أهلاً لخدمته وعبادته فانظر اليه بعين الفضل العظيم الذي يستحق وجوب الشكر والامتنان.

لأنه تفضل عليك بالايمان والهداية الى دين الحق والصراط المستقيم من بين هذا الأديان والعقائد المختلفة، وجعلك مشغولاً بخدمته وعبادته سائراً في طريق محبته.

وهذا فضل عظيم من الله، لو حاول جميع الناس أداء حق الشكر عليه لما تمكنوا من الوفاء بحقه، وبوجود هذا الفضل الالهي يصبح من المستحيل الوقوع في آفة الطمع.

وهذه أعلى وأسمى مراحل العبادة، يكون نوم العابدين فيها نوماً ذا قيمة معنوية عظيمة واستراحة الهية.

الهي! لا تحرمنا من فضلك وعنايتك، وافتح لنا أبواب طاعتك وعبادتك الخالصة الى يوم رحيلنا عن هذه الدنيا الفانية، وأتر قلوبنا بأنوار محبتك واشراق جمالك، واعفوا عنا برحمتك ما مضى من ذنوبنا ومعصيتك، ومد لنا يد العون في

كل لحظة من لحظات عمرنا الآتية لتتقدنا من السقوط في أهوال وادي ظلمة الذنوب والمعاصي.

(هنيئاً لهذا العاشق الذي أمتلأ قلبه بحبك ولجأ الى مأوى كرمك ورحمتك، وشغل ليله ونهاره في عبادتك ومناجاتك، لكن كلما طلبت وصال المعشوق ابتعد وأجل موعد الوصال الى حين آخر).

ونقل الامام الصادق عليه السلام في نهاية القسم الأول من حديثه أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، قال:

« نَامُ عَيْنِي وَلَا يَنَامُ قَلْبِي ».

وهو كناية عن استغراق جميع هوية الرسول الأكرم ووجوده في العبادة ولم يعيش لحظة واحدة من لحظات عمره الشريف بعيداً عن عبادة الله وطاعته. والحديث عن أبعاد وصفات هذه الشخصية الالهية العظيمة تخرج عن قدرة وقابلية كل انسان، ولا يمكن لأحد سوى الله وخاصة أوليائه، أن يدرك أن قلبه ووجوده وهويته هو كتاب مكنون:

﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾!

(حمل هذا الرسول العظيم كل صفات الخير والعلم والمعرفة، وتنور قلبه بالشمع الالهي وتعلم الدرس الالهي الأزلي الى الأبد، حتى الشمس تحتاج الى نوره في الاستمرار باشعاعها، وكان وجهه بمثابة الهلال في ليلة المعراج، وكان سلطان ليلة المعراج والملك المتوج فيها التي جعلها الله تكريماً وتفضيلاً له، وكان صادقاً بالعهد والوفاء حتى توج أول وآخر الأنبياء).

وقد حمل الرسول شخصية عظيمة بحيث جاء جبرئيل عليه السلام عند ولادته الى أمه آمنه ليخاطبها، يا آمنه! يا حامله كنز الرحمة والرأفة! ويا خازن خزانة العناية والهداية! ليكن اسم هذا المولود المبارك البهي الطلعة محمداً، ليكون مطهراً من كل رجس وذنس ومنزهاً من الذنوب والآثام ومتصفاً بكل فضائل الأخلاق.

يا آمنة سمّه محمد لتكوني مرضية السجايا ومحمودة الفضائل، سمّه محمداً ليكون محموداً وممدوحاً في السماء والأرض، ولا يوجد له نظير في عالم الحقيقة، وحاملاً لبديع السمائل والصفات، سمّه محمداً ليكون هادياً للبشر وأميراً للقبائل، سمّه محمداً ليكون مدحه والصلاة عليه فريضة على الجميع، ولتكن الشهادة على رسالته بعد الاقرار بالتوحيد شعاراً للاسلام وعلامة الايمان، سمّه محمداً لينسخ ذكره ذكر الأولين، وليكن أساس الكمال وسببه، وليكن بعد الحق تعالى الأول في الوجود والآخر في الشهود، سمّه محمداً ليكون آية لقدرة الخالق ودليلاً على الوصول الى منزل العلم والمعرفة الالهية.

«وَأَنُوبِ بَنَوْمِكَ تَخْفِيفَ مَوْتِكَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَاعْتَزَالَ النَّفْسِ عَنِ شَهَوَاتِهَا  
وَاخْتَبَرُ بِهَا نَفْسَكَ وَكُنْ ذَا مَعْرِفَةٍ بِأَنَّكَ عَاجِزٌ ضَعِيفٌ لَا تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ  
مِنْ حَرَكَاتِكَ وَسُكُونِكَ إِلَّا بِحُكْمِ اللَّهِ وَتَقْدِيرِهِ».

### النوم استراحة الأعصاب:

ان لم يكن نومك ناتجاً عن التعب في ارتكاب الذنوب والمعصية بحيث تدونه  
الملائكة تحت عنوان الاستراحة واسترجاع القوى لارتكاب الذنوب الأخرى؛ بل  
كان نوماً لاستراحة الأعصاب لاسترجاع القوى للقيام بالنشاطات المفيدة بعد النوم  
خاصة في عبادة الله، فانه سيكون نوماً خفيف المؤنة على الملائكة.  
واجعل نومك وسيلة للابتعاد عن شهوات النفس وغرائزها، واجعله اختباراً  
لنفسك لتدرك مدى عجزك وضعفك، بحيث أنك لاتقدر لوحدك على القيام  
بأي شئ من حركاتك وسكناتك بدون أذن الله وحكمه وتقديره.  
ويتجلى في مسألة النوم مدى عجز الانسان وضعفه، بحيث ما أن يمر عليه  
وقت قصير أو ينشغل بعمل بسيط حتى يدب التعب والاعياء في مفاصل جسده،  
فيحتاج الى الاستراحة وتعطيل جميع حواسه وقواه والتوقف عن العمل لفترة  
قصيرة والألن يتمكن من القيام بأي عمل آخر.



«فَإِنَّ النَّوْمَ أَخُ الْمَوْتِ فَاسْتَدِلَّ بِهَا عَلَى الْمَوْتِ الَّذِي لَا تَجِدُ السَّبِيلَ إِلَى  
الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّجُوعِ إِلَى إِصْلَاحِ مَا فَاتَ عَنْكَ».

## النوم أخ الموت:

يعد النوم بمثابة المنبه لأهل البصيرة، يستدلون به على الموت وعلى ثبوت  
المعاد.

فالنوم بلا شك أخ الموت، اذ كما تتعطل حواس الانسان وقواه في الموت  
تتعطل كذلك في النوم، أو على اعتبار القرب بين النوم والموت قال عليه السلام: النوم  
أخ الموت، لأن علاقة الروح بالجسد تضعف في عالم النوم ويحتاج تعلق القوى  
بالجسد واليقظة الى الأذن من الحق تعالى، فان منحها الأذن تعلقت هذه القوى  
بالجسد ونهضت الروح من نومها والأناقطع هذا التعلق بينها تماماً، وبقي في نومه  
كأنه انسان ميت.

وقد جعل الله الحكيم المطلق بحكمته الكاملة النوم شبيهاً بالموت، حتى  
يستدل به أهل البصيرة على الموت الذي لا ينتبه الانسان ولا يستيقظ فيه الأ يوم  
القيامة، حينها لا يتمكن من الرجوع الى اصلاح ما فات، ولا يبق له سوى الندم  
والحسرة والغم على ما كسبت يداه.

وعلى هذا الأساس، ينبغي على الانسان بعد كل يقظة أن يتصور أنه انما استيقظ من نوم الغفلة، فيسعى لتعويض واصلاح ما فاته ويقدم على العبادات والطاعات ويسارع الى محاسبة نفسه قبل أن يحاسبه الحق تعالى، حتى ينال خير الدنيا ونعمة الحياة الطيبة فيها وينال كرامة الآخرة وثوابها الأبدي.

(جميع الخلق يتخبطون في آفة الغفلة فلا تكن منهم واستيقظ من غفلتك، واعمد الى محاسبة نفسك ومعاقبتها قبل أن يحل عليك غضب الله وعقابه، فان كنت تطلب النظر الى جمال الله عليك بهتذيب النفس لتصبح أهلاً لرؤية جماله، فجمال وجهه الازلي كشمس لاتغيب لذا على كل ذرة منك الاقرار بعظمته وجماله الى الأبد وفي العدم والوجود حتى تتمكن من الوصول الى مقام القرب واللقاء).

\* \* \*

«وَمَنْ نَامَ عَنْ فَرِيضَةٍ أَوْ سُنَّةٍ أَوْ نَافِلَةٍ فَاتَهُ بِسَبَبِهَا فَذَلِكَ نَوْمُ الْغَافِلِينَ  
وَسِيرَةُ الْخَاسِرِينَ، وَصَاحِبُهُ مَفْتُونٌ. وَمَنْ نَامَ بَعْدَ فَرَاعِهِ مِنْ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ  
وَالسُّنَنِ وَالْوَاجِبَاتِ مِنَ الْحُقُوقِ فَذَلِكَ نَوْمٌ مَحْمُودٌ».

### نوم الغافلين:

من نام عن فريضة أو سنة أو نافلة فاتته بسببه فذلك نوم الغافلين وسيرة الخاسرين وعمل المتضررين، وصاحبه مفتون بنفسه وهوها بتقدمه النوم على العبادة ولذة النفس وشهوتها على لذة القلب فما أسوء ما فعل.  
وهل يوجد شيء يمكن مبادلته بعظمة ثواب العبادة خاصة الواجبات الالهية منها؟! فليعلم كل من يقدم على مثل هذا العمل أنه انسان مريض يحتاج الى العلاج حتماً.

«وَمَنْ نَامَ بَعْدَ فَرَاعِهِ مِنْ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ وَالْوَاجِبَاتِ مِنَ الْحُقُوقِ  
فَذَلِكَ نَوْمٌ مَحْمُودٌ، وَصَاحِبُهُ يَنَالُ رِجَالَهُ وَعَنَابَتَهُ وَلَطْفَهُ».

«وَأَنى لَا أَعْلَمُ لِأَهْلِ زَمَانِنَا هَذَا شَيْئاً إِذَا أَتَوْا بِهَذِهِ الْخِصَالِ أَسْلَمَ مِنَ النَّوْمِ لِأَنَّ الْخَلْقَ تَرَكَوْا مُرَاعَاةَ دِينِهِمْ وَمُرَاقِبَةَ أَحْوَالِهِمْ وَأَخَذُوا شِمَالَ الطَّرِيقِ. وَالْعَبْدُ إِنْ اجْتَهَدَ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ كَيْفَ أَمَكَّنَهُ أَنْ لَا يَسْتَمِعَ إِلَّا مَا لَهُ مَانِعٌ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنَّ النَّوْمَ خَيْرٌ مِنْ أَخْذِ تِلْكَ الْأَلَاتِ فِي مَعَاصِي اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾، وَإِنَّ فِي كَثْرَتِهِ آفَاتٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى سَبِيلِ مَا ذَكَرْنَاهُ».

## النوم السليم:

قال الامام الصادق عليه السلام:

«وَأَنى لَا أَعْلَمُ لِأَهْلِ زَمَانِنَا هَذَا شَيْئاً إِذَا أَتَوْا بِهَذِهِ الْخِصَالِ أَسْلَمَ مِنَ النَّوْمِ».

فأسلم الأشياء هو النوم بعد أداء الفرائض والسنن والعمل بالأوامر والنواهي. «فأكثر الخلق تركوا مراعاة دينهم ومراقبة أحوالهم، وشغلوا جل وقتهم في الضلال وارتكاب الذنوب والمعاصي، وابتعدوا عن طريق النجاة واتجهوا في طريق الهلاك، لذا من الصعب على المؤمنين تجنب هذا العمل البعيد عن أوامر

الله وفضائله، فعليهم ان يجتهدوا بأن لا يتكلموا في الطريق، لكن كيف يمكنهم ذلك؟

وعلى هذا الأساس يكون النوم وسيلة وعلّة للابتعاد عن الكلام مع الآخرين، لذا فهو يعد مخرجاً جيداً عند المؤمن للهروب من الوقوع في الذنوب، اذ من الأفضل للانسان بعد أدائه واجباته الالهية أن يخلد للنوم للاستراحة والابتعاد عن شر الذنوب التي يمكن أن تلحق به. وقد بين الله تعالى في كتابه الكريم، أن أذن الانسان وعينه وقلبه تسأل يوم القيامة عما سمعت ورأت وأضمرت، فان كان مشروعاً وحقاً يثاب عليه، وان كان باطلاً يعاقب عليه.

لكن ينبغي علينا أيضاً أن ندرك أن النوم الكثير هو نوم مذموم حتى لو كان بعد أداء الواجبات الالهية، وسيورث قساوة القلب ومرض الجسد.  
العارف الهبي يقول:

(أيها القلب انهض في هذا الليل من نومك وتقرب الى الله بالآه والبكاء ان كنت تشاق الى رؤية وجه الحق تعالى، فأهل الحق ممن لبوا نداء الله يتجمعون في حرم كعبة الحق، فانهض من نوم غفلتك عن الله الذي طال لفترة طويلة وافتح عين قلبك للقاء الحق هذه الليلة، وفتح كلا عالمي الشهود بحسن الحق تعالى فلا تغفل عن الحق ان كنت واعياً هذه الليلة).

«وَكثْرَةُ النَّوْمِ يَتَوَلَّدُ مِنْ كَثْرَةِ الشُّرْبِ، وَكثْرَةُ الشُّرْبِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّبَعِ وَهُمَا يُثْقِلَانِ النَّفْسَ عَنِ الطَّاعَةِ وَيُقْسِيَانِ الْقَلْبَ عَنِ التَّفَكُّرِ وَالْخُضُوعِ».

### آفات النوم الكثير:

انما ينشأ النوم الكثير عن كثرة الشرب، وكثرة الشرب ناشئة عن كثرة الشبع وكلاهما يؤديان الى ثقل النفس عن الطاعة، كما يؤديان الى قساوة القلب حتى يتعد عن التفكير في آيات الله والخضوع الى الله تعالى.

ويقول الامام الصادق عليه السلام في نهاية الرواية:

«وَاجْعَلْ كُلَّ نَوْمِكَ آخِرَ عَهْدِكَ مِنَ الدُّنْيَا»، وانك لن تنتفع  
أبداً من هذا النوم.

«وَأذْكَرِ اللَّهَ بِقَلْبِكَ وَلِسَانِكَ، وَخَفِ اطَّلَاعَهُ عَلَى سِرِّكَ،  
وَاعْتَقِدْ بِقَلْبِكَ مُسْتَعِيناً بِهِ فِي الْقِيَامِ إِلَى الصَّلَاةِ إِذَا انْتَبَهْتَ؛  
فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَقُولُ لَكَ: نَمْ فَإِنَّ لَكَ بَعْدَ لَيْلٍ طَوِيلًا؛ يُرِيدُ  
تَفْوِيتَ وَقْتِ مُنَاجَاتِكَ وَعَرْضِ حَالِكَ عَلَى رَبِّكَ، وَلَا تَغْفَلْ  
عَنِ الْإِسْتِغْفَارِ بِالْأَسْحَارِ، فَإِنَّ لِلْقَاتِنِينَ فِيهِ أَشْوَاقًا».

الباب

(٤٥)

في آداب المعاشرة





قال الصادق عليه السلام:

حُسْنُ الْمُعَاشِرَةِ مَعَ بَخْلَقِ اللَّهِ تَعَالَى فِي غَيْرِ مَعْصِيَتِهِ مِنْ مَزِيدِ فَضْلِ اللَّهِ عِنْدَ عَبْدِهِ، وَمَنْ كَانَ خَاضِعاً لِلَّهِ فِي السِّرِّ كَانَ حَسَنَ الْمُعَاشِرَةِ فِي الْعَلَانِيَةِ. فَعَاشِرِ الْخَلْقِ لِلَّهِ تَعَالَى وَلَا تُعَاشِرْهُمْ لِنَصِيحِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَلِطَلْبِ الْجَاهِ وَالرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ، وَلَا تَسْفُطَنَّ بِسَبِّهَا عَنْ حُدُودِ الشَّرِيعَةِ مِنْ بَابِ الْمُمَائِلَةِ وَالشَّهْوَةِ فَإِنَّهُمْ لَا يُغْنُونَ عَنْكَ شَيْئاً، وَتَفُوتُكَ الْأَخِرَةُ بِلا فائدة.

وَأَجْعَلْ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ بِمَنْزِلَةِ الْأَبِ وَالْأَصْغَرَ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ وَالْمِثْلَ بِمَنْزِلَةِ الْأَخِ، وَلَا تَدْعَ مَا تَعَلَّمَهُ يَقِيناً مِنْ نَفْسِكَ بِمَا تَشْكُ فِيهِ مِنْ غَيْرِكَ، وَكُنْ رَفِيقاً فِي أَمْرِكَ بِالْمَعْرُوفِ وَشَفِيقاً فِي نَهْيِكَ عَنِ الْمُنْكَرِ.

وَلَا تَدْعَ النَّصِيحَةَ فِي كُلِّ حَالٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا!». وَأَقْطَعْ عَمَّنْ تُنْسِيكَ وَصَلَّتْهُ ذِكْرَ اللَّهِ وَتَشْغَلُكَ أَلْفَتُهُ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ وَأَعْوَانِهِ وَلَا يَحْمِلَنَّكَ رُؤْيَتُهُمْ عَلَى الْمُدَاهَنَةِ عِنْدَ الْخَلْقِ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ الْخُسْرَانَ الْعَظِيمَ.

«حُسْنُ الْمُعَاشِرَةِ مَعَ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى فِي غَيْرِ مَعْصِيَتِهِ مِنْ مَزِيدِ فَضْلِ اللَّهِ عِنْدَ عَبْدِهِ، وَمَنْ كَانَ خَاضِعاً لِلَّهِ فِي السِّرِّ كَانَ حَسَنَ الْمُعَاشِرَةِ فِي الْعَلَانِيَةِ».

### حقيقة المعاشرة:

يشير الامام الصادق عليه السلام في هذا الفصل الى واحدة من أهم المسائل الانسانية الشديدة التأثير في حياة الانسان وآخرفته الا وهي مسألة الصداقة والمعاشرة والصديق والمعاشر.

ويرى الامام الصادق عليه السلام أن من لا يتصف بالصفات الانسانية والالهية لا يكون أهلاً للصداقة والمعاشرة؛ بل هو عدو خطير للانسان حذر منه القرآن الكريم والسنة الشريفة حيث وصفوه بالشیطان والعدو.

فمن يدفع الانسان لمعصية الله ويشجعه على مخالفة أوامر الله ويبعده عن ترقى مراتب الكمال هو عدو خطير للانسان رغم ما يديه من صداقة ومحبة، لذا ينبغي على الانسان الحذر الشديد منه لأن الابتعاد عن مثل هؤلاء الأفراد يجلب للانسان خير الدنيا والآخرة والتقرب اليهم ومعاشرتهم تورثهم خسران الدنيا والآخرة والهلاك الأبدي.

نعم، يعد الالتزام بشروط وواجبات مسألة الصداقة والمعاشرة من جملة موارد

رعاية التقوى، لما لها من تأثير كبير وسريع على حال الانسان وأخلاقه. وهي طريق محفوفة بالمخاطر الشديدة يتطلب السير فيها الحذر والمعرفة التامة بمسائل الدين. (عش حياة التقوى وطهر القلب والروح بمعرفة عالم المعنى، وعش حياة التقوى مع الصديق والرفيق لما له من تأثير عظيم في تفكيرك ورؤيتك، وعش حياة التقوى لتبعد عن نفسك كل موارد الشك حتى تصل الى مرحلة اليقين، وعش حياة التقوى حتى يمتلأ قلبك بمعاني الحب والعشق للمحجوب).

### الأصدقاء الحقيقيون:

لا شك ان الانسان يحتاج في مسيرة حياته الى الرفيق والصديق، لذا ينبغي على الانسان أن يستثمر هذه الغريزة الالهية في موردها الصحيح واختيار الأصدقاء والرفاق الحقيقيين ممن يحملون أسمى الصفات والفضائل الالهية التي تجلب للانسان خير الدنيا والآخرة وتزيد من كمال الانسان وتقوية جذور شجرة الطاعة والايمان في قلبه.

ان الأصدقاء الحقيقيين هم من يساهمون في نمو الانسان وتكامله واعلاء مكانته وسمعته، ولا يتغنون من صداقتهم سوى خير الصديق ومصالحته.

ان معيار الصداقة الحققة في الشريعة الاسلامية هو تكامل عقل الانسان وضميره وفطرته وأخلاقه وتربيته نتيجة لمرافقة هذا الصديق ومعاشرته، بحيث يدفع نحو السير في طريق كسب رضا الله تعالى.

وعلى ضوء هذا المعيار وما حملته المعارف الاسلامية والسماوية السامية للاسلام التي جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، نستنتج أن الأصدقاء الحقيقيين هم:

١- الله خالق العالم

٢- الأنبياء

٣- الأئمة عليهم السلام

٤- العرفاء الحقيقيون

٥- الحكماء الالهيون

٦- المؤمنون الحقيقيون

وهذه المجموعات الستة تدعوا الانسان في جميع مراحل حياته الى النمو والكمال والسير نحو حياة مزينة بأنواع الفضائل والصفات الأخلاقية ومنزهة من جميع الرذائل.

١- الله تعالى:

يقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾<sup>١</sup>

صاحب تفسير الميزان يقول في ذيل هذه الآية:

الحياة أنعم نعم وأعلى سلعة يعتقدها الموجود الحي لنفسه كيف لا؟ وهو لا يرى وراءه الا العدم والبطلان، وأثرها الذي هو الشعور والإرادة هو الذي ترام لأجله الحياة ويرتاح إليه الانسان ولا يزال يفر من الجهل وافتقاد حرية الإرادة والاختيار وقد جهز الانسان وهو أحد الموجودات الحية بما يحفظ به حياته

١- الأنفال ٨: ٢٤.

٢- تفسير الميزان، ج ٩، ص ٤٢.

الروحية التي هي حقيقة وجوده كما جهز كل نوع من أنواع الخليفة بما يحفظ به وجوده وبقاءه. وهذا الجهاز الانساني يشخص له خيراته ومنافعه، ويحذره من مواطن الشر والضرر. وإذ كان هذه الهداية الإلهية التي يسوق النوع الانسان إلى نحو سعادته وخيره ويندبه نحو منافع وجوده هداية بحسب التكوين وفي طور الخلقة، ومن المحال ان يقع خطأ في التكوين، كان من الحتم الضروري ان يدرك الانسان سعادة وجوده إدراكا لا يقع فيه شك كما أن سائر الأنواع المخلوقة تسير إلى ما فيه خير وجوده ومنافع شخصه من غير أن يسهو فيه من حيث فطرته، وإنما يقع الخبط فيما يقع من جهة تأثير عوامل وأسباب أخر مضادة تؤثر فيه اثرا مخالفا ينحرف فيه الشيء عما هو خير له إلى ما هو شر، وعما فيه نفعه إلى ما فيه ضرر يعود إليه، وذلك كالجسم الثقيل الأرضي الذي يستقر بحسب الطبيعة الأرضية على بسط الأرض ثم انه يبتعد عن الأرض بالحركة إلى جهة العلو بدفع دافع يجبره على خلاف الطبع فإذا بطل أثر الدفع عاد إلى مستقره بالحركة نحو الأرض على الاستقامة إلا ان يمنعه مانع فيخرجه عن السير الاستقامي إلى انحراف واعوجاج. وهذا هو الذي يصر عليه القرآن الكريم ان الانسان لا يخفى عليه ما فيه سعادته في الحياة من علم وعمل، وأنه يدرك بفطرته ما هو حق الاعتقاد والعمل قال تعالى: (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم).

نعم ربما أخطأ الانسان طريق الحق في اعتقاد أو عمل وخطب في مشيته لكن لا لان الفطرة الانسانية والهداية الإلهية أوقعتة في ضلالة وأوردته في تهلكة بل لأنه أغفل عقله ونسى رشده واتبع هوى نفسه وما زينه جنود الشياطين في عينه. فهذه الأمور التي تدعو إليها الفطرة الانسانية من حق العلم والعمل لوازم

الحياة السعيدة الانسانية وهى الحياة الحقيقية التي بالحرى ان تختص باسم الحياة، والحياة السعيدة تستبعا كما انها تستلزم الحياة وتستبعا، وتعيدها إلى محلها لو ضعفت الحياة في محلها بورود ما يضادها ويبتل رشد فعلها. فإذا انحرف الانسان عن سوى الصراط الذي تهديه إليه الفطرة الانسانية وتسوقه إليه الهداية الإلهية، فقد فقد لوازم الحياة السعيدة من العلم النافع والعمل الصالح، ولحق بحلول الجهل وفساد الإرادة الحرة والعمل النافع بالأموال ولا يحيه إلا علم حق وعمل حق، وهما اللذان تندب إليهما الفطرة وهذا هو الذي تشير إليه الآية التي نبحت عنها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

نعم، هذه أسمى وأنفع أنواع الصداقة التي يريدها الله ورسوله دائماً للانسان في جميع أبعاد حياته.

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>١</sup>.

نعم، لقد بين الله تعالى في القرآن الكريم الذي أرسله هداية للعالمين كل ما فيه خير وضرر العباد في الدنيا والآخرة، فكان بمثابة وصفة كاملة وجامعة لعلاجهم من جميع العيوب والنواقص.

وصفة تحمل الشفاء والرحمة لأهل الايمان والضرر والخسران للمنحرفين المتجاوزين؛ أي كل من يعتقد بالحق تعالى ويتزين بمعرفة الكتاب ويعمل وفق تعاليمه سيصل الى الشفاء والرحمة الالهية، وكل من يبقى جاهلاً به ولا يعمل

وفق تعاليمه سيخسر الدنيا والآخرة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ  
وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>١</sup>.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا  
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾<sup>٢</sup>.

نعم، كل من يقرأ القرآن بقلبه بدقة وفهم سيصل الى معرفة الله ونفسه ومعرفة الدنيا والآخرة، وبواسطة هذه المعرفة يتمكن من أداء صلواته على أكمل وجه، ثم يزهد بملذات الدنيا فينفق في سبيل الله كل ما أنعم الله به عليه من مال وعلم ومقام، وبهذا البرنامج الالهي سيقف بكسب تجارة لن تبور وليس فيها أي خسارة أو ضرر أبداً.

محبة الله لعباده:

لكي تدركوا معنى محبة حضرة الحق للانسان، ينبغي عليكم قراءة القرآن المجيد بدقة وفهم وتأنى حتى تتمكنوا من الوقوف على هذه الحقيقة المهمة، وتيقنوا أن الحق تعالى لا يريدوا لكم سوى خير الدنيا والآخرة في جميع مجالات حياتكم، ولن يرضى بأدنى ضرر يلحق بكم في الأمور المادية والمعنوية.

وقد ذكرت الكتب الروائية المهمة الكثير من المعارف الالهية في مجال عناية الحق تعالى ومحبه لعباده، نشير هنا الى بعضها:

﴿أَهْلُ طَاعَتِي فِي ضِيَافَتِي، وَأَهْلُ شُكْرِي فِي زِيَارَتِي، وَأَهْلُ

١- الحج ٢٢: ٧٧.

٢- فاطر ٣٥: ٢٩.

ذَكَرِي فِي نِعْمَتِي، وَأَهْلُ مَعْصِيَتِي أَوْسُهُمْ مِنْ رَحْمَتِي، إِنَّ  
تَابُوا فَأَنَا حَبِيبُهُمْ، وَإِنْ مَرَضُوا فَأَنَا طَبِيبُهُمْ أَدَاوِيهِمْ بِالْمَحَنِ  
وَالْمَصَائِبِ لِاطْهَرَهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَايِبِ»<sup>١</sup>.

(ان السعي للقاء الحق يستحق تضحي في سبيله آلاف الأرواح، لذا عليك  
السعي في فناء الذات ما استطعت حتى تصبح أهلاً للقاءه، فعيون المشتاقين للقاءه  
حقيقة واقعة تتألق بنور عظمته، وهذه الحقيقة تتجلى ليل نهار في قلوب العاشقين  
الممتلئة بمعرفته، حينها لا ينبغي الكلام في جلال حضرته بل اجعل جميع منصته  
للاستماع الى كلامه وتطلع على أسراره، فنوره وناره انما تمثلت في جهنم  
والجنة لكن ليس تعبيراً لنور جلال عظمته، وفيها ليس للانسان أمل سوى بلطفه  
ورحمته العظيمة).

«تَعَلَّمَ الْخَيْرَ وَعَلَّمَهُ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ، فَإِنِّي مُنَوَّرٌ لِمُعَلِّمِي الْخَيْرِ  
وَمُتَعَلِّمِيهِ قُبُورَهُمْ حَتَّى لَا يَسْتَوْحِشُوا بِمَكَانِهِمْ»<sup>٢</sup>.

أوحى الله سبحانه وتعالى إلى كليمه «موسى بن عمران» عليه السلام يا موسى إني  
وضعت ستة أشياء في ستة أشياء والناس يطلبونها في ستة أشياء أخرى فلن  
يجدوها أبداً:

الراحة: «أني وضعت الراحة في الجنة والناس يطلبونها في الدنيا فلن يجدوها قط»  
العلم: «أني وضعت العلم في الجوع والغربة والناس يطلبونه في الشبع والوطن  
فلن يجدوه قط»

١- أعلام الدين: ٢٧٩؛ بحار الأنوار: ٤٢/٧٤، الباب ٢، الحديث ١٠.

٢- ارشاد القلوب: ١٣/١؛ كلمة: الله ١٥٧.



العز: «أني وضعت العز في قيام الليل والناس يطلبونه في أبواب السلاطين فلن يجدوه قط»

الرفعة والدرجة: «أني وضعت الرفعة والدرجة في التواضع والناس يطلبونها في التكبر فلن يجدونها قط»

الغنى: «أني وضعت الغنى في القناعة والناس يطلبونها في طلب المال فلن يجدونها قط»

اجابة الدعاء: «أني وضعت إجابة الدعاء في لقمة الحلال والناس يطلبونها في القيل والقال فلن يجدها قط»<sup>١</sup>

قال الله تعالى: «يا عِبَادِ سِتَّةٌ مِنِّي وَمِنْكُمْ: الْمَغْفِرَةُ مِنِّي وَالتَّوْبَةُ مِنْكُمْ وَالْجَنَّةُ مِنِّي وَالطَّاعَةُ مِنْكُمْ، وَالرِّزْقُ مِنِّي وَالشُّكْرُ مِنْكُمْ، وَالْقَضَاءُ مِنِّي وَالرِّضَا مِنْكُمْ، وَالْبَلَاءُ مِنِّي وَالصَّبْرُ مِنْكُمْ، وَالْإِجَابَةُ مِنِّي وَالدُّعَاءُ مِنْكُمْ»<sup>٢</sup>.

أهل الخير في حديث المعراج:

قال الله تعالى الى الرسول الأكرم ﷺ:

يا أحمد إن أهل الخير وأهل الآخرة رقيقة وجوههم، كثير حياؤهم، قليل حقمهم، كثير نفعهم، قليل مكرهم، الناس منهم في راحة وأنفسهم منهم في تعب كلامهم موزون، محاسبين لأنفسهم، متعين لها، تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، أعينهم باكية وقلوبهم ذاكرة، إذا كتب الناس من الغافلين كتبوا من الذاكرين،

١- المواعظ العددية: ٢٩٢، الباب السادس، فصل ١٠.

٢- المواعظ العددية: ٢٩٢، الباب السادس، فصل ٣.

في أول النعمة يحمدون وفي آخرها، يشكرون، دعاؤهم عند الله مرفوع، وكلامهم مسموع، تفرح الملائكة بهم، يدور دعاؤهم تحت الحجب، يحب الرب أن يسمع كلامهم كما تحب الوالدة ولدها، ولا يشغلهم عن الله شئ طرفة عين، ولا يريدون كثرة الطعام، ولا كثرة الكلام، ولا كثرة اللباس، الناس عندهم موتى، والله عندهم حي قيوم كريم، يدعون المدبرين كرماً، ويريدون المقبلين تطفأ، قد صارت الدنيا والآخرة عندهم واحدة، يموت الناس مرة ويموت أحدهم في كل يوم سبعين مرة من مجاهدة أنفسهم ومخالفة هواهم، والشيطان الذي يجري في عروقهم، ولو تحركت ريح لززعتهم، وإن قاموا بين يدي كأنهم بنيان مرصوص لا أرى في قلبهم شغلاً لمخلوق، فوعزتي وجلالي لأحيينهم حياة طيبة، إذا فارقت أرواحهم من جسدكم، لا أسلط عليهم ملك الموت، ولا يلي قبض روحهم غيري، ولا فتحن لروحهم أبواب السماء كلها، ولأرفعن الحجب كلها دوني، ولآمرن الجنان فلتزينن، والحدور العين فلتزفن والملائكة فلتصلين والأشجار فلتثمرن.<sup>١</sup>

على كل حال، الله تعالى أفضل رفيق للانسان وخير ناصر ومعين، فهنيئاً لمن كان الله رفيقه ومعينه ومرشده في جميع أبعاد حياته، ليفتح أمامه جميع أبواب السعادة وينال خير الدنيا والآخرة:

«إِنَّهُ خَيْرٌ رَفِيقٌ وَخَيْرٌ نَاصِرٌ وَمُعِينٌ».

العارف العاشق داعي شيرازي، يقول:

(ذلك الانسان الذي خلق من طين حصل في أربعين صباحاً على قلب يحمل معاني الحب والعشق، وأصبح هذا القلب مرآة ظهوره ومظهراً من مظاهر نوره،

فيا سالكاً ان كنت تنوي سلوك طريق العشق انهض واحمل متاعك نحو الحبيب، ولا تفكر في ملذات الدنيا من أكل وشراب فانها حجاب الحقيقة، وان كنت تنوي السير في طريق الحق فاترك طريق اللهو والعبث، واعتزل كل ما هو غير الحق واسبر أغوار النفس، وان تطلب معنى الفناء فهو يتجاوز معنى الوجود والعدم، والابتعاد عن كل ما يرتبط بهذه الدنيا من صفات، فهو التخلي عن الذات والصفات والفعل والآثار وكل وهم وفكر وخيال).

## ٢- الأنبياء:

يحمل أنبياء الله أحسن الصفات وأفضلها فهم يحملون الفضل والخلوص والأدب والفطرة الطاهرة والأصالة والكمال والشرف، وقد ضحوا في سبيل الله بأرواحهم وكل مالديهم من أجل رفعة الاسلام وثباته، فكانوا خير معلمين ومربين للناس جميعاً.

ولشدة طهارتهم ونورانيتهم وخلصهم كانوا على اتصال دائم بالوحي الالهي، فيأخذون من مقام الربوبية الفيوضات الالهية ليستعينوا بها على هداية الناس نحو خير الدنيا والآخرة.

الأنبياء هم أزهار هذه الحياة، ومجلوا الظلمات، ونور طريق الرشد والكمال، وشمس الحقيقة والمعنى وأفضل مظاهر الفضيلة والكرامة.

فاتباع الأنبياء واجب شرعاً وعقلاً وطبعاً؛ لأن الانسان أثبت استحالة وصوله الى الحياة السليمة في الدنيا والآخرة بدون مساعدة الأنبياء وهدايتهم.

## الأنبياء الأخوة الحقيقيين للانسان:

أثبت الانسان عجزه عن سن القوانين المتكاملة والقادرة على ادارة أمور حياته، ولايزال عاجزاً عن ذلك، وسيظل في المستقبل عاجزاً عنه أيضاً، وحتى

يتمكن من تعويض هذا النقص في ذاته والبحث عن وسائل النمو والكمال يجب عليه التمسك برحمة الأنبياء وكرامتهم لأنهم الرفيق الأفضل والصديق الأكمل للانسان، حتى أن القرآن الكريم وصفهم بأنهم الأخوة الحقيقيين للانسان:

فقال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾<sup>١</sup>!

وقال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾<sup>٢</sup>.

وقال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾<sup>٣</sup>.

وقال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾<sup>٤</sup>.

فالأنبياء الالهيون هم العارجون في معارج القرب والكمال والناهجون لمناهج الجلال والجمال وشموس فلك الرسالة وأقمار سماء الجلالة وهداة مراصد السبل وقادة طريق السداد ومرشدوا سبيل الرشاد.

والانسان في بعديه المادي والمعنوية يحتاج الى نعم الحق تعالى، فلأجل توفير احتياجاته المادية يحتاج الى النعم الالهية المادية ولا يوجد من يستغني عن هذه المائدة الالهية، ولتوفير احتياجاته المعنوية يحتاج الى التربية الالهية التي توضع قواعدها وأسسها بواسطة الأنبياء الالهيين، لكن للأسف نفص الكثيرون يدهم من هذه المائدة ولم يكن هذا الجفاء منهم بحق الأنبياء الأ بسبب طغيان الشهوات والميول والغرائز الحيوانية.

١- الشعراء ٢٦: ١٠٦.

٢- الشعراء ٣٦: ١٢٤.

٣- الشعراء ٢٦: ١٤٢.

٤- الشعراء ٢٦: ١٦١.

فلو حلق الانساء في فضاء تربية الأنبياء، وتعطر بعطر أشجار لطفهم الملكوتية، لتزيين بجميع القيم الالهية الحقبة ولأكتسب قابلية الوصول الى مقام القرب وبساط الأنس.

الانسان في كلام النراقي:

المرحوم الملا أحمد النراقي، العارف الكبير يقول:

يسير الانسان في حياته في بعدين:

الأول: البعد المعنوي الذي يحفز الانسان على الارتباط بالأرواح الطيبة والملائكة المقدسة.

والثاني: البعد المادي الذي يجعل الانسان شبيهاً بالبهايم والسباع.

وبواسطة بعده المادي يعيش الانسان في هذه الحياة لفترة قصيرة، ثم يسافر بعدها بواسطة بعده المعنوي الى العالم الأعلى ليقوم فيه الى الأبد ويتحدث مع ساكني عالم القدس، اذا ما كان طيلة فترة اقامته بالدنيا قد زهد بشهواتها وملذاتها وسعى في كسب الترقى والكمال حتى يتغلب بعده المعنوي على بعده المادي ويزيل عن روحه شوائب عالم الطبيعة وآثارها. فان طغت على روحه آثار البعد المعنوي سيبلغ حينها منزلة عظيمة، تمكنه رغم وجوده في عالم الدنيا من كسب الفيوضات من المبادئ الفياضة في كل لحظة وآن، ويتنور قلبه بالنور الالهي حتي يفارق هذه الدنيا، فتزال من أمام عين بصيرته جميع حجب ظلمات الطبيعة وشوائبها.

ولا يمكن ان يصل الانسان الى هذه المنزلة العظيمة الا بالاستعانة بتربية الأنبياء وتستمد شجرة وجوده غذاءها من الفيوضات الربانية، اذ لا يمكن لأحد

سوى الأنبياء تربية شخصيات مثل آسية، مريم، زينب، سلمان، المقداد، عمار وغيرهم.

فاذا ما اتصل الانسان بمنهج الأنبياء سيصبح مؤمناً حقيقياً ومسلماً واقعياً، ويتحول وجوده الى مصدر للخير والبركة والمنفعة.

(ان سألت عالماً ربانياً عن معنى المسلم لذكر فيه صفات كثيرة، فالمسلم من اتصلت حياته بالدنيا والآخرة فلا يتمسك بملذات الدنيا ولا يفنى في الآخرة، وهو من يحمل صفات العزم والجد والعمل والصبر والاطمئنان ولن تجد مسلماً متهاوناً متكاسلاً، وهو من يشمئز من الجهل ويسعى لطلب العلم فهو نور العلم في القلوب النورانية، وهو رجل العفو والرحمة والانصاف والرجولة ومظهر لكمال جميع الصفات الانسانية، ويتصف بطارة القلب والروح وحسن الأخلاق وفراسة المؤمن، وهو مظهر الصدق وصفاء القلب والروح ويسعى للعيش زاهداً بكل احتياجاته المادية، ويستمد منهجه من منهج القرآن فلا يتجاوز في أفعاله وسلوكه تعاليمه وأوامره، وهيئات أن يرتكب سوء الأعمال ورتائل الصفات لأنها مذمومة في دينه، ولن نشككي اذا ما خالفت أعمالنا أوامر الله وشريعته لأن الشكوى فيها عين الجهل والحمق).

### قصص بعض الأنبياء الالهيين:

للتيمن والتبرك وكسب الدروس والعبر، سنسعى قدر الامكان لذكر عدد من القصص الخاصة ببعض الأنبياء حتى نستنير بسلوكهم وأخلاقهم وكلامهم للوصول الى الحقيقة والتعرف على رفاق دربنا وأصدقائنا الحقيقيين.

وقد أكدت بعض الروايات على ثواب قراءة دعاء الخضر عليه السلام، لما تضيفه

معانيه وحقائقه من صفات سامية الى روح الانسان ونفسه وقلبه، مما يساعدنا على كسب رَبِّكَ ولطفه، وهذا الدعاء هو:

«يا مَنْ لا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ، يا مَنْ لا يُعْلِطُهُ سَائِلُونَ، يا مَنْ

لا يُبْرِئُهُ إلْحاحُ الْمُلْحِينِ أَذْقَنِي بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ رَحْمَتِكَ!».

نعم، الخضر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يسعى لهدايتنا الى تعاليم الحق لكسب رَبِّكَ وعفوه ولطفه، ونحن في هذا الطريق لا نملك سوى اللجوء الى التمسك بحضرة الحق ليكون هادينا ومرشدنا ومعيننا وناصرنا وأنيسنا ومؤنسنا لتحقيق سعادة الدنيا والآخرة.

قصة ذي القرنين:

جاء في القرآن المجيد ذكر ذي القرنين، حيث يروى أن ذا القرنين لما فرغ من عمل السد انطلق على وجهه، فبينما هو يسير وجنوده إذ مر على شيخ يصلي فوقف عليه بجنوده حتى انصرف من صلاته فقال له ذو القرنين: كيف لم يروك ما حضرك من جنودي؟ قال: كنت أناجي من هو أكثر جنودا منك، وأعز سلطانا، وأشد قوة ولو صرفت وجهي إليك لم أدرك حاجتي قبله.

فقال له ذو القرنين: هل لك في أن تنطلق معي فأواسيك بنفسي، وأستعين بك على بعض أمري؟ قال: نعم إن ضمننت لي أربع خصال:

نعيمًا لا يزول، وصحة لا سقم فيها، وشبابًا لا هرم فيه، وحياة لا موت فيها. فقال له ذو القرنين: وأي مخلوق يقدر على هذه الخصال؟ فقال الشيخ: فإني مع من يقدر عليها ويملكها وإياك.

١- الأمالي، الشيخ المفيد: ٩١، المجلس العاشر، الحديث ٨؛ بحار الأنوار: ١/٨٣، الباب ٣٨،

نعم، نحن ملك للحق تعالى وعبيده، وجميع مقاليد أمور حياتنا بيده وتخضع لسلطته، لذا من الخطأ أن نبتعد عن هذا الأصل ونتمسك بالفروع الزائلة، لأن التوحيد الحقيقي يقتضي الاعتقاد بأسباب وعلل خلق هذا العالم والتمسك بأوامر الله وعدم تجاوزها، وأن نعتقد بأنه تعالى مصدر خيرنا وعزتنا وكرامتنا، ونترزين بحقيقة لا حول ولا قوة إلا بالله.

فيينا هو يسير إذا وقع إلى الأمة العالمة من قوم موسى الذين يهدون بالحق وبه يعدلون، فلما رآهم قال لهم: أيها القوم أخبروني بخبركم، فإني قد درت الأرض شرقها وغربها وبرها وبحرها وسهلها وجبلها ونورها وظلمتها فلم ألق مثلكم، فأخبروني ما بال قبور موتاكم على أبواب بيوتكم؟ قالوا: فعلنا ذلك لثلاث نسي الموت ولا يخرج ذكره من قلوبنا.

قال: فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب؟ قالوا: ليس فينا لص ولا ظنين وليس فينا إلا أمين، قال: فما بالكم ليس عليكم امراء؟ قالوا: لا نتظام، قال: فما بالكم ليس بينكم حكام؟ قالوا: لا نختصم، قال: فما بالكم ليس فيكم ملوك؟ قالوا: لا نتكاثر، قال: فما بالكم لا تتفاضلون ولا تتفاوتون؟ قالوا: من قبل أنا متواسون متراحمون، قال: فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون؟ قالوا: من قبل الفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا، قال: فما بالكم لا تستبون ولا تقتلون؟ قالوا: من قبل أنا غلبنا طبائعنا بالعزم وسسنا أنفسنا بالحلم، قال: فما بالكم كلمتكم واحدة وطريقتكم مستقيمة؟ قالوا: من قبل أنا لا نتكاذب ولا نتخادع ولا يغتاب بعضنا بعضا، قال: فأخبروني لم ليس فيكم مسكين ولا فقير؟ قالوا: من قبل أنا نقسم بالسوية، قال: فما بالكم ليس فيكم فظ ولا غليظ؟ قالوا: من قبل الذل والتواضع، قال: فلم جعلكم الله عز وجل أطول الناس أعمارا؟ قالوا: من قبل أنا نتعاطى الحق ونحكم



بالعدل، قال: فما بالكم لا تحفظون؟ قالوا: من قبل أنا لا نغفل عن الاستغفار.  
 قال: فما بالكم لا تحزنون؟ قالوا: من قبل أنا ووطننا أنفسنا على البلاء فعزينا  
 أنفسنا، قال: فما بالكم لا يصيبكم الآفات؟ قالوا: من قبل أنا لا نتوكل على غير  
 الله عز وجل، ولا نستمطر بالأنواء والنجوم!

عفو يوسف:

نقرأ في القرآن الكريم في الآيات من ٨٧ - ٩٠ من سورة يوسف:

﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُؤْا  
 مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ \*  
 فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضُّرَّ وَجِئْنَا  
 بِيضَاعَ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي  
 الْمُتَصَدِّقِينَ \* قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ  
 جَاهِلُونَ \* قَالُوا أَأِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا  
 أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ  
 أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

نعم، يقدم الأنبياء لجميع الناس دروساً في الحلم والصبر والاستقامة والابتعاد  
 عن الذنوب. وكل من يتمكن من المحافظة على نفسه في مواجهة الحوادث  
 الواقعة من التلوث بالذنوب والآثام وعدم التهاون مع الأعداء وعدم الركون

١- الأمالي، الشيخ الصدوق: ١٧٠، المجلس الثاني؛ بحار الأنوار: ١٧٥/١٢، الباب ٨

للظلم والظالمين والصبر والثبات على التمسك بأوامر الله وتعاليمه، ستكون عاقبته الحصول على الخير والسلامة والسعادة في الدنيا والآخرة.

وبعد أن عرف الأخوة أمر يوسف فزغوا من فعلتهم القديمة، لكن يوسف عزيز مصر طمأنهم قائلاً:

﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾<sup>١</sup>.

وهذا درس آخر يقدمه الأنبياء للإنسان، هو درس الصفح والعفو، درس التسامح وتجاوز أخطاء الآخرين من أبناء جنسهم ونوعهم، حتى تتصف الحياة مع الآخرين بجو من المحبة والصفاء والتعاون والوفاء.

صبر أيوب:

يقول القرآن المجيد عن أيوب عليه السلام:

﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾<sup>٢</sup>.

رغم كل المصائب والبلاء الذي تعرض له أيوب عليه السلام لكنه حافظ على رباطة جأشه وحلمه وصبره ولم ينحرف قط عن منهج العبودية والطاعة والتسليم للحق تعالى، فخرج من الامتحان الالهي مرفوع الرأس شامخاً ليخلد اسمه الى الأبد نموذجاً هياً في الصبر والاستقامة على البلاء ليكون عظة وعبرة خالدة لجميع العباد حتى يوم القيامة، فكأن النبي أيوب يقول للإنسان: احذر ان تتعد عن ربك بسبب أيام معدودة من البلاء، ولا تظهر الغضب والجزع والشكوى من خالفك الذي لا ينظر لك سوى بعين الرحمة واللطف، فاصبر على البلاء في محضره صبر عبد مخلص مطيع.

١- يوسف ١٢: ٩٢.

٢- ص ٣٨: ٤٤.

شعيب وأهل مدين:

﴿وإِلَىٰ مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ \* وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكثَرْتُمْ وَاَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>١</sup>.

وصايا موسى:

ينقل نبي الله موسى عليه السلام عن مصدر الوحي مسائل مهمة في أبواب أخلاقية مختلفة، سنشير هنا الى بعضها:

قال الله تبارك وتعالى لموسى عليه السلام: يا موسى احفظ وصيتي لك بأربعة أشياء:

أولاهن: ما دمت لا ترى ذنوبك تغفر فلا تشتغل بعيوب غيرك.

والثانية: ما دمت لا ترى كنوزي قد نفدت فلا تغتم بسبب رزقك.

والثالثة: ما دمت لا ترى زوال ملكي فلا ترج أحدا غيري.

والرابعة: ما دمت لا ترى الشيطان ميتا فلا تأمن مكره.<sup>٢</sup>

وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام احببني وحببني إلى خلقي:

١- الأعراف ٧: ٨٥ - ٨٦

٢- الخصال: ٢١٧/١، الحديث ٤١؛ بحار الأنوار: ٣٤٤/١٣، الباب ١١، الحديث ٢٦.

قال موسى: يا رب إنك لتعلم أنه ليس أحد أحب إلى منك، فكيف لي بقلوب العباد؟

فأوحى الله إليه: فذكرهم نعمتي وآلائي، فإنهم لا يذكرون مني إلا خيرا.<sup>١</sup>  
 رأى موسى بن عمران عليه السلام رجلا تحت ظل العرش، فقال: يا رب من هذا الذي أدنيتَه حتى جعلته تحت ظل العرش؟  
 فقال الله تبارك وتعالى: يا موسى هذا لم يكن يعق والديه، ولا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله.<sup>٢</sup>  
 قال موسى: يا رب ما لمن عاد مريضا؟ قال: أوكل به ملكا يعودُه في قبره إلى محشره.

قال: يا رب ما لمن غسل ميتا؟ قال: أخرجَه من ذنوبه كما خرج من بطن أمه.  
 قال: يا رب ما لمن شيع جنازة؟ قال: أوكل به ملائكة معهم رايات يشيعونه من محشره إلى مقامه.

قال: فما لمن عزى الثكلى؟ قال: اظله في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي. تعالى الله.  
 وقال: فيما ناجى الله به موسى أن قال: أكرم السائل إذا هو أتاك بشئ يبذل يسير أو برد جميل، فإنه قد يأتيك من ليس بجني ولا إنسي: ملك من ملائكة الرحمن ليبلوك فيما خولتك، ويسألك عما مولتك فكيف أنت صانع؟<sup>٣</sup>

١- الأمامي، الشيخ الطوسي: ٤٨٤، المجلس السابع عشر، الحديث ١٠٥٨؛ بحار الأنوار: ٣٥١/١٣، الباب ١١، الحديث ٤٣.

٢- الزهد: ٣٨، الباب ٥، الحديث ١٠٢؛ بحار الأنوار: ٣٥٣/١٣، الباب ١١، الحديث ٤٨.

٣- قصص الانبياء، الراوندي: ١٦٣، الفصل ٥، الحديث ١٨٥؛ بحار الأنوار: ٣٥٤/١٣، الباب ١١، الحديث ٥٢.

وجاء في حديث معتبر:

بينما موسى جالس إذ أقبل إبليس وعليه برنس ذو ألوان فوضعه ودنا من موسى وسلم، فقال له موسى: من أنت؟ قال: إبليس، قال: لا قرب الله دارك، لماذا البرنس؟ قال: أختطف به قلوب بني آدم.

فقال له موسى عليه السلام: أخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه، قال: ذلك إذا أعجبتة نفسه، واستكثر عمله، وصغر في نفسه ذنبه.

وقال: يا موسى لا تحل بامرأة لا تحل لك فإنه لا يخلو رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي.

فإياك أن تعاهد الله عهدا فإنه ما عاهد الله أحد إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء به.

وإذا هممت بصدقة فامضها فإذا هم العبد بصدقة كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبينها.

وقد نقل لنا نبي الله موسى العديد من الدروس والعبر والمواعظ، لكننا اكتفينا في هذا القسم بذكر بعض النماذج منها التي تبين مدى أهمية وجود مثل هؤلاء الرفاق والأصدقاء الحقيقيين للانسان، وتتخذها وسيلة مهمة في طريقنا نحو الكمال والقرب الالهي.

(أيها الانسان عليك الزهد بالحياة والفناء في ذات الحق حتى تعيش حياة الأولياء، ولتتعلق روحك بروح المحبوب لأنه بدون الفناء لن تطفئ ظمأك برؤية وجه الحبيب ولن تنعم بلحظة الوصال، ولا تعد خطوات الطريق بل عليك حث

الخطى بتأن وهدوء حتى تصل الى مقام القرب الالهي، ولتذوب روحك في ذات الحق لتشعر بألم الفراق حتى ترتقي مراتب الكمال وتنال ثواب الدنيا والآخرة).

تواضع سليمان وجلاله:

ذكر الله تعالى في كتابه الكريم قصة النبي سليمان حيث تحدث في سورة النمل عن تواضعه وجلاله، اذ كانت حياته بكافة أبعادها ممتلئة بأفضل الدروس والعبر لجميع الناس.

فرغم كل هذا الجلال والعظمة التي تمتع بها في حياته وتسخير كل شئ بأمره، لكنه كان يطحن القمح أو الشعير بيده لتهيئة خبز غذائه، اذ لم يكن يرغب أبداً بالارتزاق من مال مملكته أو من كسب الآخرين.

ورغم ملكه العظيم في أرض فلسطين لكنه كان يلبس الخشن من الثياب المصنوعة من الشعر، ويصنع بيده البساط من سعف النخيل ثم يبيعه ليكسب رزقه وينفق منه على عياله، وما أن يحل الليل حتى يجلس في محرابه لينشغل الى الصباح بالعبادة والمناجاة والتضرع والخشوع لربه، فلم يكن يتغ من حكمه وملكه سوى الدعوة لعبادة الحق تعالى وهداية الناس لما فيه خيرهم وسعادتهم، وحتى يتخذ الناس من سلوكه الدروس والعبر ليكون عوناً لهم في سيرهم التكاملي للوصول الى مقام القرب.

وقد ذكر القرآن المجيد رسولنا الكريم ﷺ بصفات عديدة فهو، شاهد، مبشر، نذير، أسوة، رحمة العالمين، رؤوف، رحيم، حريص على المؤمنين، أمين ومطاع، واعتبره أفضل رفيق وأنفع صديق ومعين للانسان.

## صفات المسلمين في المعاشرة:

«مَنْ صَبَمَتْ نَجَا»<sup>١</sup>.

«مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ، وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللَّهُ»<sup>٢</sup>.

«خَيْرُ الْمُسْلِمِينَ مَنْ كَثَرَ قَنَاعَتُهُ وَحَسَنَتْ عِبَادَتُهُ وَكَانَ هَمُّهُ

لِاخِرَتِهِ»<sup>٣</sup>.

«أَحِبُّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مَوْمِنًا، أَحْسِنُ مُجَاوِرَةً

مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا»<sup>٤</sup>.

«خَصَلْتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُسْلِمٍ: الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ»<sup>٥</sup>.

«مَنْ قَلَّ طَعْمُهُ صَحَّ بَدَنُهُ وَصَفَا قَلْبُهُ، وَمَنْ كَثَرَ طَعْمُهُ سَقَمَ بَدَنُهُ

وَقَسَى قَلْبُهُ»<sup>٦</sup>.

وروي أن رجل سأل الرسول الكريم ﷺ: أنا لا أصوم سوى رمضان ولا

أصلي سوى الصلوات اليومية، وليس لي مال أتصدق به، ولست مستطيعاً للحج،

فما هو جزائي بعد الموت؟

أجابه الرسول ﷺ: في الجنة ان صنت لسانك عن الغيبة والكذب، وحفظت

قلبك من البخل والحسد وغضضت بصرك عن النظر الى المحارم وايداء المسلمين.

١- روضة الواعظين: ٤٦٩/٢؛ مشكاة الأنوار: ١٧٤، الفصل التاسع عشر.

٢- بحار الأنوار: ١٥١/٧٣، الباب ٧، الحديث ٨٢

٣- مجموعة ورام: ١٢٣/٢.

٤- مستدرک الوسائل: ١٧٥/١١، الباب ٤، الحديث ١٢٦٧٦.

٥- الخصال: ٧٥/١، الحديث ١١٧؛ بحار الأنوار: ٣٠١/٧٠، الباب ١٣٦، الحديث ٩.

٦- مجموعة ورام: ٢٢٩/٢.

وروي: «ثَلَاثَةٌ يَسْتَغْفِرُ لَهُمُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ: الْعُلَمَاءُ وَالْمُتَعَلِّمُونَ وَالْأَسْحِيَاءُ»<sup>١</sup>.

«إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ خَيْرٍ زَهْدَهُ فِي الدُّنْيَا وَفَقَّهَهُ فِي الدِّينِ وَبَصَّرَهُ عِيُوبَهَا، وَمَنْ أُوتِيَهُنَّ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»<sup>٢</sup>.

وروي: ثلاث مهلكات وثلاث منجيات،

فالمنجيات: خشية الله عز وجل في السر والعلانية، والقصد في الفقر والغنى، والعدل في الرضا والغضب.

والثلاث المهلكات:

شح مطاع، وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه<sup>٣</sup>.

وروي: زينة الدنيا ثلاثة:

المال والأولاد والنساء.

وزينة الآخرة ثلاثة:

العلم والورع والصدقة.

وزينة البدن ثلاثة:

قلة الأكل وقلة النوم وقلة القول.

وزينة القلب ثلاثة:

الصبر والسكوت والشكر.

١- ارشاد القلوب: ١٩٦/١، باب ٥٢.

٢ الكافي: ١٣٠/٢، باب ذم الدنيا والزهد فيها، الحديث ١٠؛ بحار الأنوار: ٥٥/٧٠، الباب ١٢٢، الحديث ٢٨.

٣- الخصال: ٨٤/١، الحديث ١١؛ بحار الأنوار: ٦/٦٧، الباب ٤١، الحديث ٢.



وروي: «مَنْ فَارَقَ رُوحَهُ جَسَدَهُ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ثَلَاثَةِ دَخَلِ الْجَنَّةِ: الْكِبَرُ وَالذَّيْنُ وَالغُلُولُ»<sup>١</sup>.

وروي: «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةٌ: طَلَبُ الْعِلْمِ وَالْجِهَادِ وَالْكَسْبِ لِأَنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ حَيَّبُ اللَّهِ، وَالْغَازِي وَلِيُّ اللَّهِ، وَالْكَاسِبُ صَدِيقُ اللَّهِ»<sup>٢</sup>.

وقد نقلت كتب الحديث الكثير من الروايات التي تصف الرسول الأكرم ﷺ، وإذا ما أردتم الاطلاع على تفاصيل هذه الروايات عيكم مراجعة هذه الكتب مثل: «بحار الأنوار»، «نهج الفصاحة»، «اصول الكافي»، «وسائل الشيعة»، «مستدرک الوسائل» وغيرها.

### ٣- الأئمة الطاهرين عليهم السلام:

لما كان الأئمة الطاهرين عليهم السلام وعلى ضوء الروايات الكثيرة هم نور واحد مع نبي الاسلام ﷺ، لذا يجب القول: أن أقوالهم عليهم السلام ووصاياهم تتطابق تماماً مع أقوال النبي الأكرم ﷺ ووصاياه، فكانوا يبذلون قصارى جهدهم في تحقيق ما كان يسعى لتحقيقه النبي ﷺ من رقي الناس وتكاملهم وهدايتهم. وللإطلاع على أقوالهم وسلوكهم ووصاياهم وسيرتهم العملية ينبغي الرجوع الى الكتب التي أشرنا إليها سابقاً للوقوف بالتفصيل على أحوالهم ضمن قسم معرفة الأئمة عليهم السلام.

١- التفسير الكبير: ٧٠/٩.

٢- موسوعة العقائد الإسلامية: ٢٢٨/٢.

## ٤- العرفاء والحكماء والمؤمنون:

وتعد هذه المجموعات الثلاثة من أفضل الرفاق والأصدقاء الحقيقيين للانسان، ورغم الاختلاف الاسمي بينهم لكن يعبرون عن معنى واحد، فالمقصود من العارف والحكيم والمؤمن هو كل من وفق لكسب المعرفة والعمل بنور الوحي وشعاع النبوة وولاية الأئمة المعصومين عليهم السلام، كما تمكنوا من اصلاح باطنهم وظاهرهم، وسعوا بحرص وتفاني لاصلاح الآخرين ليسيروا مع قافلة السائرين في طريق الحق ويتعدوا عن كل ما يوقف سيرهم من لوم اللاتمين وحقد الحاقدين.

فهم قد وصلوا الى مراتب الكمال والتحرر من عبودية الهوى والنفس، حتى أصبح الناس يتمنون الوصول اليهم كما فعل المرحوم الهي قمشه اى، وقد تمكن من تحقيق أمنيته.

(الهي هب لي مرشداً وناصرأً ومعيناً ومؤنسأً ودليلاً ليكون أميراً لقافلة الحق وقبطاناً لسفينة العشق، ورفيقاً لي في طريق السير الى مقام قربك، لأنني أتلوع من ألم فراق المحبوب أتأوه بأهات العشق، وليكن متريناً بأفضل الصفات وأكملها وصاحب نفس وداعياً للحق لعلي أستنير بنور هدايته للوصول الى معرفتك وقربك، ويبعد عن عيوننا وقلوبنا حجب ظلمة النفس حتى تصل قلوبنا الى حالة من الصفاء يزول بها غم الفراق وتقترب من وصال المحبوب، فننعم برضاه ونصبر على طاعته حتى لونزلت علينا أنواع البلاء).

## من حقائق الخلق:

نشير في هذا القسم الى بعض حقائق الخلق التي لأنعم الله بها على الانسان

لتكون وسيلة من وسائل الهداية.

(قال النبي أن حضرة الحق قال أنا الرب الذي لا تسعنى أرض ولا سماء ولا عرش ولا مكان الآ قلب المؤمن فهو محلي ومستقري، فان كنت تطلب الوصول فعليك أن تبحث عني في مثل هذه القلوب المؤمنة).

رغم وسعة السماء والأرض وكل ما فيها من أنهار وبحار وكواكب ونجوم تثير في نفوسنا العجب والحير من عظمة خلقها وجمال صنعها، لكننا في الوقت ذاته نعلم أن جميع هذه الموجودات هي أعظم بكثير مما تبدو عليه أمامنا، في حين لاتعدوا سوى شئ ضئيل وحقير أمام عظمة الله وقدرته وكأنها ذبابة صغيرة أمام عظمة الروح الانسانية.

وحتى هذه المقارنة غير مقبولة؛ لأن الروح الانسانية مهما بلغت في ظرافة خلقها لاتعدو في قبال عظمة الله الأ شئ ضئيل جداً لا يمكن تصوره، وجميع هذه الموجودات بكثرتها ووسعتها ليست سوى كف ضئيل في بحر عظيم لا متناهي لا يبقى سوى لحظات قصيرة ثم يزول بعدها.

اذن، كيف لمثل هذه الموجودات الصغيرة أن تستوعب وتضم وجود الحق

تعالى؟

وبعبارة أخرى، لما كانت الكمية حاکمة في عالم الوجود وشملت الكيفية جميع مظاهرها، فكيف لها أن تستوعب موجوداً فاقت كميته وكيفيته كل الكميات والكيفيات.

وهو غير متناه، لكن عالم الوجود متناه رغم عدم محدوديته، لذا لا يمكن أن

تحل هذه اللانهاية محل هذا المتناهي.

لكن الانسان اذا ما ارتقى مراتب الكمال ووصل الى مقام المعرفة الشامخ بواسطة تزكية النفس وتطهير القلب والروح، سيصغر في عينه هذا العالم حتى يصبح بالنسبة له كأنه قفص صغير جداً، وعلى هذا الأساس هل يمكن لخالق الانسان والوجود اللامتناهي أن يضمه مثل هذا العالم الصغير؟  
لكن الله تعالى خلق في هذا الانسان قلباً عظيماً يمكنه أن يستوعب عظمة الخالق وجلال قدره وقدرته.

فان قلت: كيف لقلب الانسان الموجود في هذا الجسم المحدود أن يتسع لعظمة الله وجلاله؟.

قلنا: القلب سواء كان هذا العضو الصغير أو لا، نحن نحمل في أجسادنا مظاهر عجيبة بحيث نشعر في داخلنا بمشاعر وأحاسيس عظيمة لا تخضع لجميع معادلات المنطق الطبيعي في حسابات الكمية والكيفية، فمثلاً يضم دماغنا حوالي ثمانين مليار خلية، وتبدأ هذه الخلايا بنشاطاتها منذ الطفولة، فكيف يمكن لهذا الدماغ أن يسجل ما يقرب عن مليون مليار معلومة؟.

فكيف يتم تسجيل هذه المعلومات في هذه الخلايا رغم عدم قابلية تصويرها وعدم وجود مظهر فيزيائي معين لها؟ اضافة الى آلاف الكليات المجردة التي تنعكس في أذهاننا طيلة حياتنا، فكيف تنعكس هذه الكليات المجردة في خلايا جسمنا رغم عدم وجود شكل محدد لها؟

الا توجد هذه الظاهرة العجيبة في داخلنا بحيث أتمكن من التوصل الى ادراك الذات؛ أي أتمكن من ادراك ذاتي، كما يحصل عندما أرى عيني بعيني دون استخدام المرآة أو أي شئ آخر! اضافة الى قدرة دماغنا وعقلنا على تصور أشياء كثيرة لا متناهية، فهل لهذه اللانهاية مظهراً وشكلاً فيزيائياً معيناً، لو كانت

كذلك لما وصفت باللانهاية.

أو ليس قلبنا يحمل شعوراً بمحبة هذا العالم دون أن يحدث فيه أدنى تغيير في كميته وكيفيته.

والخلاصة، بالنظر الى النشاطات العجيبة لدماعنا وقلبنا يمكننا القبول بحقيقة أن قوانا العقلية والقلبية لا ترتبط بأصول وقوانين طبيعية وخارجية لا يمكننا تجاوزها، لذا نحن نعتبر ذات الانسان مجالاً آخرًا يدخل العالم الخارجي ضمن أجزائه المختلفة.

نعم، هذا القلب الصغير الحجم عظيم جداً في قابلياته بحيث يتمكن من استيعاب النور الالهي غير المتناهي.

هذا هو استدلال الحكماء والعرفاء والمؤمنين في سعة قلب الانسان وقابلياته، حيث يمكن للانسان أن يستثمر تربية الأنبياء والأئمة والعرفاء والحكماء والمؤمنين في تطهير قلبه ليتجلى فيه النور الالهي اللامتناهي، وبهذا يتضح أن ما جاء في عنوان هذا الفصل يبين أن هذه الشخصيات العظيمة تمثل الأصدقاء الحقيقيين للانسان التي تسعى لتحويل الانسان الى مرآة تعكس الصفات والأسماء الالهية حتى ينالوا من خير الدنيا والآخرة.

(ان أصل سعادتنا يكمن في عودة الروح الى ديار المحبوب والألن تحل بسعينا أي عقدة من مشاكلنا، فكل ما نحمل من ألم العشق والفرق يثير في روحنا حرارة وألماً لا يطاق، فان كنت تنوي السير نحو طريق العشق عليك تحمّل أشد الآلام وأقساها والالتخسر كل شيء، واسرع خطاك فقد طال الانتظار لترتوي أرواحنا من جمال الحق وجلاله، فعندما يسيطر العشق على الأرواح يعجز العقل عن ادراك حاله حتى لو امتحن ذلك ألف مرة).

فان قال لك المرشد في سيرك: يجب أن تتحمل هذه المشاق والآلام، فعليك الالتزام بتوجيهاته وعدم الاعتراض عليه.

وان واجهت في طريقك عند سيرك خلف هذا الرفيق والمرشد الكثير من الأشواك التي تدمي قدميك فلا تظن أنها وضعت لا يذائك؛ بل عليك تحمل ألم هذه الأشواك بقلبك وروحك حتى تخضر وتزهر روضة الأزهار في روحك، اذ لا يمكن طي هذا الطريق الطويل والشاق بالنعومة والدلال.

وعلى السالك في طريق الحق مقاومة كل المظاهر الدنيوية والماديات وتنظيمها بشكل يضمن عدم تحولها الى مانع يقف عقبة في سيره، فانتم تعلمون وقد ذكرنا ذلك عدة مرات ان الله تعالى قد خلق الانسان للسعي وتحمل المصاعب والابتلاءات.

فهل يمكن لهذه المشقة والسعي أن تكون بحد ذاتها هدفاً وغاية لوجود الانسان؟ بالطبع لا؛ لأنه ما النفع الذي يمكن أن يكسبه الانسان من السعي والمشقة في العبث واللهو؟ ألم يستطع الانسان أن يخلق الانسان بحيث يعيش في هذه الدنيا دون مشقة وتعب، بالطبع كان يمكنه ذلك.

### الهدف الأسمى من الخلق:

ان الهدف الأسمى من الخلق يكمن في سعي الانسان ضمن امكانيات الطبيعة لاستكشاف حقيقة ذاته وجوهر وجوده، وبواسطة هذا السعي والجهد يتمكن من صقل روحه التي تمثل مرآة الله، وبالتالي يصل الى أعلى مراتب المعنوية.

وكلما تمكن الانسان من تطهير نفسه وروحه وتنقية قلبه، كلما اقترب من صفات ملائكة السماء؛ لأنها مثال للطهارة والنقاء والصفاء والعلم. فروح الانسان

من جنس ملائكة السماء وجوهر طاهر وصافي ونقي، لكنها تتلوث وتملأها العتمة والظلام بواسطة الجسد؛ فاذا ما عمد الانسان الى ترك الملذات والشهوات خارج حدود الله، ستظهر الروح وينقى باطن الانسان وظاهره وتصلق مرآة القلب، فتعود الروح صافية طاهرة مرة أخرى عندها ستقترب من صفات ملائكة السماء لاقترب صفاتهما، فتتحولان الى مرأتين صافيتين ترى في كل واحدة منهما ما تراه في الأخرى عند تقابلهما، ويحدث هذا التقابل واللقاء قليلاً في اليقظة مما يسبب الوجد والورود والالهام والتخاطر الملكي، أما في النوم فيسبب الرؤيا الصادقة.

نعم، يبذل جميع العرفاء والحكماء والمؤمنين همتهم وجهودهم لانقاذ الانسان من الآثام والملوثات الظاهرية والباطنية حتى تنجلي في روحه الأسماء والصفات الملكوتية.

(متى تتغير أحوال الانسان ومتى يتغير الوضع ليصبح شريفاً والفقير ليصبح سلطاناً، وكيف يتحول الانسان من مرآة لمظهر الحق تعالى الى آية من آياته، فهذا الأمر من أوضح الواضحات ولا يحتاج الى دليل أو برهان فانك لن تصل الى جمال الحق ما لم تفنى في ذاته وتحمل المصاعب والآلام في السير اليه، لكن الفناء في طريق الحق أمر شاق يتطلب الصبر والتضحية فهو كالبحر الذي يتكون قطرة بعد أخرى حتى فاض برحمة الحق).

### شرف الناس وكرامتهم:

يتميز بنو البشر بشرف وكرامة تفضلهم على جميع الموجودات الأخرى، ويعود هذا التفضيل الى امتلاك الانسان لشيء عظيم لا تمتلكه الموجودات الأخرى الا وهو امتلاكهم العقل الذي يختص به الانسان دون الآخر ويفضله

على الموجودات الأخرى، ويتميز العقلاء على الآخرين بفضيلة العلم والأخلاق.

صفات الانسان:

يتميز الانسان بصفات أربعة:

الأقوال الفاضلة والأفعال الفاضلة والأخلاق الفاضلة والمعارف.

فكل من يحمل هذه الصفات الأربعة يعد انساناً والا ليس بانسان، وكل من ارتقى بهذه الصفات الى مرتبة الكمال يصبح انساناً كاملاً.

فاسع لتكون صادق الأقوال وحسن الأفعال وفاضل الأخلاق لتتمكن من حماية نفسك من نفسك وحماية الناس من نفسك، فأينما حل الأمن فزت بالجنة وكنت من أهلها وأينما فقد الأمن كان مصيرك جهنم وكنت من أهلها، ولا نعمة افضل من فوز الانسان بالجنة ولا محنة أسوء من عذاب النار، فالانسان الصادق الأقوال الحسن الأفعال الفاضل الأخلاق من أهل الجنة، واذا ما حضى أحد بمرافقة مثل هذا الانسان لغاز هو أيضاً بالجنة.

نصائح العلماء:

نشير في هذا القسم الى بعض من نصائح العظام من عباد الحق لتجلب للجميع خير الدنيا والآخرة.

- «خَيْرُ الْمَالِ مَا أُخِذَ مِنَ الْحَلَالِ وَصُرِفَ عَلَى الْحَلَالِ، وَشَرُّ

الْأَمْوَالِ مَا أُخِذَ مِنَ الْحَرَامِ وَصُرِفَ عَلَى الْأَنْامِ».

- «كَتَبَ حَكِيمٌ إِلَى حَكِيمٍ: مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رِيحًا، وَمَنْ غَفَلَ

عَنْهَا خَسِيرٌ!».



- قيل للقمان عليه السلام: ألسنت عبد آل فلان؟ قال: بلى، قيل: فما بلغ بك ما نرى؟ قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعنيني، وغض بصري، وكف لساني، وعفة طعمتي، فمن نقص عن هذا فهو دوني، ومن زاد عليه فهو فوقني، ومن عمله فهو مثلي.

- «مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ فَهُوَ مِنَ الْبَهَائِمِ»<sup>١</sup>.

فلا تكن من أولئك الذين يلعنون أبلّيس في العلن ويتبعونه ويطيعونه في الخفاء.

البخيل، حمّال للمحافظة على ثروته وأمين وحافظ لخزينة وارثه.

الجاهل، عدو نفسه، فكيف يكون رفيق غيره؟

لا خير في الكلام الا بذكر الحق، ولا خير في السكوت الا في التفكير بالمعاد

ويوم القيامة.

الانسانية هي التواضع عند السلطة والعفو عند القدرة والسخاء عند القلة

والعطاء بدون منة.

الأجدر بالعاقل أن ينظر في مرأتين، واحدة لرؤية عيوبه ومساوئه حتى يحتقر

نفسه ويسعى جاهداً لاصلاحها ما أمكنه، وأخرى يرى فيها محاسن الناس حتى

يتزين بها ويسعى لكسب ما يراه من فضائل عند الآخرين.

- قيل لحكيم: من هو الزاهد؟ قال: التارك لحرام الله والقانع بحلال الحق.

وقيل لآخر: من هو الزاهد؟ قال: الراغب في الآخرة، تارك الحرام والعامل بالأمر.

- هلاك قارئ القرآن في الغيبة والعجب

- البطن الخالية غيمة تمطر علماً وحلماً

نصيحة من أبي ذر:

أبو ذر هذا المؤمن الحقيقي، يقول:

يا بن آدم! اجعل الدنيا مجلسين مجلسا في طلب الحلال ومجلسا للآخرة ولا ترد الثالث فإنه لا ينفعك، وأجعل الكلام كلمتين كلمة للآخرة وكلمة في التماس الحلال والثالثة تضرك، وأجعل مالك درهمين درهما تنفقه على عيالك ودرهما لآخرتك والثالث لا ينفعك، وأجعل الدنيا ساعة من ساعتين ساعة مضت بما فيها فلست قادرا على ردها وساعة آتية لست على يقين من ادراكها والساعة التي أنت فيها ساعة عملك فاجتهد فيها لنفسك وأصبر فيها عن معاصي ربك فان لم تفعل قد هلكت.

نصيحة ابن عباس:

سأل ابن عباس عن:

أفضل الأيام وأفضل الأشهر وأفضل الأعمال؟ أجاب: أفضل الأيام يوم الجمعة وأفضل الأشهر شهر رمضان وأفضل الأعمال الصلوات الخمس بوقتها. وعند ما سمع أمير المؤمنين عليه السلام هذه الأسئلة، قال: لو سألتهم علماء المشرق والمغرب هذه الأسئلة لما أجابوا بغير هذا، لكني أقول في جوابها: أفضل الأعمال عمل فيه رضا الله، وأفضل الأشهر شهر تتوب فيه، وأفضل الأيام يوم يخرج فيه المؤمن من الدنيا.

قال بعض الحكماء:

أفضل طاعة في قلبي الأمل بالله، وأحلى كلام على لساني ثناء الله، وأفضل ساعاتي ساعة لقاء الحق.

قال العرفاء:

صفات الأولياء الكاملين ثلاثة:

السكوت وهو باب النجاة، والجوع وهو مفتاح الخيرات، واجهاد النفس في العبادة وصيام النهار وقيام الليل.

قال أحد الحكماء:

طلبنا أربعة أشياء في أربعة أشياء فأخطئنا الطلب: طلبنا الغنى في المال فوجدناه في القناعة، وطلبنا الجاه في الحسب فوجدناه في التقوى، وطلبنا الراحة في الثروة فوجدناها في قلة المال، وطلبنا التنعم في اللباس الرقيق اللين والطعام الطيب وأمثالها فوجدناه في صحة البدن.

قال أهل العرفان:

أربعة أشياء أغسلوها في أربعة أشياء: الوجوه بدمع العين، اللسان بذكر الحق، القلب بخشية الرب، الذنوب بالتوبة.

قال لقمان لابنه:

واعلم أنك ستسأل غدا إذا وقفت بين يدي الله عز وجل عن أربع: شبابك فيما أبلتته، وعمرك فيما أفنيتته، ومالك مما اكتسبته وفيما أنفقته فتأهب لذلك، وأعد له جواباً.

قال الحكماء:

شعار حكماء الاسلام أربعة أشياء:

التقوى، الحياء، الشكر، الصبر.

١- الكافي: ١٣٤/٢، باب ذم الدنيا والزهد فيها، الحديث ٢٠؛ بحار الأنوار: ٤٢٥/١٣، الباب ١٨،

وتوجد الكثير من كلمات ووصايا العرفاء والحكماء والمؤمنين لايسع المجال هنا لذكرها جميعاً بل تحتاج الى عدة كتب مستقلة، لكن هذا المقدار يكفي لاثبات هذه الحقيقة أنهم يعدون أفضل الرفاق والأصدقاء للانسان، ولهذا اتباع أوامر الله تعالى والأنبياء والأئمة والعرفاء والحكماء والمؤمنين يجلب للانسان تمام خير الدنيا والآخرة.

ولقد نظم الحكماء والعرفاء والمؤمنون أشعاراً تحمل معاني جميلة، نشير هنا الى بعضها:

(ان كنت تروم التحرر من البلاء فاجتهد للتخلص من شيئين، من النفس والدنيا فانك ان تحررت من حب النفس والدنيا نجوت من كل أنواع البلاء، وان ابتليت بآفة الحرص والطمع لهجمت عليك أنواع البلاء من كل حذب وصوب، فان تحررت منها نجوت وكنت في أمان منها، فاترك النفس والدنيا حتى تنجو من البلاء والخطر، ولن يطلب أحد الغنى فليطلبه من الحق تعالى وسيجده في القناعة).

\* \* \*

(لقد أمتلأ قلبنا بحب الحق فلم يعد يسع لأحد غيره تعالى، فالقلب ان تعلق بأحد العالمين لن يتسع للعالم الآخر، ولقد ثملنا بعشق المحبوت حتى هجرنا عالم الوجود فمحفلنا امتلأ بالثمالي حتى انك لن تجد فينا أحد يحتفظ بوعيه، وتتناغى هذه القلوب النقية مع بعضها وتتبادل الأسرار حتى انك لن تجد غريباً بينها، فقد أمتلأت قلوب هؤلاء العشاق بحب الحق تعالى فلم يعد لغيره مكان فيها، فاترك البخل والحسد والعجب والأنا لأن هذه الأربعة تبعدك عن التوحيد وتقربك من الشرك).

\* \* \*

مما تقدم اتضحت هذه الحقيقة، أن الأصدقاء والرفاق الحقيقيين للانسان هم الله تعالى والأنبياء والأئمة والحكماء والعرفاء والمؤمنين، ولا يتغنون من هذه الصداقة سوى جلب خير الدنيا والآخرة للانسان، وللغوز بصداقتهم ورفقتهم يجب الايمان بهم ومحبتهم واتباع أوامرهم وأقوالهم ووصاياهم.

### آداب المعاشرة مع الناس:

أما الصداقة مع عامة الناس، فتعني حسن التعامل والرفقة والتواصل معهم على ضوء الثقافة الالهية ووفق الفضائل الأخلاقية الاسلامية التي بينها الآيات والروايات، ومنها ما جاء في كلام الامام الصادق عليه السلام في هذا الباب الذي سيوضح لكم هذه الشروط.

قال الامام عليه السلام في بداية الرواية:

«حَسُنَ الْمُعَاشِرَةُ مَعَ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى فِي غَيْرِ مَعْصِيَتِهِ مِنْ مَزِيدِ  
فَضْلِ اللَّهِ عِنْدَ عَبْدِهِ، وَمَنْ كَانَ خَاضِعاً لِلَّهِ فِي السِّرِّ كَانَ  
حَسَنَ الْمُعَاشِرَةِ فِي الْعَلَانِيَةِ».

اذن، من الشروط الالهية لمعاشرة الناس ومرافقتهم هو عدم التعامل والتهاون معهم في مسألة الذنب ومعصية الله تعالى.

فيجب الابتعاد عن اهل المعصية المصرون على معصيتهم ولا ينوون التوبة عنها، كما يجب الابتعاد عن رفاق السوء الذي يسعون لجذب الانسان نحو المعصية، ولا تكون معاشرة أهل الذنوب والمعاصي أمراً حسناً الا بقصد هدايتهم وتخليصهم من هذه الآثام، فهي حينئذ تدخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالتالي لا اشكال فيها. أما غير ذلك، تعتبر مسألة معاشرة المسلمين

وصداقتهم ومرافقتهم والتواصل معهم من الأمور الواجبة والفضائل الأخلاقية، إذ ينبغي على الانسان أن يحب نفسه للآخرين حتى يرغبوا في معاشرته ومرافقته وتحصل الرغبة المتبادلة في التواصل بينهم على ضوء الأهداف الالهية السامية التي تقرب الجميع من الحق تعالى وتوظف كل هذه المحبة والصدقة بينهم لجلب خير الدنيا والآخرة للجميع وحل مشاكل الناس ومعالجة آلامهم ومآسيهم.

### المعاشرة في القرآن:

في باب آداب المعاشرة، توجد آيات وروايات قيمة كثيرة ينبغي الاطلاع عليها:

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>١</sup>.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ

فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي  
الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١﴾.

وتبين هاتان الآيتان بلزوم الابتعاد عن مرافقة وصداقة أولئك الذين يمنعون الانسان من الرشد والكمال والذين يقفون في صف أعداء الله ورسوله والجهاد في سبيلهم. وفي المقابل، توصي بلزوم مرافقة وصداقة أولئك الذين يدفعون الانسان نحو الرقي والكمال والسعادة، وتساهم معاشرتهم في اعلاء كلمة الله والاسلام ومساعدة خلق الله تعالى.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ  
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ  
الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ  
عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ٢.

### المعاشرة في الروايات:

- قال النبي ﷺ: «إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له وزيراً صالحاً، إن نسي ذكره، وإن ذكره أعانه» ٣.

- وقال: «مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى، وما التقى المؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من»

١- التوبة ٩: ٢٤.

٢- التوبة ٩: ٧١.

٣- عوالي اللالكلي: ٢٨٤/١، حديث ١٢٦؛ بحار الأنوار: ١٦٦/٧٤، باب ٧، حديث ٢.

صَاحِبِهِ خَيْرًا<sup>١</sup>.

- وَقَالَ ﷺ:

«مَنْ آخَى أَخًا فِي اللَّهِ رَفَعَ اللَّهُ لَهُ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ لَا يَنْأَلُهَا  
بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ»<sup>٢</sup>.

- و عنه ﷺ: ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة، وجوههم كالقمر ليلة البدر يفرح الناس و لا يفرعون و يخاف الناس و لا يخافون، هم أولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون، فليل من هم يا رسول الله؟ قال: هم المتحابون في الله<sup>٣</sup>.

- و في خبر آخر أن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور و وجوههم نور، ليسوا بأنبياء و لا شهداء، يغطهم النيون و الشهداء، فليل: يا رسول الله صفهم لنا، فقال: هم المتحابون في الله، و المتجالسون في الله، و المتزاورون في الله<sup>٤</sup>.

- و قال ﷺ: إن الله تعالى يقول، حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَزَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِي، وَ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَنَاصَرُونَ مِنْ أَجْلِي، وَ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَجَالَسُونَ مِنْ أَجْلِي، وَ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَبَاذَلُونَ مِنْ أَجْلِي<sup>٥</sup>.

١- محجة البيضاء: ٢٨٥/٣، كتاب آداب الصحة والمعاشرة.

٢- محجة البيضاء: ٢٨٥/٣، كتاب آداب الصحة والمعاشرة.

٣- محجة البيضاء: ٢٨٦/٣، كتاب آداب الصحة والمعاشرة.

٤- محجة البيضاء: ٢٨٦/٣، كتاب آداب الصحة والمعاشرة.

٥- محجة البيضاء: ٢٨٦/٣، كتاب آداب الصحة والمعاشرة.



- وقال ﷺ: إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون في؟ اليوم اظلمهم في ظلي، يوم لا ظل إلا ظلي<sup>١</sup>.

- وقال ﷺ: إن رجلا زار أخاه في الله فأرصد الله له ملكا في طريقه فقال: أين تريد؟ فقال أزور أخي فلانا، فقال: لحاجة لك عنده؟ قال: لا، قال: لقراءة بينك وبينه؟ قال: لا، قال: فبنعمة له عندك؟ قال: لا، قال: فبم؟ قال: أحبته في الله، قال: فإن الله أرسلني إليك يخبرك بأنه يحبك بحبك إياه و أوجب لك الجنة<sup>٢</sup>.

- وقال ﷺ:

«ولكن أوثق عرى الايمان، الحب في الله والبغض في الله»<sup>٣</sup>.

### المعاشرة في كلام عيسى عليه السلام:

و يروى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام لو أنك عبدتني بعبادة أهل السماوات والأرض وحب ليس في الله و بغض ليس في الله ما أغنى عنك ذلك شيئا.

و قال عيسى عليه السلام: تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي، و تقرّبوا إلى الله بالتباعد عنهم، و التمسوا رضا الله بسخطهم، قالوا: يا روح الله من نجالس؟ قال: جالسوا من تذكركم الله رؤيته، و من يزيد في علمكم كلامه، و من يرغبكم في الآخرة عمله<sup>٤</sup>.

١- محجة البيضاء: ٢٨٧/٣، كتاب آداب الصلوة والمعاشرة.

٢- محجة البيضاء: ٢٨٧/٣، كتاب آداب الصلوة والمعاشرة.

٣- الكافي: ١٢٥/٣، باب الحب في الله والبغض في الله، حديث ٤٦ بحار الأنوار: ٢٤٢/٦٦، باب ٣٦، حديث ١٧.

٤- محجة البيضاء: ٢٨٨/٣، كتاب آداب الصلوة والمعاشرة.

٥- محجة البيضاء: ٢٨٨/٣، كتاب آداب الصلوة والمعاشرة.

المعاشرة في كلام الامام السجاد عليه السلام:

عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «إذا جمع الله عز وجل الأولين والآخرين، قام مناد فنأدى يسمع الناس فيقول: أين المتحابون في الله، قال: فيقوم عنق من الناس، فيقال لهم: اذهبوا إلى الجنة بغير حساب، قال: فلتقاهم الملائكة، فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة بغير حساب، قال: فيقولون: فأي ضرب أنتم من الناس؟ فيقولون نحن المتحابون في الله، قال: فيقولون: وأي شئ كانت أعمالكم؟ قالوا: كنا نحب في الله ونبغض في الله، قال: فيقولون: نعم أجر العاملين»<sup>١</sup>.

المعاشرة في كلام الامام الباقر عليه السلام:

- كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ يَقُولُ: «عَظَّمُوا أَصْحَابَكُمْ وَوَقِّرُوا هُمْ، وَلَا يَتَهَجَّمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلَا تَضَارُّوا وَلَا تَحَاسَدُوا، وَإِيَّاكُمْ وَالْبُخْلَ، كُونُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ الصَّالِحِينَ»<sup>٢</sup>.

- عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: «إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ فِيكَ خَيْرًا فَانظُرْ إِلَى قَلْبِكَ فَإِنْ كَانَ تُحِبُّ أَهْلَ طَاعَةِ اللَّهِ وَيُبْغِضُ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ فَفِيكَ خَيْرٌ وَاللَّهُ يُحِبُّكَ، وَإِنْ كَانَ يُبْغِضُ أَهْلَ طَاعَةِ اللَّهِ وَيُحِبُّ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ فَلَيْسَ فِيكَ خَيْرٌ وَاللَّهُ يُبْغِضُكَ، وَالْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»<sup>٣</sup>.

١- الكافي: ١٢٦/٢، باب الحب في الله والبغض في الله، حديث ٨؛ وسائل الشيعة: ١٦٧/١٦، باب ١٥، حديث ٢١٢٥٤.

٢- الكافي: ٦٣٧/٢، باب حسن المعاشرة، حديث ٤؛ وسائل الشيعة: ١٥/١٢، باب ٥، حديث ١٥٥١٩.

٣- الكافي: ١٢٦/٢، باب الحب في الله والبغض في الله، حديث ١١؛ بحار الأنوار: ٢٤٧/٦٦، باب ٣٦، حديث ٢٢.

وفي موضوع زيارت المسلمين لبعضهم البعض ومعاشرتهم ومخالطتهم والتواصل معهم، نجد روايات مهمة تبين أن الاسلام هو دين المحبة والعشق والصفاء والصدقة والمعاشرة.

### المعاشرة في كلام الامام الصادق عليه السلام:

قال أبو عبد الله عليه السلام: «عليكم بالصلاة في المساجد وحسن الجوار للناس وإقامة الشهادة وحضور الجنائز، إنه لا بد لكم من الناس إن أحدا لا يستغني عن الناس حياته والناس لا بد لبعضهم من بعض»<sup>١</sup>.

معاوية بن وهب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وفيما بيننا وبين خلطانا من الناس؟ قال: فقال: تؤدون الأمانة إليهم وتقيمون الشهادة لهم وعليهم وتعودون مرضاهم وتشهدون جنائزهم»<sup>٢</sup>.

- عن أبي الربيع الشامي قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام والبيت غاص بأهله فيه الخراساني والشامي ومن أهل الآفاق فلم أجد موضعا أقعد فيه، فجلس أبو عبد الله عليه السلام وكان متكئا ثم قال:

يا شيعة آل محمد اعلموا أنه ليس منا من لم يملك نفسه عند غضبه ومن لم يحسن صحبة من صحبه ومخالقة من خالقه ومرافقه من رافقه ومجاورة من جاوره وممالحة من مالحه، يا شيعة آل محمد اتقوا الله ما استطعتم ولا حول ولا قوة إلا بالله»<sup>٣</sup>.

١- الكافي: ٦٣٥/٢، باب ما يجب من المعاشرة، حديث ١.

٢- الكافي: ٦٣٥/٢، باب ما يجب من المعاشرة، حديث ٢؛ وسائل الشيعة: ٥/١٢، باب ١، حديث

٣- الكافي: ٦٣٧/٢، باب حسن المعاشرة، حديث ٢.

- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا تكون الصداقة إلا بحدودها، فمن كانت فيه هذه الحدود أو شيء منها فانسبه إلى الصداقة ومن لم يكن فيه شيء منها فلا تنسبه إلى شيء من الصداقة:

فأولها أن تكون سريرته وعلايته لك واحدة،

والثاني أن يرى زينك زينه وشينك شينه،

والثالثة أن لا تغيره عليك ولاية ولا مال،

والرابعة أن لا يمنعك شيئا تناله مقدرته،

والخامسة وهي تجمع هذه الخصال أن لا يسلمك عند النكبات»<sup>١</sup>.

### أصدقاء السوء:

- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا صعد المنبر قال: ينبغي للمسلم أن يتجنب مواخاة ثلاثة:

الماجن الفاجر والأحمق والكذاب.

فأما الماجن الفاجر فيزين لك فعله ويحب أنك مثله ولا يعينك على أمر دينك ومعادك ومقاربتة جفاء وقسوة ومدخله ومخرجه عار عليك.

وأما الأحمق فإنه لا يشير عليك بخير ولا يرجى لصرف السوء عنك ولو أجهد نفسه. وربما أراد منفعتك فضرك فموته خير من حياته وسكوته خير من نطقه وبعده خير من قربه.

وأما الكذاب فإنه لا يهنتك معه عيش، ينقل حديثك وينقل إليك الحديث

١- الكافي: ٦٣٩/٢، باب من يجب مصادقته ومصاحبته، حديث ٦؛ وسائل الشيعة: ٢٥/١٢، باب

كلما أفنى أحدى مطرها بأخرى مثلها حتى أنه يحدث بالصدق فما يصدق ويفرق بين الناس بالعداوة فينبت السخائم في الصدور فاتقوا الله عز وجل وانظروا لأنفسكم»<sup>١</sup>.

- عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُؤَاخِيَ الْفَاجِرَ وَلَا الْأَحْمَقَ وَلَا الْكَذَّابَ»<sup>٢</sup>.

- عن أبي عبد الله، عن أبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال لي علي بن الحسين (صلوات الله عليهما): يا بني انظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق. فقلت: يا أبا من هم؟

قال: إياك ومصاحبة الكذاب فإنه بمنزلة السراب يقرب لك البعيد ويباعد لك القريب، وإياك ومصاحبة الفاسق فإنه بائعك باكلة أو أقل من ذلك، وإياك ومصاحبة البخيل فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه وإياك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفحك فيضرك. وإياك ومصاحبة القاطع لرحمه فإني وجدته ملعونا في كتاب الله عز وجل في ثلاث مواضع: قال الله عز وجل: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ

١- الكافي: ٦٣٩/٢، باب من تكره مجالسته ومراقفته، حديث ١؛ وسائل الشيعة: ٢٨/١٢، باب ١٥، حديث ١٥٥٥٦.

٢- الكافي: ٣٧٥/٢، باب مجالسة اهل المعاصي، حديث ٥؛ وسائل الشيعة: ٢٩/١٢، باب ١٥، حديث ١٥٥٥٨.

يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿١﴾، وقال في البقرة: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿١﴾.

١- الكافي: ٣٧٦/٢، باب مجالسة اهل المعاصي، حديث ٤٧؛ وسائل الشيعة: ٣٢/١٢، باب ١٧،

«فَعَاشِرِ الْخَلْقِ لِلَّهِ تَعَالَى وَلَا تُعَاشِرْهُمْ لِنَصِيبِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَلِطَلْبِ الْجَاهِ  
وَالرِّيَاءِ وَالسَّمْعَةِ، وَلَا تَسْقُطَنَّ بِسَبَبِهَا عَنْ حُدُودِ الشَّرِيعَةِ مِنْ بَابِ الْمِمَاتِلَةِ  
وَالشَّهْوَةِ فَإِنَّهُمْ لَا يُغْنُونَ عَنْكَ شَيْئاً، وَتَفُوتُكَ الْآخِرَةُ بِلا فَايْدَةَ».

### محور المعاشرة:

فليكن أساس المعشرة ومحورها لا يستند على نيل المنافع الدنيوية، فلا يجب على الانسان معاشرة خلق الله لأجل تحقيق المصالح الدنيوية أو لطلب الجاه أو للرياء والسمعة والتظاهر، لأنها الأسباب الرئيسية للسقوط في وادي الضلالة والهلاك.

واسع في معاشرتك لخلق الله عدم التجاوز على حدود الشريعة من باب المماتلة والتشبه بأصدقاء السوء أو لأجل الشهوة والجري وراء الملذات الآنية، حتى لا تبتعد عن العبادة وتحمل النقص والعيب، فمثل هذه المعاشرة لاتغني عنك شيئاً بل تفوت عليك الآخرة.

«وَأَجْعَلْ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ بِمَنْزِلَةِ الْأَبِ وَالْأَصْغَرَ بِمَنْزِلَةِ الْوَلَدِ وَالْمِثْلَ بِمَنْزِلَةِ الْأَخِ، وَلَا تَدَعْ مَا تَعَلَّمَهُ يَقِيناً مِنْ نَفْسِكَ بِمَا تَشْكُ فِيهِ مِنْ غَيْرِكَ، وَكُنْ رَفِيقاً فِي أَمْرِكَ بِالْمَعْرُوفِ وَشَفِيقاً فِي نَهْيِكَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَا تَدَعْ النَّصِيحَةَ فِي كُلِّ حَالٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا»، وَأَقْطَعْ عَمَّنْ تُنْسِيكَ وَصَلَّتْهُ ذِكْرَ اللَّهِ وَتَشْغَلْكَ أَلْفَتُهُ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ وَأَعْوَانِهِ وَلَا يَحْمِلَنَّكَ رُؤْيَتُهُمْ عَلَى الْمُدَاهَنَةِ عِنْدَ الْخَلْقِ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ الْخُسْرَانَ الْعَظِيمَ».

يبين الامام عليه السلام في هذا المقطع من الرواية أصولاً أخرى لآداب المعاشرة والتعامل مع الآخرين مع الكبير والصغير والمثل، وكيفية التعامل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقبل النصيحة وعدم تركها، والابتعاد عن أولياء الشيطان الذين يبعدون الانسان عن ذكر الله وطاعته، لذا ينبغي الالتزام بهذه الأصول في معاشرة الآخرين والأستؤدي بك الى الخسران العظيم.

وقد نظم الفيض الكاشاني هذا العالم العارف البصير أبياتاً جميلة من الشعر حول الأخوة والصداقة، نرى من المناسب ذكرها كخاتمة لهذا الفصل:



(هلمّوا أيها الأخوة لنجتمع على المحبة والصدقة حتى يملأ الأيمان عقولنا وقلوبنا، إذ لا يوجد بيننا عيب أو نقص نخفيه بل نجتمع أحبة بلا غش أو زيف، وظاهرنا كباطننا لا نخفي شئ في صدورنا ونحفظ الآخرين في غيبتهم وحضورهم، فالأخوة والمحبة هي بمثابة اللب والأصل وغيرها كالقشر ومن الأسف أن يكون نصيبنا منها القشر، ولا نرد الاساءة الا بالاحسان فان أسانا لكان ذلك بمثابة الخسران)

\* \* \*

(هلمّوا ليكن أحدنا أنيساً ومواسياً للآخر في السراء والضراء حتى نتحمل الآلام والمصاعب معاً، فإذا ما حل الليل كنا كالشمع يضيئ أحدنا الآخر ويحترق من أجله وإذا ما جاء النهار أصبحنا يداً واحدة في العمل نتعاون مع بعضنا ويساعد أحدنا الآخر، ولنكن لبعضنا دواءً وشفاءً ويضحى أحدنا بنفسه في سبيل الآخر كأننا نحمل قلباً واحداً وروح واحدة، فهلمّوا نصبح جسداً واحداً بقلب واحد ولون واحد ويد واحدة يساند بعضنا الآخر، فلنعش حياة واحدة بآلامها وأفراحها وتبادل الأفكار والرؤى الواحدة، وليكن أحدنا عوناً للآخر بحيث نظهر محاسن بعضنا ونخفي عيوب بعضنا وليكن أحدنا لباساً وسترأ للآخر).

\* \* \*

تم في ليلة الجمعة ليلة الرغائب في السادس من رجب ١٤٠٧ هـ.ق

الموافق ١٣٦٥/١٢/١٥ هـ.ش



## المحتويات

### الباب (٣٦) في ذم الغرور

٨.....	صفة الغرور:
١١.....	تحصين النفس من آفة الغرور:
١٥.....	الغرور في القرآن:
١٩.....	المعارف الالهية ومسألة الغرور:
٢٢.....	غرور العصيين:
٢٣.....	الأمل الصحيح:
٢٤.....	الأمل الشيطاني:
٢٦.....	السلوك الحقيقي:
٢٧.....	تجلي عناية الحق في سلوك السالك:
٣٠.....	الغفلة علة أمراض الروح:
٣٢.....	غفلة العالم:
٣٤.....	كلام أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> حول العلماء الغافلين:
٤١.....	الغرور حجاب يحول بين الانسان والحقائق:
٤٣.....	قصة معبرة عن المنصور الدوانيقي:

## الباب (٣٧) في صفة المنافق

- النفاق والمنافق: ..... ٥١
- المنافق في القرآن: ..... ٥٢
- طريق تنقية الوجود وتجلي الروح: ..... ٥٥
- علامات المنافق: ..... ٦٨
- وصف المنافقين في القرآن: ..... ٧١
- وصف المنافقين في كلام رسول الله ﷺ: ..... ٧٢

## الباب (٣٨) في بيان العقل والهوى

- صفات العاقل: ..... ٧٦
- ١- يقول الحق ويقبل به: ..... ٧٦
- القول الحق في كلام الحق: ..... ٧٧
- الكفر بالطاغوت: ..... ٧٧
- إتباع الانبياء والأئمة عليهم السلام: ..... ٧٩
- التحلي بالتقوى: ..... ٧٩
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ..... ٧٩
- الاحسان بالوالدين: ..... ٨٠
- الهجرة والجهاد: ..... ٨٠
- الصبر والصلاة: ..... ٨١
- التسليم لثقافة الحق: ..... ٨١

٨٢.....	وسيلة الفلاح:
٨٢.....	الصدق يحقق الفائدة والمنفعة:
٨٣.....	الحياة الدنيا والآخرة:
٨٣.....	أعمال الانسان يوم القيامة:
٨٤.....	٢- الانصاف:
٨٤.....	حقيقة الانصاف:
٨٤.....	الانصاف في الروايات:
٨٦.....	انصاف عدي بن حاتم:
٨٦.....	القاضي والانصاف:
٨٨.....	٣- مقاومة العاقل للباطل:
٨٨.....	مقاومة ابن السكيت للباطل:
٩٠.....	شجاعة الطرماح في كشف حقيقة الباطل:
٩٨.....	علامات العاقل:
٩٩.....	كلام كارل حول جهل الانسان:
١٠٣.....	الهوى عدو العقل:
١٠٣.....	عوامل ظهور هوى النفس:
١٠٤.....	شخصيات لامعة في طريق الجهاد ضد هوى النفس:
١٠٥.....	الآخوند الملا ابراهيم نجم آبادي:
١٠٦.....	جهانگیر خان قشقايبی، أعجوبة الجهاد مع النفس:
١١١.....	برهان الحق الشيخ مرتضى الطالقاني:
١١٣.....	الحكيم المتأله الحاج الملا هادي السيزواري:
١١٩.....	الحاج السيزواري و ناصرالدين شاه:

- المقام الرفيع لابن أبي عمير: ..... ١٢٠  
 الميرزا حسن الكرمانشاهي وأحد طلاب شاهرود: ..... ١٢٢  
 سيد الحكماء الميرزا أبو الحسن جلوه: ..... ١٢٦  
 محمد رضا الاصفهاني: ..... ١٢٦

### الباب (٣٩) في بيان الوسوسة

- الوسوسة وأهل الوسوسة: ..... ١٣٣  
 تفسير سورتي الفلق والناس: ..... ١٣٦  
 تفسير ﴿الْفَلَقِ﴾: ..... ١٣٦  
 تفسير ﴿مَا خَلَقَ﴾: ..... ١٣٧  
 تفسير ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾: ..... ١٣٨  
 تفسير ﴿النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾: ..... ١٣٩  
 مؤامرة المستعمرين: ..... ١٤٠  
 تفسير ﴿حَاسِدٍ﴾: ..... ١٤٩  
 تفسير سورة الناس: ..... ١٤٩  
 تفسير ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾: ..... ١٥٠  
 الخواطر والوساوس: ..... ١٥٣  
 وسوسة الشيطان: ..... ١٥٦  
 ابليس عدو الانسان: ..... ١٥٧  
 وسوسة الشيطان في الانفاق: ..... ١٥٧  
 الفقر والفحشاء: ..... ١٥٩

١٦١	.....	حجاب الشيطان:
١٦٣	.....	إتباع الشيطان:
١٦٤	.....	الشيطان في كلام الامام علي <small>عليه السلام</small> :
١٦٥	.....	سلطة الشيطان:
١٧٠	.....	طرق الخلاص من الشيطان:
١٧٠	.....	دوام المراقبة:
١٧١	.....	درجات المراقبة:
١٧٣	.....	الشيطان عدو المراقبة:
١٧٥	.....	الاستقامة على العبادة:
١٧٦	.....	درجات الاستقامة:
١٨٠	.....	العبرة من الشيطان:
١٨١	.....	التمسك بحبل الله:

### الباب (٤٠) في بيان العجب

١٨٦	.....	العجب وآثاره:
١٨٧	.....	العجب يبعد الانسان عن أولياء الله:
١٨٨	.....	الهروب من العجب الى ذكر الله:
١٨٩	.....	العجب في الروايات:
١٩١	.....	عيسى والشخص المعجب:
١٩٣	.....	العجب مرض خطير:
١٩٧	.....	كلام الملا عبد الرزاق اللاهيجي في مسألة العجب:

نتيجة العجب: ..... ٢٠٣

### الباب (٤١) في آداب الأكل

- ٢١٠ ..... الغذاء وشروطه الظاهرية والباطنية:
- ٢١١ ..... آداب الأكل:
- ٢١٢ ..... اثنا عشرة خصلة في مائدة الغذاء:
- ٢١٣ ..... معرفة الطعام في القرآن:
- ٢١٥ ..... تأثير الغذاء على الجوارح والجوانح:
- ٢١٩ ..... الأكل بالمقدار المناسب:
- ٢٢٤ ..... آثار قلة الأكل:
- ٢٢٨ ..... آفات الشبع:
- ٢٣٠ ..... أنواع الغذاء:
- ٢٣٠ ..... الشبع والجوع:

### الباب (٤٢) في غض البصر

- ٢٣٨ ..... العين مظهر لعظمة قدرة الله:
- ٢٤٣ ..... طبقات الشبكية:
- ٢٤٤ ..... مسألة النظر في القرآن:
- ٢٤٧ ..... النظر الى نعم الله:



٢٤٨	..... نمو النباتات ونضوجها:
٢٥٠	..... النظر الى حبيبات الرمان:
٢٥٢	..... النظر الى نطفة الانسان:
٢٥٣	..... النظر الى الماضين:
٢٥٤	..... العين في الروايات:
٢٥٨	..... قصة البصير الذي يرى بنور الحق:
٢٦١	..... غض البصر عن الحرام:

### الباب (٤٣) في آداب المشي

٢٦٨	..... المشي الالهي:
٢٧٢	..... الرؤية الالهية في كيفية المشي:
٢٧٢	..... التفكير في عجائب صنع الله:
٢٧٣	..... الماء مادة الحياة:
٢٧٥	..... القلب نبض استمرار الحياة:
٢٧٨	..... بعض الحقائق عن الكائنات الحية:
٢٧٨	..... أصوات الحيوانات:
٢٨٠	..... عواطف الحيوانات:
٢٨٥	..... ذكر الله عند المشي:
٢٨٦	..... الكلام أثناء المشي:
٢٨٨	..... رضا الحق في المشي:

## الباب (٤٤) في آداب النوم

- ٢٩٣ ..... نوم المتعبدين:
- ٢٩٤ ..... الصورة الالهية للمتعبدين:
- ٢٩٥ ..... جهاد النفس:
- ٢٩٨ ..... فوائد جهاد النفس:
- ٢٩٩ ..... العبودية الحقيقية:
- ٣٠٢ ..... النوم استراحة الأعصاب:
- ٣٠٣ ..... النوم أخ الموت:
- ٣٠٥ ..... نوم الغافلين:
- ٣٠٦ ..... النوم السليم:
- ٣٠٨ ..... آفات النوم الكثير:

## الباب (٤٥) في آداب المعاشرة

- ٣١٢ ..... حقيقة المعاشرة:
- ٣١٣ ..... الأصدقاء الحقيقيون:
- ٣١٤ ..... ١- الله تعالى:
- ٣١٧ ..... محبة الله لعباده:
- ٣١٩ ..... أهل الخير في حديث المعراج:
- ٣٢١ ..... ٢- الأنبياء:
- ٣٢١ ..... الأنبياء الأخوة الحقيقيين للإنسان:

- ٣٢٣ ..... الانسان في كلام النراقي:
- ٣٢٤ ..... قصص بعض الأنبياء الالهيين:
- ٣٢٥ ..... قصة ذي القرنين:
- ٣٢٧ ..... عفو يوسف:
- ٣٢٨ ..... صبر أيوب:
- ٣٢٩ ..... شعيب وأهل مدين:
- ٣٢٩ ..... وصايا موسى:
- ٣٣٢ ..... تواضع سليمان وجلاله:
- ٣٣٣ ..... صفات المسلمين في المعاشرة:
- ٣٣٥ ..... ٣- الأئمة الطاهرين عليهم السلام:
- ٣٣٦ ..... ٤- العرفاء والحكماء والمؤمنون:
- ٣٣٦ ..... من حقائق الخلق:
- ٣٤٠ ..... الهدف الأسمى من الخلق:
- ٣٤١ ..... شرف الناس وكرامتهم:
- ٣٤٢ ..... صفات الانسان:
- ٣٤٢ ..... نصائح العلماء:
- ٣٤٤ ..... نصيحة من أبي ذر:
- ٣٤٤ ..... نصيحة ابن عباس:
- ٣٤٧ ..... آداب المعاشرة مع الناس:
- ٣٤٨ ..... المعاشرة في القرآن:
- ٣٤٩ ..... المعاشرة في الروايات:
- ٣٥١ ..... المعاشرة في كلام عيسى عليه السلام:

- المعاشرة في كلام الامام السجاد عليه السلام: ..... ٣٥٢
- المعاشرة في كلام الامام الباقر عليه السلام: ..... ٣٥٢
- المعاشرة في كلام الامام الصادق عليه السلام: ..... ٣٥٣
- أصدقاء السوء: ..... ٣٥٤
- محور المعاشرة: ..... ٣٥٧
- المحتويات: ..... ٣٦١